العمل التنصيري في العالم العربي

رصد لأهم مراحله التاريخية والمعاصرة

"رسالة ماجستير"

عبد الفتاح إسماعيل غراب

ماجستير دعوة إسلامية

مكتبة البدر

٠١٢/٦٤٦٤١٧٢ ٢٦٧١٤٩٠٤


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد...

فإن هذا البحث سوف يطرق موضوعاً يرى الباحث أنه غاية في الخطورة، وعلى جانب عظيم من الأهمية، هو العمل التنصيري في العالم العربي كمؤسسة لها أهدافها وبرامجها التي تسري داخل المجتمع العربي والإسلامي. وخطورته تتمثل في كونه يمارس داخل وطننا العربي، وعلى أناس جلّهم من أبنائه المسلمين لتحويلهم عن وطنيتهم، وتشكيكهم في ديانتهم إن لم يستطيعوا تحويلهم عنها.

وتأتي أهميته في كونه سيعطينا بعضا من المرتكزات التي يمكننا الارتكاز عليها في عملنا الدعوي، وذلك بالقدر التي تظهر لنا هذه الدراسة الطرق والأساليب التي يستخدمها المنصرون في عملهم التنصيري سواء ما كان منها ظاهراً أم مستتراً، وكيفية مواجهتها، لأن العمل الدعوي يقوم أساساً على أسلوبين بين المدعويين:

الأول: أسلوب وقائي: وهو يعتمد على درء المفاسد.

والثاني: أسلوب علاجي: ويعتمد على جلب المنافع.

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع، فإنه لم يلق من الباحثين العرب والمسلمين اهتماماً إلا نادرا وما ذلك إلا لمشقته وتفريعاته اللامتناهية، والمشقة تأتي في كون المصادر والمراجع التي تبحث في العمل التنصيري – بشكل مستقل– نادرة، وبعض النادر يحتاج جهدا للحصول عليه، ومن المعلوم أن وفرة المصادر والمراجع أمر ضروري للباحث في موضوع بحثه، ليتسنى له مقابلة الآراء والنظريات المختلفة مع بعضها البعض، ليصل في النهاية إلى نتيجة يستطيع من خلالها أن يقدم رأياً أو نظرية قوامهما المنهجية العلمية والفكر المستنير، فيتيسر له بذلك أن يخدم المجتمع الإنساني، وتغلب الباحث على هذه المشكلة بمحاولة جلب المعلومات من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والاتصال بمن هم ذوي الاختصاص بهذا المجال.

والتفريعات اللامتناهية تأتي في كون هذا الموضوع يمس جوانب متعددة في المجتمع سياسية واجتماعية واقتصادية وعلى رأسها الجانب الديني.

فالأهمية الاستراتيجية للعالم العربي تكمن في نواح مختلفة نذكر منها:

الناحية الدينية: حيث إنه مهبط الديانات الثلاث الكبرى في العالم، ووجود المقدسات الدينية به ومن أهمها الكعبة وبيت المقدس، لذلك فإن العالم العربي يُعَدُّ بحقٍ قلباً نابضاً للعالم الديني بخاصة الإسلامي.

الناحية الاقتصادية: أن الوطن العربي يمتلك مفتاح عالم الصناعة بامتلاكه لقدر كبير من الثروات الباطنية التي تدار بها المعامل الصناعية في أوروبا، ويأتي النفط، والغاز الطبيعي في مقدمة هذه الثروات الباطنية، خاصة وأن "نسبة احتياطي النفط العربي المؤكد إلى الاحتياطي العالمي ٦١,٧%، ونسبة احتياطي الغاز الطبيعي للعالم ٧١,٥% وذلك في إحصائية عام ١٩٩٥م"[١]. بالإضافة إلى اليورانيوم، المنجنيز، الحديد، النحاس، الكروم، القصدير، الألمنيوم، الرصاص، البوكسيت والفوسفات.

الناحية الجغرافية: يطل العالم العربي على منافذ بحرية هامة في العالم حتى أن البحر الأحمر يعد بحرا عربيا، وقناة السويس التي تربط بين الشرق والغرب، كما أنه يطل على البحر المتوسط والمحيط الهندي، ويتحكم في ثلاثة مضايق هامة هي: مضيق هرمز: يصل بين الخليج العربي وخليج عمان، مضيق باب المندب: يصل بين البحر الأحمر وخليج عدن، مضيق جبل طارق: يصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي.

ومما لا شك فيه أن هذه المنافذ البحرية وغيرها توفر خطوطا للملاحة، تلك الخطوط التي يتم من خلالها التبادل التجاري بين معظم أجزاء العالم، خاصة بين أوربا الصناعية وآسيا الغنية بالمواد الخام.

الناحية السياسية: النواحي السالفة الذكر جعلت من العالم العربي قوة سياسية كبرى، فأصبح محطاً للأنظار وهدفا للاحتلال.

وبعد أن نقف على حقيقة وجود هذه النواحي الاستراتيجية الهامة، ووجود العمل التنصيري المؤسسي في العالم العربي لنا أن نتساءل ونتحقق من الهدف الرئيسي لهذا العمل هل هو هدف ديني؟ أم أن وراءه أهدافا أخرى اتخذت من الدين قناعا؟ وكم من المآسي ترتكب باسم الدين.

الباحث

عبد الفتاح إسماعيل غراب

---

[١]- الموسوعة الدولية: العالم أواخر القرن العشرين، د. محمد توفيق سماق، مكتبة الأسد – سوريا، ط ١٩٩٩م، ص١٠٣٨.



العمل التنصيري في العالم العربي

(ماهيته وبدايته)

المبحث الأول: التنصير والتبشير والتكريز

(تعريف وبيان)

المبحث الثاني: بداية العمل التنصيري في العالم العربي

المبحث الأول

التنصير والتبشير والتكريز

أولا: التنصير

أ- المعنى اللغوي للتنصير:

يأتي التنصير في اللغة من مادة (نَصَرَ) فيقال "نَصَّرَه تَنْصيراً جعله نصرانياً"[٢] "وتَنَصَّر دخل في دين النصارى"[٣].

"والنصارى جمع نَصران يقال رجل نَصران، وامرأة نَصرانية، والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري وفى هذا يقول الشاعر:

فكلتاهما خَرَّت وأسْجَدَ رأسُها　　　كما أسْجدتْ نَصرانة لم تُحنف[٤]

ولا يستعمل نصران ونصرانة إلا بياءي النسب"[٥].

والمصادر اللغوية في العربية تكاد تجمع في كون مجيء إطلاق لفظة النصارى من قبيل الانتساب لقرية "الناصرة"[٦]. فيقول صاحب القاموس المحيط: "ونصران بوزن

---

[٢]- مختار الصحاح، الرازي، مادة نصر، ط دار الفكر، ص٦٦.

[٣]- مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، مادة نصر، ط أولى، ص٦٠٦. وأيضا: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة نصر، ط ١٩٩٣، ص٦١٨.

[٤]- البيت لأبي الأخزر الحماني، يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الإعياء، فشبه رأس الناقة برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط دار الشعب، سورة البقرة، الآية ٦٢، ص٣٦٩.

[٥]- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمادي، جـ الأول، مكتبة مصر، سورة البقرة، الآية ٦٢، ص١٣٧.

[٦]- واحدة من أقدم مدن فلسطين، فهي موطن السيدة مريم العذراء، والمدينة تقع في منطقة الخليل المباركة غرب بحيرة طبرية، ويعود بناء المدينة إلى الكنعانيين العرب، وشهدت مولد السيدة العذراء، ومنها بدأ عيسى عليه السلام دعوته لعبادة الله وتوحيده، وبمرور الزمن دخلها الفرس واليونانيون ثم الرومان، ثم دخلها الإسلام في عهد أمير المؤمنين الأول عمر بن الخطاب. ثم جاء الغزو الصليبي عام ١١٠٠م - ٤٩٣ هـ وحررها السلطان المملوكي/ الأشرف خليل بن السلطان قلاوون عام ١٢٩١م - ٦٩٠ هـ، وفي العصر الحديث سقطت تحت الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨م - ١٣٦٧هـ

نجران قرية بالشام ينسب إليها النصارى ويقال اسمها ناصِرَة"[7]. "فعُرف النصارى بهذا الاسم لأن مبدأ دينهم كان من ناصِرَة، فاشتق اسمهم منها كما اشتق اسم اليهود من يهوذا بن يعقوب"[8]، "وإذا تصفحنا التاريخ وعلمنا أن "القدس"[9] كانت مركزًا رئيسيًا في الدعوة للنصرانية ومنها انتشر أتباع المسيح عليه السلام ووجهوا دعوتهم إلى الأمم الأخرى، علمنا أن كلمة نصراني كلمة أصيلة فيهم التي منها اشتق فعل التنصير بعد قيامهم بالدعوة إلى النصرانية.

ويفهم مما سبق أن التنصير في معناه اللغوي هو: قيام أفراد من أتباع المسيح بالدعوة إلى النصرانية بعد اعتناقهم لها.

ب- المعنى الاصطلاحي للتنصير:

تعريفات التنصير جاءت متنوعة ومختلفة نظراً لاعتماد أكثرها على الأهداف والوسائل دون المحاولة للوصول إلى مفهوم كلي للتنصير.

وسأقوم بسرد بعض من هذه التعريفات، وأتناولها بالتحليل لأعطي تعريفا عاماً.

تعرفه الموسوعة العربية العالمية بأنه: "مصطلح يقصد به قيام مجموعة من النصارى بنشر النصرانية بين الناس في جميع أنحاء العالم بطريقة تنظيمية حتى يعتنقها الكثيرون

ومازالت حتى الآن ويبلغ عدد سكانها حوالي ١١٠ آلاف نسمة تقريباً. موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، عبد الحكيم العقيقي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط أولى- ٢٠٠٠، ص٤٩٢ بتصرف.

٧- القاموس المحيط، مادة نصر، مرجع سابق. وأيضا: الفيروز آباد، المادة نفسها، مرجع سابق .

٨- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، للإمام/ أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي، علق عليه ووضع حواشيه/ مجدي بن منصور بن سيد الشورى، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧، ص ١٧٩.

٩- مدينة فلسطينية عريقة، تقع على بعد حوالي ٥٥ كم جنوب شرق يافا وهي على أرض ترتفع حوالي كيلو متر فوق سطح البحر، فوق تلال بين البحر الميت والبحر المتوسط. وتسمى المدينة المقدسة أو مدينة القدس وهي عاصمة فلسطين بالرغم من وجود بعض اليهود فيها، وكان الإسلام قد دخل المدينة بواسطة خالد بن الوليد عام ١٦ هـ - ٦٣٦م. في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-. انظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، عبد الحكيم العقيقي، ص٣٦٦-٣٦٧ بتصرف، مرجع سابق.

ويرغبون عن دينهم الأصلي"[١٠].

وتعرفه الموسوعة الميسرة في الأديان المعاصرة بكونه: "حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب"[١١].

ويعرفه «موسى الإبراهيم» بقوله: "حركة دينية سياسية استعمارية غربية لها أهدافها ومخططاتها وأرصدتها وتهدف إلى السيطرة على العالم الإسلامي"[١٢].

والشيخ/ «أحمد القطعاني» جاء تعريفه له على النحو الآتي: "إعـــداد الخطط، وتنفيذ هذه الخطط، وتطوير هذه الخطط لتحويل المسلمين إلى النصرانية باستغلال الجهل والفقر وما يتاح من ظروف مشابهة"[١٣].

الملاحظات على هذه التعريفات:

الملاحظة الأولى:

لم تفرق هذه التعريفات بين"التنصير العفوي والتنصير المؤسسي"[١٤]، الأمر الذي بدوره يشعرنا بأن كل تنصير لا بد وأن يكون منظمًا مخططاً له تابع لمنظمة تديره وتتابعه. مع أنه "وجد في عصر ما قبل الإسلام رقيق نصراني يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء في التوراة والإنجيل، ويقص عليهم قصصاً نصرانياً، ويتحدث إليهم

١٠- الموسوعة العربية العالمية، جـ ٧، حرف التاء، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الرياض، ط ثانية، ص٢٤٩.

١١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي– الرياض، ط أولى– ١٩٨٨، ص١٥٩

١٢- ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى إبراهيم الإبراهيم، دار عمار– عمان، ط ١ ٢٠٠١، ص١٨١.

١٣- موقع/ Al-Jazirah (الجزيرة)، برنامج الشريعة والحياة، حوار مع أحمد القطعاني، الثلاثاء١٢-١٢-٢٠٠٠.

١٤- التنصير العفوي هو:ـ ما يقوم به الأفراد على نفقاتهم الخاصة. والتنصير المؤسسي هو: ما يعتمد على دعم المؤسسات وهو أوسع نشاطاً وأكثر فعالية. انظر: التنصير في سيراليون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إسماعيل كروما، مجلة كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، عدد ٩، سنة ١٩٩٢.

عن النصرانية، ومنهم من تمكن من إقناع بعض العرب للدخول في النصرانية، ومنهم من أثَّر على بعضهم، فأبعده عن الوثنية، وسفه رأيها عندهم، لكنهم لم يفلحوا في إدخالهم في دينهم، فبقوا في شك، يرون أن الحق في توحيد الله وفى اجتناب الأوثان"[١٥]، ومن هنا ندرك أن التنصير قد يأتي بطريقة عفوية غير تنظيمية لا دخل للمؤسسات التنصيرية فيها.

الملاحظة الثانية:

التنصير في كل أحواله ليس سياسياً أو استعمارياً[١٦] فالحروب الصليبية وإن كانت قد "أفرزت حركة تبشيرية منظمة"[١٧]، "ولفتت الأنظار إلى استغلال التنصير لدخوله في الحرب، وقننته بوضع الخطط والبرامج والوسائل لتسهيل السيطرة على المتنصرين بضمهم لمملكة المسيح، وعسكرياً بتحويل بلادهم إلى مستعمرات للغربيين"[١٨]، "وكان من ضمن الأفكار الهامة لـ«لويس التاسع»[١٩] – وهو في أسره بالمنصورة – تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه"[٢٠] إلا إننا نحن المسلمين لا يمكننا التعميم، لأننا لا نريد أن نقتنع بأن المصالح الدنيوية البحتة تستطيع أن توجه هذا العدد الغفير الذي يقدر بالملايين من المنصرين ورجال اللاهوت إلى هذه

١٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، جـ٦، دار العلم للملايين ، ط ثالثة – ١٩٨٠، ص٥٨٩.

١٦- الاستعمار: تعني لغوياً تحويل الخراب إلى عمار فالاستعمار نقيض الخراب، لكن الإنسان بظلمه المعهود حولها من لفظ يستعمل في الخير إلى الشر، ونشأ ذلك من السلوك العدواني لكثير من الدول الأمر الذي أدى لجعل المفهوم الواقعي لتلك الكلمة يعني: السطو على أراضي الغير بالقوة واستعباد شعبها.

١٧- محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، د. محمد زين العابدين محمد الطشو، ط ١٩٨٨، القاهرة، ص٧٤

١٨- الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء، عبد المنعم النمر، دار المعارف – القاهرة، ص ١٤٩.

١٩- لويس التاسع: (١٢٢٦- ١٢٧٠م)، كان شابا مجازفا مدفوعا بتيار الدين، وكان شديد الحماس لمسيحيته وقد قام بحملتين صليبيتين أحدهما إلى مصر استولى فيها على دمياط عام ١٢٤٩م، وفيها وقع أسيرا في أيدي المسلمين، ولم يطلقوه إلا بفدية، وأعد لحملة أخرى على تونس، حيث مات هناك عام ١٢٦٠م، وقد كان شديد الاهتمام بتنصير التتار، حيث علق عليهم أملا كبيرا في القضاء على المسلمين في الهند. الإرساليات التبشيرية، د. عبد الجليل شلبي، منشأة المعارف – الإسكندرية- القاهرة، ص١٨٠.

٢٠- ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى إبراهيم الإبراهيم، ص١٨٢، مرجع سابق.

الوجهة المخالفة للحق والمدمرة لمستقبل البشرية[٢١].

الملاحظة الثالثة:

العمل التنصيري لا يقتصر على العالم الإسلامي، أو على المسلمين بالذات، كما أشار إلى ذلك كل من «موسى الإبراهيم»، والشيخ/ «أحمد القطعاني» فالتنصير في الأوساط غير المسلمة "وثنية" [٢٢] كانت، أم "بوذية"[٢٣] أم غير ذلك على أشده. وهنا يشير المُنَصِّر/ «و.ستانلي موينهام» بقوله: "لقد عمل المنصرون بكل إخلاص ولعدة قرون في وسط شعب بوذي"[٢٤].

فالتنصير إذن ساحته مفتوحة لتشمل المسلمين وغيرهم وإن كان التركيز على المسلمين بشكل أكبر فلذلك أسباب يأتي ذكرها فى حينها.

الملاحظة الرابعة:

العمل التنصيري لا يقتصر على غير التابعين للنصرانية فهو قد يتعداها إلى النصارى أنفسهم لأسباب أهمها:

١- الأهداف السياسية لبعض الطوائف النصرانية التي تَعْمَد إلى اقتناص النصارى إلى طائفتهم، حيث "ظهرت دعوات طائفية من كاثوليكية[٢٥]، وبروتستانتية، وأرثوذكسية تتنافس فيما بينها لكسب أكبر عدد ممكن من النصارى

---

[٢١]- صيحة تحذير من دعاة التنصير، محمد الغزالي، نهضة مصر - القاهرة، ط ٢٠٠٢، من مقدمة د. عبد الحليم عويس للكتاب، ص١١ بتصرف.

[٢٢]- كسكان منطقة الكاب في جنوب أفريقيا، انظر: معركة التبشير والإسلام، د. عبد الجليل شلبي، مؤسسة الخليج، ط أولى- ١٩٨٩، ص١٦٩.

[٢٣]- كسُكان منطقة جنوب الهند، انظر: المرجع السابق، ص٤٤.

[٢٤]- التنصير خطة لغزو العالم، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي - بيروت- لبنان، ص٢٨.

[٢٥]- الكاثوليك: كنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية. ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تُدْعَى أُم الكنائس لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة أي إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدَّعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، والباباوات في روما خلفاؤه، والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، إذ يتكوَّن منهم المجمع الكنائسي الذي يُصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية. لأن البابا - في اعتقادهم- هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة، وهم يعتقدون أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين - بشرية وإلهية- وأن السيدة مريم ولدت الاثنين معا، واتخذت به قرارا في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م. المسيحية، د. أحمد شلبي ص١٩٩: ١٦٤بتصرف.

أتباعا لها"[٢٦].

وقد صدر تحذير من الكنيسة الأرثوذكسية القبطية عام **١٩٧٣م** جاء فيه: "ليحذر أبناء الكنيسة الذين انخدعوا وراء أفكار الكنائس البروتستانتية التي دخلت في القرن الماضي، ليحذروا من هذه الأفكار حذرهم من المسيح الدجال..."[٢٧].

ورداً على هذا التنصير الهادف إلى الاقتناص كتب القس/ «رياض جرجور» فقال: "إذا كانت الكنائس المسيحية تعتبر بعضها بعضاً كنائس شقيقة وتؤمن بأن الحقيقة، أو العقيدة القويمة، ليست حكراً على كنيسة من دون أخرى، فلا يجوز لها أن تتابع سياسة التبشير التي تهدف إلى الاقتناص في الأوساط المسيحية، فيلاحظ أنه بعد انهيار المعسكر الشيوعي في أوائل التسعينات سارعت بعض الكنائس الإنجيلية الأمريكية، والكنيسة الكاثوليكية الغربية، إلى تبشير الشعوب الشرقية الأرثوذكسية"[٢٨].

٢- ترسيخ الديانة النصرانية التثليثية في نفوس أصحابها، حتى لا ينحرفوا عنها وفى ذلك يقول المنصر/ «دون ماكري»:

"وكان الافتراض الثاني: أنَّ إيماننا سوف يتعمق بالاستماع إلى شهادات أولئك الذين أثمر عملهم"[٢٩] أي في مجال التنصير.

إذن فهذه التعريفات وإن كانت تنبثق من طبيعة العمل التنصيري فإنها يؤخذ عليها عدم مراعاتها لجوانب هامة لهذا العمل.

والتعريف الذي أراه مناسباً هو كون التنصير:

نشاطاً نصرانياً موجهاً إلى الأفراد من مختلف الديانات فى معظم أنحاء العالم، يقوم به أفراد أو مؤسسات، بدوافع وأهداف متعددة، ووسائل وأساليب متنوعة.

---

[٢٦]- التنصير مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، د. على إبراهيم النملة، دار الصحوة- القاهرة، ط ١٩٩٣، ص١٦.

[٢٧]- ملك الألف سنة، البابا/ شنودة، منشورات كنيسة مارجرجس باسبورتنج -مطبعة الكرنك- الإسكندرية، ط ١٩٧٣، ص٣٢.

[٢٨]- المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مرجع سابق، بحث للقس/ رياض جرجور، ص٩٠٢.

[٢٩]- التنصير خطة لغزو العالم، ص١٧، مرجع سابق.

ثانيا: التبشـــــير

أ- المعنى اللغوي للتبشير:

"التبشير مأخوذ من الثلاثي بَشَرَ"[٣٠] يقال "بَشَّرتُ فلاناً أُبَشِرُه تَبْشِيراً، وذلك يكون بالخير والشر، فإذا أطلقت فالبشارة بالخير"[٣١]، "وبَشَّره تبشيراً والاسم البشارة (بكسر الباء وضمها)، ويقال بَشَرَ بكذا (بالتخفيف) فأبْشَرَ إبشاراً أي سُرَّ، وتقول أبشر بخير بقطع الألف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣٢]. وبَشِرَ بكذا استبشر به وبابه (طرب)، وبشرني فلان بوجه حسن أي لقيني وهو حسن. والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير"[٣٣].

"والتبشير لا يستعمل في الغم والشر إلا مقيداً منصوصاً على الشر المبشر به"[٣٤]، كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣٥].

والتبشير إذا جاء مقيداً بالشر فيكون المقصود به: السخرية والتهكم والاستهزاء الزائد في غيظ المستهزئ به وتألمه واغتمامه، ومنه قول الرجل لعدوه: أبْشِر بقتل ذريتك ونهب مالك"[٣٦].

والقرآن الكريم قد ذكرت فيه مادة بشر بمعنى الإخبار سبعة وسبعين مرة، جاءت في سبعين مرة منهم للإخبار بما فيه سرور وفرح مطلقة بدون تقييد. وسبع

---

[٣٠]-المعجم الوسيط، جـ الأول، ص٥٧، مرجع سابق.

[٣١]- مختار القاموس، مادة بشر، ص٦٠٦، مرجع سابق.

[٣٢]- سورة فصلت، ٣٠.

[٣٣]- مختار الصحاح، مادة بشر، ص٥٣. وانظر: لسان العرب، ابن منظور، جـ الأول، مادة بشر، ص٢٧٨.

[٣٤]- القرطبي، ص٢٠٤، تفسير الآية: ٢٥ من سورة البقرة.

[٣٥]- سورة النســاء، ١٣٨.

[٣٦]- الكشاف، جـ الأول، ص٩٩، مرجع سابق، وأيضا: القاموس القويم، إبراهيم أحمد عبد الفتاح، جـ الأول، مجمع البحوث الإسلاميه- القاهرة، ط١٩٨٣، ص٦٨.

مرات للإخبار بما يسوء ويحزن مقيدة بدون إطلاق[٣٧].

ليدلنا هذا على أن الأصل اللغوي لمصطلح التبشير هو الإخبار بما فيه خير للإنسان في دنياه وأخراه ومن ثم يكون فرحاً مسروراً، ولا يكون في الشر والحزن إلا مقيداً.

وإذا كان "الإنجيل[٣٨] لفظا يوناني الأصل ويعنى البشارة"[٣٩]. فإن البشارة الموجودة في الإنجيل هي المعنية بقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[٤٠].

ودليل ذلك ما نقله "الشيخ / «محمد بيرم» عن رحالة إنجليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحِمْيري أي قبل بعثة النبي ﷺ وفيها يقول المسيح عليه السلام صراحة: ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد"[٤١].

إذاً فهو إنجيل واحد ذو بشارة واحدة، وهى الإخبار بمجيء النبي محمد ﷺ ووجوب إتباعه، وهنا تكون البشارة متفقة مع معناها اللغوي لما يكون في إتباع

---

[٣٧]- انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط١٩٨٧، ص١٢٠-١١٩.

[٣٨]- كلمة إنجيل (Gospel) كلمة يونانية معناها (الحلوان) وهو ما تعطيه مَنْ أتاك ببشرى، ثم أريد به البشرى عينها، أما المسيح عليه السلام فقد استعملها بمعنى (بشرى الخلاص) التي حملها إلى البشر، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه، وربما استعملوها أيضاً بمعنى ملخص تعاليم المسيح عليه السلام لأن فيه الخلاص، أو سيرة حياته وموته لأن في هذه السيرة معنى الخلاص وأيضاً. المسيحية، د.أحمد شلبي، ص١٧٢، مرجع سابق. وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول وحتى اليوم. فنقول إنجيل متى وإنجيل لوقا. المرجع السابق، ص١٧٢. نقلاً عن: يسوع المسيح، الأب/ بولس إلياس، ص١٤.

[٣٩]- الإسلام في مواجهة أخطار التبشير، د. عبد الفتاح محمد سيد أحمد، دار طيبة- القاهرة، ط أولى- ٢٠٠١، ص٢٩.

[٤٠]- سورة الصف، ٦.

[٤١]- على عتبات الفاتيكان وعتبات أخرى، محمد عيسى داود، دار البشير- القاهرة، ص٦٥.

رسالة النبي ﷺ من خيري الدنيا والآخرة، حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإن لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[٤٢].

ب- مفهوم التبشير في الاصطلاح:

بادئ ذي بَدْءٍ نقرر حقيقة وهي أن: هناك كلمات تأتي بحكم أصلها اللغوي بين ألفاظ الخير، لكن الإنسان بظلمه المعهود أساء استخدامها وطبع عليها من سلوكه مما جعل مدلولاتها في واقع الحياة يخالف تماما ما كان من أصولها اللغوية، فانتقلت بذلك من ألفاظ الخير إلى ألفاظ الشر، ومثال ذلك: مصطلح التبشير الذي أطلقه النصارى بمفهوم حديث مغاير تماماً لحقيقة اللغة العربية وأصلها، وقد درج بعض الكُتاب والمفكرين مسلمين وغير مسلمين على استخدام هذا المصطلح بمفهومه عند النصارى على الرغم من علمهم ما هو مقصود به عندهم، ويصرح بذلك «سعيد الصاوي» قائلا: "ونحن نستعمل هذا الإطلاق مجاراة للنصارى، حيث أطلقوه على عملهم في تدمير الإسلام وغيره، مدَّعين أنهم يزفون للعالم الإسلامي وغيره الخلاص من طريق المسيحية، ويبشرونه بهذا على حين أننا نعتقد أن ما يفعلونه، هو طريق الهدم للإسلام، ولكننا نجاريهم في الإطلاق والتسمية، حيث يكون كلامنا وكلامهم منصباً على حقيقة واحدة، وعمل واحد"[٤٣].

ونحن إذا علمنا أن القرآن الكريم ينهانا عن مجاراة أهل الكتاب وخاصة في الألفاظ والمصطلحات، لأنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[٤٤]، وكان حتماً

---

[٤٢]- سورة طه، ١٢٣:١٢٦.

[٤٣]- التبشير جهوده وآثاره في العالم الإسلامي، د. سعيد محمد إسماعيل الصاوي، مكتبة الأزهر الحديثة -طنطا، ص٧٥٦.

[٤٤]- سورة المائدة، ١٣.

وواجباً على المسلم أن يسمع كلام الله، وجدنا أن كُتاب ومفكري المسلمين في معرض حديثهم عن التنصير ينبهون على سوء استخدام النصارى لمصطلح التبشير.

فيقول «محمد الطشو»:

"إذا أطلق التبشير فهو يعني في اصطلاح مفكري الإسلام، التبشير برسالة عيسى عليه السلام ليس كما أنزلها الله هادية، وإنما فكر محرف يخدم الاتجاه الغربي، ويقضي على المفاهيم الأخلاقية، ويساعد الاستعمار الأوربي في إحكام قبضته على العالم كله"[٤٥].

"وبذلك تحول مفهوم التبشير في العصر الحديث من أسلوب هداية للضآلّين كما أراد رب العالمين، إلى أسلوب تضليل وإبعاد عن منهج الله كما أراد من نسبوا أنفسهم إليه"[٤٦]، فيقول المنصر الأمريكي/ «جاك مندلسون»: "لقد تمت محاولات نشيطة لاستخدام المبشرين، لا لمصلحة المسيحية، وإنما لمصلحة الاستعمار والعبودية"[٤٧].

ويقول «محمود شاكر»:

"إنه من تمام الجهل، أن يظن المرء أن معنى التبشير هو اقتصار فئة من الرهبان والقسوس بالدعوة إلى دينهم، من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فيرضاها أو ينكرها. فهذا أمر باطل زائد البطلان، لا من حيث الواقع فحسب، بل من حيث شرح المبشرين أنفسهم معنى التبشير عندهم، وهم الممارسون له، وهم لذلك أدرى به. وأشد بطلاناً أن يتصور امرؤ أن التبشير بمعزل عن الغزو الحربي، والغزو الاقتصادي، والغزو الفكري والسياسي، وعن محاولة الجنس الأوربي المسيحي أن

٤٥- محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، د. محمد زين العابدين الطشو ص٣٥ – ٣٦، مرجع سابق.

٤٦- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د.سعد الدين السيد صالح، مكتبة التابعين– القاهرة، ط سابعة– ٢٠٠٠، ص٤٧ بتصرف.

٤٧- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، ص١٢٨، مرجع سابق. نقلاً عن: الله والرب وجوجو: الأديان في أفريقيا المعاصرة، جاك مندلسون، ت: أسعد محمد.

يخضع الأمم لسيطرة تدوم ما دامت له حضارة"[48].

ويقول «محمد عمارة»:

"والأدق في التعبير عن الدعوة إلى النصرانية هو مصطلح التنصير"[49].

وبذلك؛ فإن الباحث يرى: أن مصطلح التنصير هو الأولى بالاستعمال لا لشيء إلا لأن التاريخ هو الذي أعطانا الإجازة بذلك، ليس على اعتبار أن عيسى عليه السلام بدأ دعوته في الناصرة فحسب، لكن على اعتبار أيضا أن أتباعه يدّعون أن خلاص الإنسان يكون بإيمان الشخص واقتناعه بأن عيسى عليه السلام هو المُخَلّص، وإن كان المسلمون يختلفون معهم في ذلك، فإن هذا معتقدهم ولهم دينهم، وليس هذا مقام مناقشة أمور عقيدهم، وإنما تبرير لماذا أطلقت التنصير على دعوهم.

وقد يقول قائل: بما أنك أطلقت لفظ التنصير على الدعوة النصرانية، على اعتبار أن النصارى آمنوا بأن عيسى عليه السلام أو يسوع الذي عرفوه حينما دعا في الناصرة فآمنوا وأيقنوا بأنه مخلصهم، فيجوز لنا أيضا أن نستخدم المنهج نفسه مع أتباع محمد ﷺ فبدلا من أن نطلق عليهم مسلمين نستبدل ذلك بلفظة مكيين، ونسمي دعوهم التمكيك، على اعتبار أن محمدا ﷺ بدأ دعوته من مكة ؟

أقول: أن المولى سبحانه وتعالى أورد مسمى المسلمين والإسلام صراحة في القرآن الكريم، الذي هو مرجع المسلمين المعصوم فقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[50]

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن المسلمين يؤمنون بأن محمدا ﷺ جاء بدعوة الإسلام، بخلاف النصارى الذين يؤمنون بأن عيسى عليه السلام هو الدعوة.

---

[48]- أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة، ص١٨٤.

[49]- مخاطر التنصير على عالم الإسلام، د. محمد عمارة، منبر الإسلام، عدد٨، سنة٥٩، نوفمبر ٢٠٠٠، ص١٠٦.

[50]- سورة الحج، ٧٨.

ثالثا: التكريز

أ- المعنى اللغوي للتكريز:

"كَرَز يكْرِز كَرْزاً وعظ ونادى ببشارة الإنجيل فهو كارِز، والكَرَازة الدعوة إلى الدين (نصرانية) وهى من كرز بالكلدانية أومن كريسين باليونانية ومعناهما نادى ووعظ وأنذر"[51].

ب- المعنى الاصطلاحي للتكريز:

"إعلان البشارة الأول، يقوم به منادي المسيح، داعياً غير المؤمنين إلى توبة الإيمان والمعمودية. إن الكرازة هي العمل الأساسي في التبشير"[52].

"فالكرازة هي المناداة علناً بالإنجيل للعالم غير المسيحي"[53]، "وهى لا تعني ربح النفوس، ولكن مجرد إعلان البشارة بغض النظر عن النتائج"[54]، "ولذلك فهي أمر ضروري للكنيسة كي تكون كنيسة حقيقية"[55].

٥١- البستان وهو معجم لغوي، عبد الله البستاني اللبناني، جـ٢، المطبعة الأميركانية- بيروت -لبنان، ط١٩٣٠، ص٢٠٦٩.

٥٢- معجم الإيمان المسيحي، الأب/ صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق -بيروت -لبنان، ط أولى -١٩٩٤، ص٣٩٥.

٥٣- دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي، جـ٢، دار الثقافة - القاهرة، ط ثانية - ٢٠٠٠، ص٣٣٤.

٥٤- كنيسة بلا أسوار، القس/عزت شاكر، الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة، ط ٢٠٠٠، ص١٣٣.

٥٥- حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ر.ك.سبرول، ت: نكلس نسيم سلامة، مكتبة المنار - القاهرة، ط ٢٠٠٠، ص٢٤٦.

المبحث الثاني
بداية العمل التنصيري في العالم العربي

العمل التنصيري في العالم العربي والإسلامي، قديم قدم الإسلام نفسه، ويمتد تاريخه إلى عصر النبوة والصحابة، حيث حاول النصارى تقويض الدعوة الإسلامية بعدة وسائل كان منها:

وسائل فكرية: من طريق الحوار كما حدث مع وفد نصارى نجران[٥٦].

وسائل سياسية: من طريق الحروب العسكرية كما حدث في غزوة مؤتة[٥٧].

وسائل اجتماعية: من طريق الإغراءات المادية والنفسية كما حدث للصحابي عبد الله بن حذافة ﷺ [٥٨].

ولكن كل هذه الوسائل لم يكتب لها النجاح في ذلك الوقت، ليس لضعف الإمكانات المادية والبشرية عند النصارى وقتئذ، لكن لأن الإسلام كان ثابت الأركان في نفوس المسلمين آنذاك فكان المسلم على استعداد أن يضحي بنفسه وماله في سبيل الله. ولقد وصفهم المولى عز وجل في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٥٩].

بعد ذلك أخذت الدعوة الإسلامية بالانتشار في بقاع شتى من الأرض، ودخل أغلب سكان البلدان المفتوحة في دين الإسلام أفواجا، وأصبحت الغالبية العظمى في

---

[٥٦]- انظر: سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم، محمد عزة دروزة، جـ٢، ص٢٣٦:٢٥٢، ٢مج.

[٥٧]- انظر: خاتم النبيين، محمد أبو زهرة، جـ٢، المكتبة العصرية -بيروت، ص١٠٩:١٢٠، ٢مج.

[٥٨]- انظر: شرح حياة الصحابة ﷺ، للعلامة محمد يوسف الكاندهولي، تحقيق/ محمد إلياس البارة نبكوى، جـ١، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، ط أولى- ٢٠٠٠، ص٤٩٢-٤٩٣، ٤مج.

[٥٩]- سورة الأحزاب، ٢٣.

البلدان العربية مسلمة[٦٠]، وانحصر العمل التنصيري في أغلب البلدان العربية على بعض الوسائل الفكرية، التي من أهمها الحوار، لكن معظمه كان عمل أفراد.

إلى أن كانت الحروب الصليبية التي يؤرخ لها «سعيد عاشور» بالإنذار الذي وجهه «نقفور» الصليبي عام ٩٦٤م إلى الخليفة العباسي في بغداد وجاء فيه:

"إن الجيوش الصليبية لن تلبث أن تستولي على العراق والشام ومصر، وإنه من الخير للخليفة أن يعود إلى بلاد الحجاز، ويترك ما عداها من البلاد لأصحابها الأصليين"، ولقد هدد بهدم الكعبة، ونشر المسيحية في الشرق والغرب[٦١].

وتمخضت هذه الحروب عن عمل تنصيري كاثوليكي ذو طابع مؤسسي، يعتمد على الخطط المدروسة، بدوافع وطرق وإن كانت مختلفة فإن الأهداف كانت متقاربة والدليل على ذلك:

- أنها ألهمت «لويس التاسع» -وهو في أسره بالمنصورة- عام ١٢٤٩م إلى تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذي يستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية، لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودا للغرب.

- أن «ريموند لول» قام بالتنفيذ العملي لهذه الفكرة حيث وضع عام ١٢٧٦م هيئة لإعداد المنصرين، ووضع نوعاً من المنطق الذي يجب أن يستخدم في الجدل مع المسلمين، وأسس في ميورقة، مدرسة ميرامار، حيث درس ثلاثة عشر من الرهبان العربية قبل ذهابهم إلى البلاد الإسلامية، للتنصير"وانطلق «لول» من

٦٠- انظر: فتوح البلدان، الإمام/ أبو الحسن البلاذري. وأيضا: فتوح الشام، أبي عبد الله عمر الواقدي.

٦١- انظر: الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، جـ الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ط رابعة - ١٩٨٦، ص١ :٦٠ بتصرف، ٢مج.

ضرورة دراسة وفهم عقيدة وعادات وقيم الشعوب، المنوي التنصير بالمسيحية بينها، وتبلورت أعمال «لول» في مشروعه الذي وضعه عام ١٣٠٥م، والذي نادى فيه بالعمل على كسب المسلمين، وطوائف المسيحيين الشرقيين، والهراطقة، إلى معسكر الكنيسة الغربية من طريق التنصير، وذلك في مؤتمر فيينا ١٣١١م، ولم يقترح «لول» إنشاء مدارس لدراسة العربية فحسب، بل اقترح كذلك إنشاء نظام عسكري للقضاء على الإسلام، وافتتحت معاهد عربية في جامعات إكسفورد، وباريس، وسالامانكا، وروما، وبولونيا. وصارت المشاريع التي وضعها «لول» من أجل التبشير العالمي أساس المبادىء التي أخذت بها المؤتمرات البابوية من أجل نشر العقيدة[٦٢].

كتب أسقف دومينكاني، وهو «وليم الطرابلسي»، رسالة بشؤون المسلمين يوصى فيها باستخدام المرسلين يعني المنصرين، بدلاً من الجنود لاستعادة البلاد المقدسة. ولقد أشار «فيليب حتى» إلى هذه الوثيقة في كتابه عن تاريخ سوريا وفلسطين.

ويعتقد بعض الكتاب أن الحروب الصليبية بعد فشلها عسكرياً حاول أصحابها أن يسلكوا طريقا أخر مع طريق الحرب بعد أن تبين لهم أن الحرب المسلحة تولد في المسلمين مقاومة لا طاقة لهم بها، فإذا بالطريق الفكري والتنصير أحد دعائمه هو الوجه الآخر للحروب الصليبية لتمسي بذلك الحروب الصليبية أكثر فاعلية، وتلحق بها صفة الاستمرارية، ويتفق في ذلك بعض الكتاب المسلمين والمسيحيين

---

[٦٢]– انظر ف ذلك: معجم العالم الإسلامي، ص١٧٢، تاريخ أفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو)، المجلد الرابع، المشرف/ ج. ت. نياني، بحث بعنوان: إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، م. طالبي، ص٨٩، الإسلام والمسيحية، أليكسي جورافسكي، ص٨٧ – ٨٨ بتصرف، مرجع سابق، الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، جـ ١، ص ٢٢، مرجع سابق.

شرقيين أو غربيين، وهاك أمثلة لهذه الآراء:

أولا: رأي بعض مفكري علماء المسلمين:

بعد أن خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية الأولى من طريق السيف، أرادت أن تشن على المسلمين حرباً صليبية جديدة من طريق التبشير، فاستخدموا لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات، وفرقوا المبشرين في العالم، فالتبشير المسيحي هو في حقيقته حرباً صليبية، أو هو امتداد لتلك الحروب الصليبية الصاخبة التي بدأها الغرب المسيحي منذ تسعة قرون. التي فشلت وتفشل دائماً في تحقيق أهدافها[٦٣].

ثانيا: الرأي المسيحي العربي:

يعبر «جوزيف نسيم» عن كون التنصير امتدادا للحروب الصليبية بقوله: لقد اتجهت الحروب الصليبية منذ بدايتها إلى تحقيق الأهداف التي يحاول التنصير تحقيقها الآن فهي استعمارية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان:

– هي استعمار عسكري اتخذ القوة المسلحة وسيلة لتحقيق أهداف العدوان.

– هي استعمار استيطاني يهدف إلى الاستيلاء على الأراضي واستعباد العباد.

– هي استعمار اقتصادي استغلالي لنهب ثروات البلاد والاستئثار بخيراتها.

– هي استعمار ثقافي يسعى إلى فرض الحضارة الغربية اللاتينية على العالم العربي.

– وهي أخيراً تعصب ديني يتمثل في محاولات أوروبا نشر الكاثوليكية في العالم العربي من طريق الحروب الصليبية، والبعثات التبشيرية[٦٤].

ثالثا: الرأي المسيحي الغربي:

---

[٦٣]– التبشير والاستعمار في البلاد العربية والإسلامية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص١١٦، مرجع سابق، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، ص١٥٦، مرجع سابق.

[٦٤]– العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، د. جوزيف نسيم، ص٨٦ مرجع سابق.

"يقول «يوجين روستو»[٦٥]:

يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي، إنَّ الظروف التاريخية تؤكد أنَّ أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي[٦٦].

ويقول المستشرق/ «هانوتو» وهو مستشار سياسي لوزارة المستعمرات الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر:

"لقد تركزت أهداف الحروب الصليبية قديماً في استرداد بيت المقدس من المسلمين البرابرة ولا يزال بقاء لواء الإسلام منتشراً على مهد الإنسانية يزعج الغرب المسيحي، ولذا يجب أن نعمل على نقل المسلمين إلى الحضارة الأوروبية بقصد رفع الخطر الكامن في الوحدة الإسلامية، وأفضل طريق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامي، وتصويره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية والتناقضات الشعوبية والقومية والجغرافية مع شرح مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن قيمتها الأصلية، وتمجيد القيم الغربية والنظام السياسي والسلوك الفردي للشعوب الأوروبية"[٦٧].

---

[٦٥]– رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس/ جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام١٩٦٧م.

[٦٦]– أخطار التبشير في ديار المسلمين، محمد عبد الرحمن عوض، ص٢٩– ٣٠ مرجع سابق.

[٦٧]– احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص٤٢، مرجع سابق. نقلا عن: الله أو الدمار، ص٦٦.

وهكذا فإذا كان الاستعمار الصليبي قد أنهى أعماله في ديار الإسلام شكلاً لا موضوعاً —وبصفة مؤقتة— فإن التنصير المسيحي ما يزال على قيد الحياة في ديار الإسلام شكلاً وموضوعاً معا، وإذا كان التنصير فيما مضى يمارس نشاطه في ظل حماية الاستعمار، فإنه اليوم يمارس نشاطه بشكل سافر وشرس في ظل نفوذ الغرب وبخاصة أمريكا، فقد رحل الاستعمار العسكرى وبقى التنصير والاستشراق ليؤديا دورهما في ديار الإسلام، وفق خطط مدروسة، وعلى أسس علمية ونفسية، وبخاصة التنصير الذي أصبح بمؤسساته دولة داخل الدولة في العديد من الديار الإسلامية[٦٨] على ماسبق فمن الصعوبة بمكان أن نعتقد أن أهداف الحروب الصليبية كانت سياسية أو اقتصادية فحسب، ولكن تداخلت عدة أسباب واتخذ الدين ستارا لها، لأن الدين وحده هو القادر على تبرير أي شئ.

إذا فهذه الآراء ترى أن التنصير هو حرب صليبية، أي أن له أهدافا سياسية واقتصادية واجتماعية وغير ذلك شأنه شأن الحروب المسلحة، وإن كان سلاح التنصير المجال الفكري.

وأنا اتفق مع هذه الآراء في كل ذلك، ولكن قد اختلف مع التعميم. فمما لا شك فيه أن كل عمل فيه سلبياته وإيجابياته وبالتأكيد هذا ينطبق على العمل التنصيري. ولذلك فحينما يقول المنصرون أننا نقوم بعملنا هذا بدافع من ديننا، فنحن لا ننكر عليهم ذلك، ولكن نقول نحن أيضا: من واجبنا كدعاة لدين الإسلام، أنَ نذود عن حياضه، ومن حقنا كبشر في المجتمع الإنساني استنكار كل محاولة لفرض رأي أو نظرية أو حضارة أو عقيدة بعينها أيا كانت المبررات والأسباب. ونقتبس من الكاتب/ «ت. كويلرينج» قوله:

---

[٦٨]– قضايا إسلامية معاصرة: محنة الأقليات الإسلامية في العالم، محمد عبد الله السمان، ص٢١٤ مرجع سابق. وانظر أيضا: الإسلام في المواجهة، محمد عبد الله السمان، منار الإسلام، عدد١٠، سنة١٣ مايو١٩٨٨، ص٢٤ بتصرف.

"إذا صح أن نصوص أي دين من الأديان لا تسمح لأحد من تابعيه أن يكون من أتباع دين آخر في الوقت نفسه، فإن من الصحيح أنها أيضا لا تسمح باستعمال الضغط السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي لحمل الناس على إتباعها، والأمر الوحيد الذي تقبله الأديان وسيلة لحمل الناس على إتباعها هو الرغبة الحرة، والتروع الروحي الصادق للحق والخير"[٦٩].

إذن فنحن سنخوض في غمار موضوع قد يتفق كثير من الناس على أنه يجب أن ينتهي، وأن يمنع من العمل كل من يثبت عليه أنه أرغم شخصا على اعتناق دين، إذ إن هذا يخالف الحرية المطلوبة لرقي المجتمعات وتقدم الحضارات، وحينما سنتكلم عن بعض أساليب دعاة العمل التنصيري لا نتعرض للنصرانية كدين، ولكن نتعرض إلى بعض المنتسبين إليها وخاصة إلى أولئك الذين يعتبرون في تاريخ الإنسانية مذنبين باتخاذهم الدين ستارا لأعمالهم غير المشروعة، كما أنني حينما سأتعرض لذكر بعض من الطوائف والمؤسسات التنصيرية بالنقد فلا يعني ذلك اتهاما لجميع العاملين بها، فبالتأكيد أنه وجد بها وما زال من يجب احترامه وتقديره، ولكني انتقد أولئك الذين قاموا ويقومون بعمل تنصيري غير مشروع تحت مسمى هذه الطائفة أو تلك المؤسسة.

---

[٦٩]- الشرق الأدنى (مجتمعه وثقافته)، ت. كويلرينج، ت: د. عبد الرحمن محمد أيوب، هيئة الكتاب – القاهرة، ط٢٠٠٢، ص١٥٧.

الباب الأول

التطور التاريخي للعمل التنصيري في العالم العربي

(أهم محاوره)

الفصل الأول

تاريخ التنصير في إقليم الهلال الخصيب

(فلسطين - الأردن – العراق - سوريا - لبنان)

المبحث الأول: **الرهبانيات ودورها في ظهور العمل التنصيري.**

المبحث الثاني: **العمل التنصيري في إقليم الهلال الخصيب (من القرن الثاني عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر).**

المبحث الثالث: **العمل التنصيري في إقليم الهلال الخصيب (من منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين)**

تمهيد:

لقد كان للمسيحية في هذا الإقليم إمارة مسيحية عرفت بالكرسي الأنطاكي، ولكن نظرا للاختلافات العقائدية التي وقعت بعد أن أعلن «قسطنطين» اعترافه بالديانة المسيحية، أدى إلى انفصالات متتالية في هذا الكرسي، وكان أول انفصال في كرسي أنطاكية للنساطرة عام ٤٩٨م، بعد أن رفضهم مجمع أفسس ٤٣١م.

وتلا ذلك انفصال السريان والأرمن عن أنطاكية، نتيجة رفضهم لمقررات مجمع خلقيدونية.

وبعد ذلك انفصل الموارنة عن أنطاكية وأقاموا «يوحنا مارون» بطريكاً عليهم ٦٨٥م في منطقة افاميا[٧٠] الكائنة في لبنان[٧١].

ومنذ منتصف القرن الثامن، طالبت الكنيسة الكردية الأرثوذكسية باستقلالها عن الكرسي الأنطاكي، وحصلت عليه عام ١٠٥٠م وأصبحت كنيسة أرثوذكسية مستقلة، وبداية من هذه الفترة بدأ انتشار أديرة الرهبان الكاثوليك في معظم بلاد الشام، الأمر الذي أدى إلى عودة العمل التنصيري إلى البلدان العربية.

ولذلك فإنه من الأهمية بمكان أن أعطي نبذة مختصرة، وفي مبحث مستقل، عن الدور الذي قامت به هذه الرهبانيات في هذه الفترة خاصة تلك التي نشأت في فلسطين

٧٠- ومنطقة أفاميا كائنة الآن في سوريا.

٧١- حيث كان لبنان جزءا من سوريا إلى أن قام كيانه الحالي على تلاقي إرادتي الموارنة المسيحيين من جهة والمسلمين السنة والشيعة والدروز من جهة أخرى، وتجسد ذلك فيما يعرف بميثاق عام ١٩٤٣م، بين رياض الصلح (السني) وبشارة الخوري (الماروني)، وهما زعيما لبنان الأولان عند استقلاله عن الانتداب الفرنسي. وأسماه الجنرال الفرنسي/ غورو باسم لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، عند انتداب فرنسا على سوريا ولبنان، وقام بتوسيع حدود متصرفية جبل لبنان في العصر العثماني. وفي عام ١٩٢٥م أعلن لبنان جمهورية تحت الانتداب الفرنسي، وانتخب شارل دباس رئيسا للجمهورية. وفي ٢٥ مارس من عام ١٩٢٠م أعلنت حكومة فرنسا الحرة استقلال لبنان وأقامت حكومة مؤقتة برئاسة أيوب ثابت .

لاعتقادي أنها كانت سببا مباشرا من أسباب التدخل السياسي الغربي في فلسطين أولا، ثم في سائر الدول العربية بعد أن انتشرت هذه الرهبانيات وغيرها في بعض البلدان العربية لنفس السبب[٧٢]، ثم بعد ذلك سألقي نظرة تاريخية سريعة عن تاريخ العمل التنصيري وأهم مسالكه لكل من: الطائفة الكاثوليكية والطائفة البرتستانتية[٧٣] والطائفة الأرثوذكسية في هذا الإقليم ليتسنى لي بعد ذلك أن أقف على حقيقة العمل التنصيري في العالم العربي في العصر الحديث.

٧٢- كما سنذكر ذلك في وقته.

٧٣- البروتستانت: وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، وقُصد بهذه التسمية أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادرٍ الحق في فهمه، وجميعهم متساوون أمام هذا الكتاب وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقْفاً على رجال الكنيسة، ولا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتداولها الباباوات الواحد عن الآخر. المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٢٠٢، نقلاً عن: ١٩ pengadjaran Geradja Katolic p. وتتبع الكنيسة البروتستانتية نظاماً تعاونياً أي يتعاون أعضاؤها على القيادة والوعظ، مع عدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة. المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٢٠٢، مرجع سابق.

المبحث الأول

الرهبانيات ودورها في ظهور العمل التنصيري

كان للرهبانيات دور رئيسي ومؤثر في التمكين للعمل التنصيري وإظهاره في شكله المؤسسي، خاصة تلك الأديرة التي أنشئت في فلسطين[٧٤] قبل مرحلة الحروب الصليبية وفي أثنائها وما بعدها، والذي سأحاول بقدر الاستطاعة أن أوجزه في ثلاثة محاور.

المحور الأول: رسم صورة الإسلام والعرب في الذهن الأوربي قبل الحروب الصليبية

يقول «أليكسي جورافسكي»:

"إذا نظرنا إلى أدب القرون الوسطى حول الإسلام نجد أن غالبيته وضع من قبل رجال الدين المسيحيين، الذين استندوا إلى مصادر شديدة التمايز والتباين، كالحكايات الشعبية، وقصص الأبطال والحجاج والقديسين، والمؤلفات الجدلية اللاهوتية الدفاعية للمسيحيين الشرقيين، وغيرها ولكن المعلومات المقدمة كانت معظمها تنتزع من سياقها

٧٤- يذكر الكاتب/ نقولا زيادة: أنه من ضمن الأسباب في نشأة هذه الأديرة "كون الحجاج الغربيين – (يُعتبر الحج المقدس من الطقوس المستحدثة، فليس في صلب الدين المسيحي ما ينص على وجوب الحج على المسيحيين، لذلك فإن مسألة حج الأوربيين إلى الديار المقدسة في فلسطين كان مبعثه خليطا من ارتباط تاريخي فيما يتعلق بحياة المسيح والمكان الذي ولد فيه مع ارتباط روحاني في قدسية هذه المناطق، ويوما بعد يوم أخذت وفود الحجاج تتزايد وربما تعثر وصول الحجاج في بداية الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام ولكن من المؤكد كما يقول رينسيمان: أن عهد الحج الأكبر قد بدأ في القرن العاشر الميلادي. نظرة عربية على غزوات الإفرنج، تيسير بن موسى، الدار العربية للكتاب، ص٥١- ٥٢. نقلا عن: رينسيمان، الحروب الصليبية، جـ الأول، ص ص٢٠،٧٧) – الآتين من الأماكن المختلفة إلى بيت المقدس، والذين أخذوا يتوافدون على فلسطين منذ حوالي عام ٣٠٠م، بدأ عددهم يتزايد، لذلك أخذ البعض منهم يقيمون أديرة في القدس وبيت لحم وما إليها لإقامة الحجاج. ثم أصبحت هذه الأديرة مقرا لرهبان وراهبات يقيمون في البلاد إقامة دائمة". المسيحية والعرب، نقولا زيادة، ص١٢٢ بتصرف، مرجع سابق.

الأصلي، ثم تقدم إلى القارئ الأوروبي، وبهذا الشكل شوهت الوقائع بصورة متعمدة واعية أحيانا أو بشكل غير واع في أحيان أخرى"[٧٥].

وعلى سبيل المثال فهذا راهب دومينكاني يزور بغداد، ويخرج على الأوربيين بالحكايات الخرافية التالية:

بما أنه لم تكن للشيطان قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسيحية في الشرق، اخترع كتابا يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والجديد، واستخدم لأجل هذه الغاية الشريرة وسيطا من طبيعة الشيطان ذاته، أما الكتاب فهو القرآن، بينما الوسيط هو محمد، الذي يجسد دور المسيح الدجال[٧٦].

وتعطينا «زيجريد هونكة» الألمانية صورة أكثر وضوحا عن الدور الذي قام به بعض رهبان القرون الوسطى في رسم صورة الإسلام –وذلك قبل الحروب الصليبية مباشرة– فتقول:

"وانطلاقاً من صحة المقولة التي تزعم بحق أن الصورة المجسدة تؤلب في الوجدان ما يعجز عنه اللسان، قام الرهبان – بعد أن صوروا على الكرتون ونحوه صوراً وأشكالاً بشعة حاقدة– بحمل تلك التصاوير مطوفين بها في الشوارع والطرقات، وقد ارتدوا زكائب خشنة منسوجة من شعر المعز، إمعاناً في إظهار فداحة الخطب، منادين بالويل والثبور وعظائم الأمور، من صورة فارس بربري يوطئ قبر المسيح سنابك فرسه، وقد راح يبول فوقه إمعاناً في الامتهان، إلى صورة همجي لا يكف عن صفع المسيح وإدماء وجهه، ثم يقوم حاملوا تلك الصور الكرتونية بتنوير الممعن النظر في الصورة والذي يقشعر لما يرى، فيبين له أن ذلك الرجل الذي يرى صورته ليس سوى (مُحمد) الذي

٧٥– الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، أليكسي جورافسكي، ت: د. خلف محمد الجراد، ص٦٧.

٧٦– المرجع السابق، ص٧٢. نقلا عن: **ph. Hitti. Islam and the west.,p.٥٠.**

راح يصفع المسيح ويدمي وجهه حتى أجهز عليه قتلاً"[77].

ووصلت في النهاية إلى حقيقة مفادها أن "تلك الدعايات قد أثمرت ثمار شؤم، ليقع المسيحي الغربي في شراك الأكاذيب والشائعات التي روجت لها الكنيسة ظلماً وبهتاناً"[78].

وبشكل عام فقد كون بعض رهبان هذه الفترة في ذهن الأوربيين في القرون الوسطى الصورة النمطية، التي ما زال يعاني منها العقل الأوربي في حكمه على الإسلام حتى الآن وربما ظهر ذلك في بعض الدعايات التي تبثها وسائل الاتصال بكافة أنواعها. وهذه الصورة هي:

- أن الإسلام عقيدة ابتدعها محمد.
- أنها عقيدة تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق.
- أنها ديانة الجبر، والانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشهوات الحسية.
- أنها ديانة العنف والقسوة[79].

ويبدو أن هذه الخلفية النمطية عن الإسلام، التي ساعد بعض رهبان الغرب في إبرازها قد رسمت الخطوط العريضة لأي مواجهة فكرية أو عسكرية مع الإسلام ومع العرب والمسلمين بصورة عامة، فقد رصد «جاك شاهين»[80] في كتابه: (عرب السينما

---

[77]– الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، ت: د.غريب محمد غريب، دار الشروق – القاهرة ط الثانية– ١٩٩٦م، ص٢٩.

[78]– المرجع السابق، ص٢٠.

[79]– الإسلام والمسيحية، أليكسي جورافسكي، ص٧٣، مرجع سابق. نقلا عن: تأثير الإسلام على أوربا في القرون الوسطى. مونتجمري واط، ص٩٩.

[80]– جاك شاهين، الأستاذ في جامعة جنوب الينوى والمستشار الإخباري السابق لدى محطة CBS الإخبارية لشؤون الشرق الأوسط.

الأشرار: كيف تذم هوليود شعبا؟) حوالي ٩٠٠ فيلم روائي أنتجتها هوليود منذ صناعة السينما وحتى الآن تبرز من خلالها صورة العربي وكونه إرهابيا ومخادعا، وتاجر رقيق وخاطف نساء، لتأتي أحداث ١١ سبتمبر وقد كُرِّست صورة نمطية لدى ملايين المشاهدين على مستوى العالم مفادها أن: الإسلام يساوي الإرهاب"[٨١].

كما توصل «عبد القادر طائش» في كتابه (صورة الإسلام في الإعلام الغربي)، وبعد سرد أمثلة لأفلام أنتجتها هوليود منذ صناعة السينما وحتى الآن إلى أن الصورة النمطية المسيئة للإسلام والعرب التي يروج لها إعلام الغرب اليوم ليست إلا امتداداً لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى، ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين الطامعين في أرض العرب[٨٢].

المحور الثاني: تثبيت أقدام النصارى الغربيين في الحروب الصليبية

يقول الكاتب/ «ميخائيل زابوروف»: كانت الرهبانيات في القدس ذات أثر عظيم في تمكين الصليبين من هذه المنطقة خاصة المسماه (جمعية الأوسبتاليين[٨٣]، ثم جمعية

---

[٨١]– جناية هوليود على العرب والمسلمين!، د. على بن محمد العجلة، منار الإسلام، عدد١١، سنة٢٧ يناير– فبراير٢٠٠٢، ص٦:٨ بتصرف.

[٨٢]– صورة الإسلام في الإعلام الغربي، د. عبد القادر طائش، ص٨ مرجع سابق.

[٨٣]– انبثقت جمعية الأوسبتاليين بوصفها منظمة للإحسان. ونمت على أساس بيت لاستقبال الضيوف الغرباء سبق أن بناه حوالي عام ١٠٧٠م في القدس تجار من مدينة (أمالفي) الإيطالية، وهذا البيت أطلقوا عليه اسم (القديس يوحنا) وكان يعتلي منصب بطريرك الإسكندرية في القرن السابع المسيحي. وفي جوار المضافة كان يعيش الرهبان الذين يخدمونه، والذين انضموا فيما بعد إلى جمعية بهذا الاسم هي جمعية الأوسبتاليين. وقد أخذوا على عاتقهم أمر العناية بالحجاج الذين يتوافدون إلى فلسطين، فكانوا يوفرون لهم المأكل والمسكن، ويعالجون من يمرض في الطريق منهم. وفيما بعد بنوا مضافات مماثلة في أنحاء أخرى من القدس. ولكن واجبات الإحسان تراجعت عندهم إلى المرتبة الثانية، بعد مرور بضع سنوات على احتلال الصليبين للقدس، وفي عهد

الهيكليين[٨٤] وبعدهم جمعية الفرسان التوتونيين الألمانية)، كانت هذه الجمعيات من حيث سيماها الخارجية جمعيات دينية، فقد كان الفرسان الذين ينضمون إليها يعطون العهود الرهبانية التقليدية الثلاثة: (العفة والفقر والطاعة)[٨٥]، كما كان منظر الفرسان الخارجي يشبه منظر الرهبان، فقد كانوا يرتدون معطفا عليه صليب[٨٦]، ولكن جميع هذه اللواحق لم تكن أكثر من رمز؛ فإن عباءة فرسان المسيح الرهبانية كانت تستر درع الفارس، وكان الرمح والسيف، وليس كلمة الوعظ سلاح الفرسان الرهبان.

وفضلا على ذلك، نشأت على امتداد العقود الأخيرة من القرن الثاني عشر وفي القرن الثالث عشر أخويات دينية[٨٧]، وهي اتحادات عسكرية لسكان المدن قريبة من حيث طابعها من الجمعيات، وانبثقت هذه الأخويات ابتداء من أواسط السبعينيات من القرن الثاني عشر. -أي قبل أن يسترد «صلاح الدين الأيوبي» القدس في معركة حطين

الأستاذ الأكبر الثاني (ريمون دي بوي ١١٢٠- ١١٦٠م) حيث صارت جمعيتهم على الأغلب جمعية عسكرية، فرسانية. الصليبيون في الشرق، ميخائيل زابوروف، ترجمة: إلياس شاهين، ص١٥٩، مرجع سابق.

٨٤- الهيكليون: أسسها جماعة من الفرسان الفرنسيين في عامي (١١١٨- ١١١٩م). وسموا أنفسهم أيضا (فرسان المسيح وهيكل سليمان الفقراء). حسب الاسم الذي ابتدعه الصليبيون أنفسهم للمسجد الأقصى حين اعتبروا خطأ أنه هيكل سليمان. المرجع السابق، ص١٦٠.

٨٥- أي أنهم كانوا يتعهدون بعدم تأسيس عائلات، وعدم السعي إلى تكديس الثروات، والخضوع بلا قيد ولا شرط لمن هم أكبر وأقدم في المرتبة في الجمعية.

٨٦- وهذا الحق منحهم إياه البابا/ أوجين الثالث، في عام ١١٤٧م، أثناء الجلسة الأولى لكابيتول -الاجتماع العام- الجمعية الذي انعقد آنذاك في باريس.

٨٧- كانت الأخويات خلافا للجمعيات روابط مؤقته تضم في قوامها الحجاج من أبناء منطقة واحدة، وبصورة رئيسية التجار والمعلمين الحرفيين، الذين قدموا إلى مملكة القدس لتصريف شئونهم والذين اشتركوا في النضال ضد المسلمين. المرجع السابق، ص١٥٨.

عام ١١٨٧م- ومن هذه الأخويات:

- أخوية القديسين «أندراوس» و«بطرس» التي تأسست في عكا.

- أخوية البيزيين.

- الأخوية الإيطالية للروح القدس.

- الأخوية الألمانية للقديس «يعقوب»[٨٨].

ولقد قامت هذه الجمعيات والأخويات بمساعدة الجنود الغربيين في جانبين:

الجانب الأول: إعطاؤهم المعلومات والتقارير، التي من خلالها يتضح لهم كيفية التوغل داخل البلدان العربية.

الجانب الثاني: الاشتراك معهم في أغلب الأحيان -وحينما يتطلب الأمر- في القتال ضد العرب والمسلمين.

المحور الثالث: قيامهم بالعمل التنصيري المنظم بعد الحروب الصليبية.

وربما تكون كلمات «جوزيف» صالحة لوضعها تعليقا على ذلك المحور حيث قال: "وهكذا انحرفت تلك الجماعات الرهبانية عن مبادئها الأصلية، وأصبح رجالها رجال دين ودنيا، رجال يلبسون مسوح الرهبان وفي نفس الوقت يقاتلون من فوق ظهور الخيل"[٨٩].

---

[٨٨]- الصليبيون في الشرق، ميخائيل زابوروف، ص١٥٨- ١٥٩ بتصرف. مرجع سابق.

[٨٩]- العرب والروم واللاتين، د. جوزيف نسيم، ص٩١، مرجع سابق.

المبحث الثاني

الطوائف النصرانية و العمل التنصيري (من القرن الثاني عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)

أولا: الكاثوليك.

اعتمادا على الأطروحة التي تقدم بها «ريموند لول» الفرنسيسكاني، ورسالة «وليم الطرابلسي» الدومنيكاني في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر واللتين رُسمت من خلالهما الخطوط العريضة، التي ارتشف منها العمل التنصيري رشفة ما زالت تُحيِّه إلى الآن، يتضح لنا أن بعض الآباء الفرنسيسكان، والدومنيكان كانوا من أوائل المخططين للعمل التنصيري الكاثوليكي بين العرب والمسلمين بل المنفذين له أيضا، والذين دخلت مؤسساهم مع الحروب الصليبية.

واعتمد عملهم التنصيري على عدة محاور في هذه الفترة هي:

المحور الأول: دراسة الواقع الحالي للإقليم

قام بعض المنصرين الكاثوليك بالدراسة الميدانية لإقليم الهلال الخصيب، لاختيار أنسب الطرق ملاءمة لبداية عملهم كما عكفوا على دراسة الإسلام دراسة وافية لنفس الغرض.

المحور الثاني: التقرب إلى الطوائف المسيحية الموجودة في المنطقة

التي منها:

الطائفة المارونية: كانت هذه الطائفة من أولى الطوائف التي ركز عليها المنصرون في عملهم التنصيري، وربما يكون السبب في ذلك أن:

الطائفة المارونية كانت قد انتظمت منذ أواخر القرن السابع الميلادي في جماعة

كنسية مستقلة ذات طابع رهباني، حيث تم انتخاب أحد رهبان دير مار مارون بطريركا وهو «مار يوحنا مارون»، كما أن المعتقد الخلقيدوني (القائل بالطبيعتين) لدى الموارنة كان من العوامل الأساسية في تعزيز الشراكة الكنسية مع كرسي روما في القرن الثاني عشر. وهكذا كانت الأجواء مهيأة لأن يتقبل الموارنة سلطة البابوية الكاثوليكية في روما – كما صرحت بذلك كنيستهم–[٩٠].

وكان عمل أغلب الإرساليات الكاثوليكية – حيث قدم اليسوعيون[٩١] إلى لبنان عام ١٥٢٧م– منصبا على توطيد مفهوم الشراكة أولا، ثم تلقينهم المفاهيم الجديدة للعمل التنصيري ثانيا، وكان عملها يهدف في هذه الفترة إلى فهم الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة بهم حتى يتسنى لهم إبراز هويتهم الدينية والثقافية في إقليم سوريا الكبير، وكان من ضمن العوامل المشجعة للموارنة قيام الفرنسيسكان بإرسال بعثات منهم إلى قلب الكاثوليكية في روما، وكان من آثارها إنشاء أول مطبعة في لبنان عام ١٦١٠م، حيث جلبها بعض رهبان الطائفة المارونية بعدما انتهت مدة بعثتهم في روما[٩٢]، واقتصرت على طبع الكتب الدينية وبلغة غير عربية هي السريانية[٩٣]، حتى تمكن الشماس/ «عبد الله الزاخر» عام ١٧٣٣م جلب أول مطبعة عربية في لبنان بدير مار يوحنا[٩٤].

---

[٩٠]– موقع/ antetiasdiocese.org، هوية الكنيسة المارونية ودعوتها ورسالتها.

[٩١]– اليسوعيون: رهبنة مسيحية كاثوليكية أسسها زعيمها أجناتيوس لويولا Ignatius Loyola (١٤٩١ – ١٥٥٦م) أحد الفرسان الأسبان، بدأ في تأسيسها عام ١٥٣٤، وتعهد أعضاء الجمعية بالرحيل إلى بيت المقدس بعد الفراغ من دراستهم ليكرسوا حياتهم لخدمة الدين والدعوة إلى انتزاع بيت المقدس من أيدي الأتراك المسلمين، ولقد باركها في بادئ الأمر البابا بول الثالث. وموجة العداء ضد اليسوعيين بلغت ذروتها حوالي عام ١٧٦٥م، وأدت بالبابا إلى حل النظام في عام ١٧٧٣م، وكان البرتغال أول من قرر طرد اليسوعيين ففي عام ١٧٥٧م طُرد بومبال من بلاط اليسوعيين وبعد عامين اتهم الجمعية، باشتراكها بمؤامرة ضد الملك. وفي ١٧٥٩م طرد اليسوعيين من البرتغال، وفي عام ١٧٧٣م لفظت الرسالة الحبرية الخاصة Dominus ac Redemptor الحكم بحل الجمعية اليسوعية في كل أوربا الكاثوليكية. تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة، د. ماتيو آندرسون، ت: د. نور الدين حاطوم، ص٤٤٧ : ٤٤٩ بتصرف مرجع سابق.

[٩٢]– بدايات الصحافة الليبية (١٨٦٦ – ١٩٢٢م)، عبد العزيز سعيد الصويعي، ص٤٣ .

[٩٣]– المرجع السابق، ص٢٤٥.

[٩٤]– المرجع السابق، ص٤٣.

وبذلك استطاعت الكاثوليكية أن ترسخ أقدامها في إقليم الهلال الخصيب الأمر الذي مكن لهم عام ١٦٨١م، من تأسيس دير مار أنطونيوس البادواني في حريصا، وفي عام ١٧٦٩م، عمدت الإرسالية في القدس زيادة حجم الدير، ليكون مَضيفاً لرهبانهم المرسلين في بيروت وطرابلس وغيرها من الأماكن الساحلية، وأصبح الرئيس العام لتلك الرهبنة يناظر على الطوائف الشرقية بمقام قاصد رسولي، وقد كان يحضر إلى هذا الدير للاجتماع برؤساء الطوائف عندما كانت تدعو الحاجة إلى ذلك.

وفي عام ١٦٩٩م أصدر المجمع المقدس قراراً يقضي بجعل هذا الدير مدرسة لعشرة مرسلين يدرسون اللغة العربية ويساعدون الطائفة المارونية في الأمور الروحية، وهكذا نشأ في حريصا الدير الأول الذي كان نواة لنشوء المؤسسات الروحية المتعددة فيما بعد، وأصبح هذا الدير من الأهمية بمكان بصفة أن رئيسه كان القاصد الرسولي في لبنان [٩٥].

الطائفة النسطورية: قَدمت الرهبانية الكرملية الفرنسية إلى العراق عام ١٦٢٢، واستطاعت أن تؤسس لنفسها دعائم في الموصل برئاسة «جان ردفال» وقامت بالعمل التنصيري بين النساطرة القاطنين في الموصل وفي القرى الواقعة في السهول المجاورة المحيطة بها كتكليف – كارامليس – باقوفة – قرقوش – القوش ونجحت في تكوين طائفة كاثوليكية منهم عرفت باسم الكلدان المتحدين لهم كنيستهم الخاصة بهم، فنصَّب البابا/ «أنوسنت الحادي عشر» عليها بطريركاً سنة ١٦٨١م هو المار/ «يوسف» الأسقف النسطوري لديار بكر الذي كان قد اختلف مع بطريرك النساطرة، وبعد حوالي مئة عام انشق المار/ «إيليا» الأسقف النسطوري في منطقة الموصل على الكنيسة

٩٥- موقع/ harissa-notredameduliban ، أديار ومؤسسات مجاورة: ديرمار أنطونيوس البدواني.

النسطورية، واعتنق المذهب الكاثوليكي وانضم إلى طائفة الكلدان المتحدين[٩٦].

ثانيا: الأرثوذكس.

كان لزيادة العمل التنصيري الكاثوليكي في إقليم الهلال الخصيب وتركيزه على الطوائف المسيحية المستقلة أن انفصلت الواحدة تلو الأخرى في أعقاب المجامع الكنسية كما سبق وأوضحنا ذلك، إلا أنه بقيت الطائفة الأرثوذكسية متمسكة بمعتقدها (القائل بالطبيعة الواحدة) وعلى صلة وإن كانت طفيفة ببعضها، كما كانت تربطها علاقات قوية بالكنيسة الروسية فاستعانت بها لمواجهة العمل التنصيري الكاثوليكي، واستجابت روسيا لهذا الطلب والذي وجدت فيه متنفسا لها لسببين:

الأول: محاربة البابوية الكاثوليكية التي اتهمتها بالهرطقة والانشقاق من جهة، ومحاربة الدولة العثمانية خصمها المجاور في ذلك الوقت من جهة أخرى.

فعمدت أولا إلى كسب ثقة الطائفة الأرثوذكسية الموجودة في هذا الإقليم وكان هذا من خلال تقديم المساعدات المالية لإنشاء المؤسسات الكنسية والمدارس التعليمية، حيث قام الأرثوذكس بإنشاء مدرسة الآسية (باب توما) عام ١٦٣٥م، كما قام «نقولا الجبلي» بدير القديس جاورجيوس عام ١٧٥١م في بيروت، بتأسيس مطبعة لخدمة الطائفة الأرثوذكسية، وأول عمل أنجزته هذه المطبعة كان كتاب المزامير، كما قاموا بتأسيس مدرسة ثانوية باسم سيدة البلمند عام ١٨٣٥ في طرابلس لبنان[٩٧].

وبذلك كان الوجود الروسي روحيا في بادئ الأمر، إلى أن تم له الحضور الرسمي المتمثل في بعض الرهبان عام ١٨٤٠م.

---

[٩٦]- موقع/ khayma (الخيمة)، النشاط التنصيري في كردستان العراق، د. فرست مرعي الدهوكي.

[٩٧]- انظر: موقع بطريركية اليونان الأرثوذكس. Antiochpat.org ، وأيضا: الصحافة الليبية، ص٤٤.

ثالثا: البرتستانت.

حل البرتستانت في العاصمة بيروت وهي مهيئة تماما لتقبلهم حيث الخلافات بين الطائفة المارونية التي تمسكت بمبادئها الأساسية الأولى التي من أجلها انفصلت عن الكرسي الأنطاكي، وبين المارونية التي انجذبت لتعاليم المنصرين الكاثوليك وأصبحت تابعة لكرسي البابوية الكاثوليكي في روما، وأستأنس في ذلك برأي «إبراهيم خليل»: "إن هؤلاء المنصرين قد مهدوا الطريق لقدوم الإرساليات البروتستانتية على اختلاف جنسياتها"[٩٨].

وبذلك فما أن حل الإنجيليون في لبنان حتى انضم إليهم البقية الباقية من المارونية وبعض الأرثوذكس، فكانت وسيلتهم الوحيدة لجمع الأتباع هي تحويل الأفراد من الطوائف الأخرى حيث أنه لم تكن هناك طائفة برتستانتية في بلاد الشام[٩٩]. وبهؤلاء الأتباع استطاعت الإرسالية الأمريكية من خلالهم أن تجد موطئ قدم لها في بيروت حيث نقلت مطبعتها من مالطة إلى بيروت في عام ١٨٣٤م، لطبع الإنجيل، وترجمته إلى العربية[١٠٠].

كما عهدت إلى المعلم/ «بطرس البستاني» بتأسيس أول كنيسة إنجيلية على النظام الجمهوري البرتستانتي عام ١٨٤٨م[١٠١]، وفي العام نفسه تم تأسيس مطبعة لهم بالقدس وأطلقوا عليها اسم مطبعة لندن[١٠٢]. وما أن جاء عام ١٨٥٠م حتى اعترفت السلطات العثمانية بالبروتستانت وأعطتها أمانا بممارسة نشاطها في البلاد[١٠٣]. وبدأ التنافس بين الطوائف النصرانية على مناطق النفوذ، وعلى اقتناص الأتباع.

٩٨- الاستشراق والتنصير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد، ص٤٤.

٩٩- يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، جورج أنطونيوس، قدم له: د. رنيين أمين فارس، ت: د. ناصر الدين أسد، وإحسان عباس، ص٩٨.

١٠٠- انظر: المطابع والمطبوعات الليبية قبل الاحتلال الإيطالي، عبد العزيز الصويعي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان – طرابلس – الجماهيرية، ص٢١.

١٠١- تاريخ الموارنة ومسيحي الشرق عبر العصور، عبد الله أبي عبد الله ، جـ ٥، دار ملفات- لبنان، ط أولى- ١٩٩٧، ص٢٨٤:٢٨٦، وأيضا: جـ ٣ ص٢٢:١١. ٦مج.

١٠٢- المطابع والمطبوعات الليبية، عبد العزيز الصويعي، ص٢٣، مرجع سابق.

١٠٣ – تاريخ الموارنة، جـ٥، ص٢٨٤:٢٨٦، مرجع سابق.

المبحث الثالث

الطوائف النصرانية وأهم محاورهم في العمل التنصيري (من النصف الثاني في القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين)

اشتد الصراع بين الكاثوليك والبرتستانت والأرثوذكس على أماكن النفوذ في الأماكن المقدسة بالعالم العربي، في أواخر النصف الأول من القرن التاسعَ عشر كما سبق أن بينا، لكن هذا الصراع ما لبث أن تحول إلى حرب استمرت ما يقرب من ثلاثة أعوام، حيث لجأت كل طائفة إلى دولتها لحمايتها، فكانت حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦م) بين روسيا التي ادعت حماية الأرثوذكس، وفرنسا التي ادعت حماية الكاثوليك، وانجلترا التي ادعت حماية البرتستانت، واتحدت فرنسا وانجلترا بعد ذلك مع الدولة العثمانية للوقوف أمام النفوذ الروسي المتنامي في المنطقة بهدف حماية اللاتين[١٠٤].

فكان السبب المباشر لهذه الحرب هو:

ما وقع من خصام عنيف في مدينة القدس بين رهبان الكاثوليك والأرثوذكس، حيث انتهز قيصر روسيا الفرصة وقدم إنذارا إلى الحكومة العثمانية يطلب منها أن تعترف به اعترافا رسميا بأنه حامي جميع الرعايا الأرثوذكس في البلاد العثمانية وتدخلت فرنسا لمنع ذلك ومن هنا أخذت الأزمة تشتد شيئا فشيئا"[١٠٥].

وفي أعقاب هذه الحرب "وفي العام ١٨٥٦م أصدر السلطان/ «عبد المجيد» بضغط

---

[١٠٤]- وفي الحرب العالمية الأولى اتحدت فرنسا وانجلترا وروسيا لضرب الدولة العثمانية الإسلامية ودول المحور "فهل من مدكر".

[١٠٥] - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، جـ ٢،ص٦١. وأيضا: الموسوعة الفلسطينية، جـ ٣، ص٥١٣. وأيضا: الموسوعة العربية العالمية، جـ٩، ص٢٥٤.

من الدول الأوربية مرسوماً سامياً، ركز فيه على المساواة التامة بين جميع طوائف الإمبراطورية في الإعفاء من الضرائب، وفي القضاء وحقوق الأفراد وواجباتهم، وبتوالي التنازلات الدستورية التي كانت تصدر من الآستانة، قويت سواعد المنصرين[١٠٦].

إذاً كانت نتيجة هذه الحرب القرمية بين الطوائف النصرانية منح الامتيازات للدول الغربية على أرض الخلافة العثمانية، وبهذه الامتيازات زادت وبشكل ملحوظ المؤسسات التنصيرية خاصة تلك المتعلقة بالخدمات الاجتماعية التي قامت بإنشائها كل من الطائفة الكاثوليكية والبرتستانتية، فأكثرتا من إنشاء المدارس أو المستشفيات التطوعية أو الاثنين معا، وقد زاد عدد ما أنشأته من هذه المستشفيات على سبيل المثال على (٢٥) مستشفى موزعة على أكثر من عشر مدن فلسطينية، وأنشأت هذه المستشفيات الإرساليات الوافدة من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية[١٠٧].

وبعد هذه الحرب أخذ التنصير في إقليم الهلال الخصيب بُعدا تنافسيا بين الطوائف ولذلك فإن طرقهم في العمل التنصيري في هذه الفترة بدت وكأنها متشابهة، وارتكزت أساسا على محورين:

المحور الأول: تثبيت نفوذهم في المنطقة والعمل على زيادته.

ويتضح هذا من خلال نقطتين إحداهما: بناء الأديرة وهذه النقطة اختصت بها الإرسالية الكاثوليكية، حيث أنشأت في الفترة الواقعة من ١٨٧٦م إلى ١٩٥٠م ما يقرب من (١٢) رهبانية للرجال وحوالي (٢١) رهبانية نسائية.

---

[١٠٦]- ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، د. إبراهيم عكاشة علي، ص٥٢.

[١٠٧] - الموسوعة الفلسطينية، جـ٤، ص١٩٩.

النقطة الثانية: محاولة التأثير على الرأي العام، وهذه اشتركت فيها كل الطوائف النصرانية.

وكان تفعيل هذه النقطة من خلال الخدمات الاجتماعية التي ركزت في هذه الفترة على بناء المدارس وإنشاء الجمعيات والمؤسسات الطبية، التي كانت على النحو التالي.

أولا: الكاثوليك.

– أخوية المدارس المسيحية (الفرير) ١٨٧٦م: أنشأت مدارس ثانوية في القدس وبيت لحم[١٠٨] ويافا، ومدرسة إصلاحية في الناصرة.

– الرهبانية السالزية ١٨٩١م: ولها مدرستان صناعيتان إحداهما في بيت لحم والأخرى في الناصرة ومدرسة بيت جما ومعهد لاهوتي في كريميزون.

– الرهبان الدومينيكان ١٨٨٤م: أنشأوا معهد التوراة والآثار وأصدروا مجلة التوراة.

– راهبات القديس يوسف ١٨٧٨م: وهن أولى الراهبات اللواتي حللن في الأرض المقدسة في العصور الحديثة، وأنشأن رياض أطفال ومدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية في القدس وبيت لحم ورام الله والرملة ويافا والناصرة، وروضة أطفال وعيادة في نابلس ورام الله، ومستشفيات في القدس ومترل ضيافة في أبو غواش، ومركز لطالبات الجامعة في بيت لحم.

– راهبات الناصرة ١٨٥٥م: أنشأن مركزا للأطفال الصم والمكفوفين ومركز لاستقبال الشباب، وفي منطقة عكا مدرسة وعيادة، وفي منطقة حيفا دير ومدرسة ثانوية، وفي منطقة شفا عمرو دير ومدرسة ابتدائية[١٠٩].

وعى وجه عام كان إجمالي المؤسسات الخدمية الكاثوليكية وخاصة فرنسا (مستشفيات ومصحات ودور اليتامى) في عام ١٩١٣م أكثر من (١٠٠) مؤسسة،

---

[١٠٨]- وتحولت إلى كلية قبيل الحرب العالمية الأولى وأطلق عليها اسم كلية الفرير عام ١٩١٢م.

[١٠٩] – للمزيد من المعلومات انظر: المرجع السابق، جـ٢، ص٤٧٩:٤٨٣.

وأكثر من (٢٢٠) مؤسسة تعليمية تضم حوالي (٥٢ ألف) طالب[١١٠].

ويعلق «جورج أنطونيوس» على الدور الكاثوليكي التنصيري من خلال التعليم في دمشق وحلب ولبنان بقوله: "لقد شاركوا مشاركة فعالة في نشر التعليم، ولكن جهدهم الأكبر كان موقوفا على استمالة الناس للدخول في طائفتهم وعلى نشر الثقافة الدينية، ولم يعملوا شيئا للنهوض باللغة العربية، ولم يكن لهم أثر يذكر في التخفيف من حدة العداوة المذهبية الطائفية، ولم يكن لهم أدنى جهد في إيجاد نهضة فكرية"[١١١].

ثانيا: البرتستانت.

وبالنسبة للبرتستانت في الفترة الواقعة بين عامي (١٩٠١ – ١٩٣٠م) قامت عدة جمعيات بريطانية بإنشاء سبعة مستشفيات في مدن فلسطينية مختلفة[١١٢].

ولإيضاح مدى نشاط العمل التنصيري البرتستانتي في هذه الفترة يمكننا الاعتماد على هذه الإحصائية عن مدينة قضاء نابلس في فلسطين حيث كان عدد المسيحيين كالتالي:

أرثوذكس ٨٧٢ – لاتين ٣٤٧ – برتستانت ٣٩٣

وفي عام ١٩٠٨م كان عدد المسيحيين على النحو التالي:

أرثوذكس ٩٣٩ – لاتين ٢٨١ – برتستانت ٤٥٥[١١٣]

وبذلك وبالنظر إلى هاتين الإحصائيتين يتبين لنا مدى النشاط البرتستانتي في مدينة

١١٠– الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى المسلاتي، دار اقرأ، ط أولى– ١٩٨٦، ص٢٠٢. نقلا عن: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، وجيه كوثراني، معهد الإنماء العربي، عدد ١، طرابلس ١٩٧٦، ص١٩٠–١٩١.

١١١– يقظة العرب، جورج أنطونيوس، ص٩٩، مرجع سابق.

١١٢– الموسوعة الفلسطينية، جـ٤، ص٢٠٠، مرجع سابق.

١١٣– المرجع السابق، جـ٢، ص٧٨– ٧٩.

واحدة فقط، فعلى الرغم من كون الطائفة البرتستانتية حديثة النشأة لكنها استطاعت بفضل المرسلين أن تجتذب أعدادا لا بأس بها في هذه البلدة، ويتضح لنا أن نشاطهم كان منصبا على المسيحيين.

وكان نصيب سوريا وحدها من المدارس الأمريكية عام ١٩٠٩م: (١٧٤) مدرسة في المدن والقرى، وفي عام ١٨٥٨م أسس «خليل الخوري» المطبعة السورية، وأصدر صحيفة حديقة الأخبار[١١٤]، وفي عام ١٨٦٦م تم إنشاء الكلية الإنجيلية السورية، التي عرفت فيما بعد باسم جامعة بيروت الأمريكية، لتربى فيها الكوادر التنصيرية من كل الدول العربية الأخرى، لحمل رسالة التنصير.

ثالثا: الأرثوذكس.

ولقد قامت أيضا الطائفة الأرثوذكسية بنشاط ملحوظ في إنشاء المدارس والجمعيات منها:

– مدرسة القديس يوحنا الدمشقي الابتدائية تأسست عام ١٨٨٤م، وتضم جميع المراحل من الحضانة بفئاته الثلاث حتى نهاية المرحلة الابتدائية.

– المدرسة الأهلية الخاصة للتعليم الأساسي (حلقة أولى، حلقة ثانية) تأسست عام ١٩١٢م.

– جمعية القديس بندلايمون تأسست عام ١٩٠٠م لرعاية الأيتام من الإناث.

– جمعية القديس غريغوريوس الأرثوذكسية تأسست عام ١٩١٢م، وأسست تحت اسم جمعية حب التسبيح والتعليم.

– جمعية المستوصف الخيري، تأسست بدمشق عام ١٩٤٦م.

– جمعية القديس جاورجيوس لدفن الموتى، تأسست الجمعية عام ١٨٨٨م باسم جمعية

[١١٤]– الصحافة الليبية، عبد العزيز الصويعي، ص ٤٥.

القديس جاورجيوس الأرثوذكسية لدفن الموتى بدمشق، وهي بجانب عملها الواضح من اسمها، تهتم أيضاً بمساعدة بعض العائلات المستورة والفقيرة وخاصة في الأعياد (عيد الميلاد، عيد الفصح)، بالإضافة إلى مساعدة البعض من الطلاب لإكمال دراستهم[١١٥].

المحور الثاني: محاولة إنشاء دول مسيحية في المنطقة ذات كيان مستقل.

وعندنا طائفتان في هذه المنطقة ركز المنصرون عليهما وزرعا في نفوسهما القيام بذلك هما: الموارنة والأشوريون، وسنأخذ الأشوريين مثالا.

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى على العمل التنصيري، توحيد العمل بين بعض الطوائف التنصيرية المتناحرة في المنطقة، فبعد أن أعلنت ألمانيا والنمسا والمجر الحرب على صربيا وتبعتها انجلترا وفرنسا وروسيا في الحرب على دول المحور، وبعد ثلاثة أيام من هجوم الأسطول (التركي - الألماني) على الموانئ الروسية أي في ٢ نوفمبر ١٩١٤م شنت القوات البرية العثمانية هجوماً على مدينة قارص العثمانية المحتلة بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩١٤م، وفي بداية الحرب أرسل القنصل الروسي في مدينة (وان) ثلاثة رجال استطلاع محملين برسالة إلى «بنيامين مار شمعون» في مقره بقرية قوجانس، وقد عاد هؤلاء الثلاثة محملين برسالة من البطريرك يؤكد فيها استعداده للتمرد ضد الدولة العثمانية، شريطة أن تأتي روسيا إلى منطقة باشقلعة وديز، وحينئذ يلتحم الآشوريون مع القوات الروسية الغازية، وفي اليوم نفسه توجهت تشكيلات آشورية من إيران إلى منطقة (ميركا وار) لتعزيز الدفاعات الروسية في وجه الهجمات العثمانية[١١٦].

وبذلك شارك المرتزقة الأرمن والآشوريون بقيادة «بطرس آغا» مع القوات الروسية

---

[١١٥]- انظر: موقع/ بطريركية اليونان الأرثوذكس.Antiochpat.org

[١١٦]- الآشوريون والمسألة الآشورية، ص٨٤.

في حرق مئات القرى في العراق وخاصة في المنطقة الكردية ومنطقة هكاريو أورمية، وأدت هذه الأعمال إلى قتل وتشريد لحوالي مليون مسلم عراقي، وحين انسحبت القوات الروسية من كردستان تحت ضغط القوات العثمانية وظهور ثورة أكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧م سلمت أسلحتها للمرتزقة الآشوريين، كما قامت القنصلية الفرنسية في استنبول بدعم القوات الآشورية وتمويلها، ووصلت قوة القوات الآثورية بقيادة المار/ «شمعون» إلى حد مَكّنَهم من السيطرة على مدينة أورمية وما حولها في كردستان إيران، وحين تكاملت استعدادات القوات الآشورية بدأت الأوساط الآشورية في لندن وباريس تدعو إلى إنشاء كيان قومي لهم في كردستان[١١٧] كبداية للمطالبة بإنشاء دولة مستقلة.

ووقف ممثلو الشعب الآشوري عام ١٩١٩م في مؤتمر الصلح في باريس مدافعين عن حق الوجود القومي الآشوري، ومن ثم معاهدة «سيفر» التي أبرمت في فرنسا عام ١٩٢٠م، وفي أعقاب مؤتمر القاهرة الاستعماري الذي عقد في مارس ١٩٢١م برئاسة «ونستون تشرشل» وزير المستعمرات البريطاني شكلت من كتائب الآشوريين قوة خاصة سميت (الليفي) مهمتها مساندة القوات البريطانية في إخماد انتفاضة الشعب العراقي على أثر انتفاضة الكرد في سنة ١٩١٩م، وثورة العشرين العراقية عام ١٩٢٠م، كما قام الإنجليز في الوقت نفسه بإسكان الآشوريين في المناطق الكردية في منطقة العمادية وعقرة ودهوك وديانا، وقاموا بترحيل الكرد إلى مناطق أخرى، وقاموا بارتكاب مذبحة بشرية في مدينة كركوك بتاريخ ٤ مايو ١٩٢٤م، وقد سبق هذه المذبحة قيام الآشوريين بارتكاب مذبحة

١١٧- إسماعيل آغا سمكو، ثعلب السياسة الكردية ورائدها في البراغماتية، عثمان علي، مجلة نالاي إيسلام، عدد ٣، ص١٦ - ١٧.

أخرى في مدينة الموصل بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٢٣م، لتأتي معاهدة (لوزان) بسويسرا عام ١٩٢٤م لإكمال هذه المسيرة، حيث نصت صراحة على الحق القومي للشعب الآشوري في أرض وطنه بالتعاون مع الحكومات الوطنية، ثم تلتها اللجنة الهنجارية البلجيكية عام ١٩٢٥م التي اقترحت ضم الموصل في الجنوب إلى العراق، وضم (هكاري) في الشمال إلى تركيا، مع المحافظة على الحقوق التاريخية القديمة التي كان يملكها الآشوريون، وحق المهاجرين منهم في العودة إلى ديارهم في (هكاري)[١١٨]

وبذلك خلف لنا العمل التنصيري بعد الحرب العالمية الثانية المشكلة الأشورية والكردية.

ويعلق القس/ «عيسى دياب» على محاولة الكنيسة إنشاء دولة مسيحية بصفة عامة خاصة في المنطقة العربية بقوله:

منذ «قسطنطين» بدأت المحاولات لإقامة ما يسمى الدولة المسيحية، هذه المحاولات وجدت فشلاً ذريعاً، كادت تقضي على المسيحية المشرقية، ثم كررت هذه المحاولات بمستوى أدنى ولاقت كلها المصير نفسه... ويبرر ذلك بأن مشروع الدولة المسيحية لا يتماشى مع روح المسيحية، فمشروع الدولة هو مشروع أرضي بينما المسيحية تبشر بوطن سماوي. المسيحية ديانة لا دنيا... ونكرر القول إن مشروع الدولة المسيحية هو مشروع دخيل على جوهر الكنيسة وطبيعتها[١١٩].

١١٨- انظر: موقع/ **khayma** (الخيمة)، النشاط التنصيري في كردستان العراق، د. فرست مرعي الدهوكي. وأيضا: الاستشراق والتنصير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد، ص٤٤، مرجع سابق.

ولكن في نظر الباحث إن لم يتمكن الأشوريون من تحقيق ذلك فقد نجحت الدول الغربية في الناحية الأخرى حيث لبنان التي أعلنت عن نفسها عام ١٩٢٠.

١١٩- انظر: موقع/ **bintjbeil** (بنت الجبل)، المسيحيون الشرقيون، القس/ عيسى دياب، جريدة النهار- لبنان، الأحد، ٤ أيـار «مـايو» ٢٠٠٣.

الفصل الثاني

تاريخ العمل التنصيري في مصر

المبحث الأول: العمل التنصيري في مصر (من القرن الثاني عشر وحتى عام ١٧٧٨م).

المبحث الثاني: العمل التنصيري في مصر (من عام ١٧٧٩م وحتى عام ١٨٨١م).

المبحث الثالث: العمل التنصيري في مصر (من عام ١٨٨٢م وحتى عام ١٩٥٣م).

تمهيد:

دخلت المسيحية مصر على يد القديس «مرقس» الحواري في عام ٦١م، والذي نسب إليه إنجيل مرقس، وبحسب التقليد القبطي كان أول بطريرك لكرسي الإسكندرية. حيث بشَّر بالمسيحية في هذه المدينة، وكان المصريون يعانون مظالم الحكم الروماني واضطهاده الشديد لهم بفرض الضرائب الكبيرة التي أجبرت أصحاب الأراضي الزراعية على تركها بسبب عجزهم عن دفع الضرائب وهروباً من أعمال السخرة التي فرضها عليهم الرومان، وبدأ الاضطهاد الروماني للمصرين الذين اعتنقوا المسيحية منذ القرن الأول الميلادي، وتمثلت أعنف هذه الاضطهادات في حَدَثين الأول: استشهاد القديس «مرقس» عام ٦٨م.

الثاني: وقع على يد الإمبراطور/ «دقلديانوس» (٢٤٨-٣٠٥م) عام ٣٠٣م، وقد سمي عصره بعصر الشهداء بسبب كثرة النصارى الذين قتلوا في عهده، وتخليدا لهذه الذكرى فإن التقويم القبطي المسمى بعهد الشهداء يبدأ بالسنة الأولى من حكم «دقلديانوس» عام ٢٨٤م، وانتهى هذا الاضطهاد بدخول الإمبراطور/ «قسطنطين» (٣٢٤-٣٣٧م) في المسيحية، واعترافه بالمسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية البيزنطية[١٢٠].

وما كادت تنتهي الاضطهادات الرومانية الوثنية للنصارى، حتى بدأت الصراعات الداخلية بين كنيسة الإسكندرية حيث كانت الأريوسية وما دار حولها مشكلة الكنيسة الرئيسية في أوائل القرن الرابع[١٢١]، وما أن انتهت هذه المشكلة برفع جماعة الإسكندرية الحرمان عن «أريوس» تحت ضغط الأسقف «يوسابيوس» أسقف قيصرية فلسطين حتى

---

[١٢٠]- موسوعة تاريخ الأقباط، جـ ١، ص ٣٥:٣٧ بتصرف، مرجع سابق. وأيضا: المسيحية والعرب، نقولا زيادة، ص٨٤، مرجع سابق.

[١٢١]- باعتقادي وبسبب هذه الصراعات المتكررة بين المذاهب المسيحية نشأت حياة الرهبنة والتفرغ للعبادة الآمنة المستقرة في هذا القرن.

دخلت كنيسة الإسكندرية في صراعات مع كنيسة روما، الأمر الذي انتهى إلى انقسام الكنيسة بعد مؤتمر خلقدونية عام ٤٥١م، وخلال حكم الإمبراطور البيزنطي «مرقيانوس» (٤٥٠-٤٥٧م) إلى مذهبين:

مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح بزعامة كنيسة الإسكندرية.

ومذهب الطبيعتين وتتزعمه القسطنطينية، التي أصبحت بطريركية عام ٣٨١م.

ثم دخل الصراع في بداية القرن السابع إلى صراع ثلاثي بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وذلك حينما توج «هرقل بن هرقل» نفسه إمبراطورا عام ٦١٠م، وفي محاولة منه لإزالة الخلافات المذهبية لرأب الصدع الذي حدث في الإمبراطورية من جراء هذه المذاهب قام بفرض عقيدة جديدة سميت (بالأكيتزيس) فزاد الأمر تعقيدا، ومنذ عام ٦٣٩م كانت الفتوحات الإسلامية تزداد تقدما، وفي عام ٦٤٢م استسلم المصريون للفاتحين المسلمين[١٢٢].

كان هذا هو الوضع العام للمسيحيين في مصر قبل ظهور الإسلام، وهو وضع ديني غير مستقر بسبب الاضطهاد الروماني من ناحية والصراع المذهبي بين الكنائس من ناحية أخرى.

وتوزع أقباط مصر بين الدخول في الإسلام عن اقتناع أو البقاء على المسيحية، وتشير المصادر التاريخية والدينية إلى ترحيب قبطي عام بالمسلمين، الذين تتفق أغلب المصادر على أنهم خلصوا المسيحيين من الاضطهاد الروماني وترك كثير من المسيحيين العرب المسيحية ودخلوا في الإسلام، لتبدأ المسيحية في مصر عهدا جديدا في ظل الحكم الإسلامي.

ففي الأمان الذي منحه «عمر بن الخطاب» ﷺ لأهل مصر والمسمى صلح بابليون

١٢٢- انظر: تاريخ أفريقيا العام، المجلد ٢، بحث بعنوان: مصر تحت الحكم الروماني، س. دنادوني بتصرف، مرجع سابق. وأيضا المسيحية والعرب، نقولا زيادة، ص٩٩:١٦٠، مرجع سابق.

الأول، تعهد بحماية أرواح الأقباط وممتلكاتهم وحرياتهم الدينية، وتشير المصادر إلى أنه لا يوجد في أمان عمر ما يمس حرية الأقباط أو كنائسهم أو أراضيهم أو ما يسيء إليهم إطلاقا، وقد سار فاتح مصر «عمرو بن العاص» ﷺ على هذا النهج العمري حيث أعطى كتاب أمان للبطريرك/ «بنيامين» الذي فر مختفيا من الروم، وأعطى له العهد والأمان والسلامة من الله، وتدبير حال بيعته وسياسة طائفته.

ثم كانت الحروب الصليبية في مصر ويبدو أن قادها لم يفكروا في مخاطبة الأقباط للتعاون معهم، حيث أن الكنيسة الغربية –التي انبعثت منها فكرة الحروب الصليبية ثم العمل التنصيري المنظم بعد ذلك– كانت تنادي بأسبقية روما وأساقفتها على باقي الكنائس الشرقية وهو ما يعرف باسم نظرية السيادة البطرسية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى حدوث الانفصال بين الكنائس الشرقية والكنيسة الغربية الذي يعرف عند المؤرخين باسم القطيعة الدينية الكبرى في مايو عام ١٠٥٤م[١٢٣]، ومن ثم فلم تفرق هذه الحروب بين المسلمين والمسيحيين، بالإضافة إلى أن معاملة الأباطرة الرومان التابعين للكنيسة الغربية قبل ذلك كانت ما تزال عالقة في أذهان الكثيرين منهم وبالمقابل سماحة المسلمين حكاما ومحكومين كل ذلك كان كفيلا بأن يحارب بعض النصارى مع الجيوش الإسلامية ضد هؤلاء الصليبيين حفاظا على معتقدهم وعلى وطنهم وهويتهم. حتى إن «جاك تاجر» يقول: "واعتبروا –أي الأقباط– هزيمة الصليبيين عقابا من الرب بسبب هرطقة الكنيسة الغربية، وبلغ من شدة غيظ الصليبيين لعدم مساعدة الأقباط لهم، أن أصدروا قانونا يمنع أقباط مصر من زيارة القبر المقدس بدعوى أنهم ملحدون"[١٢٤].

---

[١٢٣]– العرب والروم واللاتين، د. جوزيف نسيم، ص١١٥:١١٧ بتصرف، مرجع سابق.

[١٢٤]– أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م، د. جاك تاجر، دار النيل، القاهرة، ط ١٩٥١، ص١٧١.

المبحث الأول

الطوائف النصرانية و العمل التنصيري في مصر (من القرن الثاني عشر وحتى عام ١٧٧٨م)

أولا: الكاثوليك.

أنه في أثناء الحروب الصليبية أدرك أصحاب المشاريع الصليبية في الغرب الأوربي، خطورة مصر وأهميتها بالنسبة إلى مشاريعهم، بوصفها القاعدة الكبرى التي ارتكز عليها الأيوبيون في حروبهم مع الغربيين في الشام، والتي استمد منها «صلاح الدين» معظم موارده البشرية والمادية لذلك دخلت الحركة الصليبية مع بداية القرن الثالث عشر مرحلة جديدة شهدت استئثار مصر بالجزء الأكبر من اهتمام الصليبيين، ودار العمل التنصيري في هذه الفترة على عدة محاور.

المحور الأول: دخول مصر

حاول قائدوا الحملات الصليبية الدخول إلى مصر بالقوة العسكرية ولكنهم فشلوا، وبعد فشلهم قام «فرنسيس الأسيزي» (١١٨١- ١٢٢٦م) بأول عمل تنصيري في مصر وكان موجها تجاه سلطان مصر إذ كان يرى «فرنسيس»: "أن الحياة حق للمؤمنين وللكفار أيضا ولا بد أن تحترم أرواحهم، وأنهم لم يكفروا بالإنجيل إلا لأن الإنجيل لم يقدم إليهم في صورة مبسطة تبدي جماله وتجتذبهم إليه"[١٢٥].

فكان من ضمن محاولاته لهذا الغرض "قيامه برحلة تبشيرية إلى مصر عام ١٢١٩م حيث وصل إلى دمياط في زمن الحملة الصليبية السادسة بقيادة/ «جان دي بريين» في

١٢٥- الإرساليات التبشيرية، د. عبد الجليل شلبي، ص١٧٥، مرجع سابق.

عهد الملك/ «الكامل الأيوبي»، وبعد حصار دمياط الذي لم ينجح، وفي الفترة التي عقدت فيها الهدنة بين الجانبين، سار «فرنسيس»، مع زميل له يدعى «إلو ميناتو» قاصدين معسكر المسلمين، وطلب مقابلة السلطان «الكامل» فقادهما الجند إليه، وأخذ «فرنسيس» يشرح معنى الثالوث للملك/ «الكامل»، الذي أصغى إليه برحابة صدر، وإذ شعر «الأسيزي» برحابة صدر الملك المسلم وتسامحه الكبير بادر من طرفه بدعوة الملك إلى اعتناق المسيحية، مع استعداده للبقاء إلى جانبه لكي يعلمه حقائقها، وبطبيعة الحال لم يقبل الملك/ «الكامل» التحول إلى المسيحية"[١٢٦].

وفي منتصف القرن الثالث عشر كانت حملة «لويس التاسع» عام ١٢٤٩م على مصر وتم أسره في المنصورة، لكنه استطاع بعد أن دفع الفدية وفك أسره أن يعقد معاهدة امتيازات مع سلطان مصر عام ١٢٥١م، التي أصبح بمقتضاها لفرنسا الحق في تعيين قنصل ثابت بالإسكندرية، لينظر في مصالح الرعايا الفرنسيين، ويطبق عليهم القوانين الفرنسية، في حالة نشوب نزاع بينهم[١٢٧].

١٢٦- الإسلام والمسيحية، أليكسي جورافسكي، ص٨٧، مرجع سابق.

١٢٧- ثم عقدت معاهدة أخرى بعد فتح العثمانيين لمصر بين الفرنسيين والسلطان/ سليم الأول، صدق عليها جميعها السلطان/ سليم الأول عام ١٥١٧م، والسلطان/ سليمان القانوني عام ١٥٢٨م. ثم وقعت اتفاقات نهائية بين السلطان العثماني، وملك فرنسا/ فرانسوا الأول في عام ١٥٣٥م، شملت جميع الامتيازات السابقة. ووضعت لها نظاماً خاصاً، وأصبحت ـــ منذ ذلك الوقت ـــ سارية المفعول وبطبيعة الحال، حددت هذه الامتيازات أوضاع الأجانب الاجتماعية في البلاد، "كالتعهد بحرية المجيء والإقامة والانتقال، ومنح المسكن الملائم، وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر والطقوس الدينية، وحمايتهم من الاضطهاد، والتعسف في جباية الضرائب والرسوم." وعندما حاول السلطان العثماني عبد المجيد الأول بن محمود (١٨٠٨ ـــ ١٨٦١م)، التخلص من الامتيازات الأجنبية في عام ١٨٥٦م، بمؤتمر باريس، كانت الدول الأوروبية قد تكاتفت ضد الدولة العثمانية. ولم تمكن سلطانها من ذلك. من هنا كانت الامتيازات الأجنبية، هي جواز المرور الشرعي، لوفود الإرساليات التنصيرية. وهي أيضا المظلة الشرعية، التي مارست تحتها الإرساليات نشاطها التنصيري في بلاد الإسلام وبين المسلمين، ليس في مصر وحدها، وإنما في

إلى أن تم للفرنسيسكان إقامة مقر دائم في الإسكندرية عام ١٣٢٥م.

وبعد المعاهدات التي وقعت بين فرنسا والدولة العثمانية التي استغلتها فرنسا في كل أرجاء دولة الخلافة، وبطبيعة الحال في مصر، تمكن الفرنسيسكان من تأسيس مركزين لهم بالقاهرة والإسكندرية عام ١٦٣٦م[١٢٨]، وبذلك دخل الفرنسيسكان مصر واستقروا فيها بمؤسساتهم التنصيرية.

المحور الثاني: العمل على خلق قاعدة مسيحية وطنية.

حاول العمل التنصيري في مصر تفعيل هذا المحور من خلال تركيزه على طائفتين من الشعب المصري.

الطائفة الأولى: الأقباط الأرثوذكس.

نظرا لأن الغالبية العظمى من الأقباط منتشرون في صعيد مصر[١٢٩] فقد قام الفرنسيسكان بتأسيس أول دير لهم في جنوب البلاد في مدينة أخميم عام ١٦٦٦، خاصة بعد أن أحيا بابا روما/ «غريغوريوس الخامس عشر» جمعية نشر الإيمان في العالم أجمع عام ١٦٦٦م[١٣٠]، واستطاعوا من خلاله أن يجتذبوا عددا من الأقباط

كل أقطار العالم الإسلامي. انظر: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر (١٧٥٦-١٩٨٦م)، د. خالد محمد نعيم، المختار الإسلامي، ص٣٠.

[١٢٨]- العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، أ.د. محمد خليفة حسن، موقع/ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهر.

[١٢٩]- يرجع البعض هذا التركيز النسبي للأقباط الأرثوذكس في الصعيد إلى فترة الحكم البيزنطي قبل الفتح الإسلامي، حيث سادت فترات القلاقل والاضطرابات بسبب طبيعة الاختلاف المذهبي بين البيزنطيين والأقباط، ويرون أن الوجه البحري كان أكثر الأماكن تعرضا للاضطرابات حيث ثقلت عليه يد الدولة لقربه من مركز الحكم، بينما ضعفت إلى حد كبير يد الدولة على الوجه لقبلي. الأقباط في العصر العثماني، محمد عفيفي، ص١٩٨ بتصرف.

[١٣٠]- الفاتيكان: عاصمة الكثلكة في العالم، بول يوبار، ت: أنطوان الهاشم، منشورات عويدات- بيروت- لبنان، ط أولى - ١٩٩٦، ص٧٧.

الأرثوذكس، وبهم ومن أجلهم تم تكوين أول إكليروس قبطي كاثوليكي لإدارة شؤون الطائفة القبطية الكاثوليكية في مصر في عام ١٦٩٦م.

وحينما جاء عام ١٧٤١م وصل عدد النواب الرسوليين في مصر (لقب يطلق على من ينوب عن بابا الفاتيكان بروما في شتى الأقطار) إلى تسعة عشر نائبا رسوليا.[١٣١]

الطائفة الثانية: الأطفال اليتامى من أبناء الشعب المصري.

نشط العمل التنصيري بين الأطفال اليتامى، حيث تشير بعض المراجع إلى أن الفرنسيسكان كانوا يمسكون بالأطفال المسلمين ويرسلونهم إلى روما لتعليمهم المسيحية الكاثوليكية[١٣٢].

وبذلك استطاع الكاثوليك أن ينشئوا في مصر طائفة جديدة عرفت باسم الأقباط الكاثوليك، الأمر الذي كان من شأنه أن يكون حافزا للكاثوليك وخاصة فرنسا التي اعتبرت نفسها راعية الكاثوليكية في العالم.

المحور الثالث: محاولة التقرب من رأس الكنيسة القبطية.

محاولات الاقتناص التي مارسها الكاثوليك مع الأرثوذكس الأقباط كان من شأنها أن تؤدي إلى حدة التوتر بين الكنيستين، فحاول بابا روما تهدئة الموقف بأن بعث بدعوة إلى البطريرك القبطي/ «بولس الثامن عشر» –والذي تولى رئاسة الكنيسة المصرية عام

---

[١٣١]– العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، أ.د. محمد خليفة حسن، موقع/ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهر.

[١٣٢]– المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، طارق البشري، ص٣٥. وبنفس هذه الطريقة كان عملهم التنصيري في الجزائر. انظر: الفصل الخاص بالعمل التنصيري في المغرب العربي.

١٧٦٩م- والذي بدوره رفضها[١٣٣]، ليعلن موقفه من العمل التنصيري الكاثوليكي خاصة في مصر وأيضا يعلن موقفه من الكنيسة في روما ورؤيتها حول المسيح.

ثانيا: البرتستانت.

كان العمل التنصيري البرتستانتي في هذه الفترة قائما على محور واحد فقط وهو استكشاف البيئة المصرية لاختيار أنسب الطرق للعمل فيها. وبدأ هذا العمل في بداية القرن السابع عشر حيث قدم المنصر/ «بيتر هيلنج» الألماني إلى مصر - وهو أول مرسل لوثري- ومارس نشاطه خلال عامي ١٦٢٣-١٦٢٤م.

ثم تبعته زيارة المنصر/ «كونت زنزندورف» **Zinzendorf** عام ١٧٥٠م. ثم تبعته زيارة المنصر «فريدريك وليم هوكر» **F.W. Hocker** في عام ١٧٥٢م، الذي أسس أول إرسالية ألمانية في القاهرة[١٣٤].

ولكن نظرا للنفوذ الذي كانت تتمتع به الإرساليات الكاثوليكية في ذلك الوقت، تمكنت من تضييق الخناق على الإرساليات البرتستانتية، وبدأ نشاط الإرسالية الإنجليزية يتراجع[١٣٥].

١٣٣- موقع/إخوان أون لاين، الإخوان ومحاربة التبشير في مطلع القرن العشرين. وقد فسرها البحث على أنها محاولة للضم.

١٣٤- انظر: العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، أ.د. محمد خليفة حسن، موقع/ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهر. أيضا الجذور التاريخية، د. خالد محمد نعيم، ص٣٢، مرجع سابق.

١٣٥- قصة مصر، د. أنور عبد الملك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٦٤ بتصرف.

المبحث الثاني

أهم المحاور التنصيرية للكاثوليك والبرتستانت في مصر (من ١٧٩٨م وحتى ١٨٨٢م)

أولا: الكاثوليك:

في يوم ٢٨ يونيه عام ١٧٩٨م وصلت الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية بقيادة «نابليون»[١٣٦]، الذي أعلن وهو في طريقة إلى مصر عن نيته تجنيد عشرين ألفاً من أبناء الأقليات في الشرق، للاستعانة بهم كقبضة ضاربة، ومواطئ أقدام لحملته الاستعمارية وحلمه الإمبراطوري، وفي هذه الفترة كانت محاور العمل التنصيري على النحو الآتي:

المحور الأول: الاستعانة بالمسيحيين الكاثوليك أقباطا وأوربيين لتثبيت أقدام الحملة.

يقول «الجبرتي» بهذا الخصوص: "فأغرى – أي نابليون– نفراً من أراذل النصارى فكونوا فيلقاً قبطياً التحق بجيش الحملة الفرنسية، وحارب الشعب المصري مع قوات الاحتلال تحت قيادة المعلم «يعقوب حنا»، وفيلقاً ثانياً من النصارى الروم، قاده «برطلمين يني الرومي»"[١٣٧].

وبذلك فإن نلبليون اعتبر النصارى الموجودون فى مصر أيادي يستطيع أن يضرب بها وقتما شاء وكان الاتفاق أنه بعد نجاح حملته سيجعل الصعيد المصري وطن قومى للنصارى،

١٣٦– نابليون: ولد نابليون بونابرت في كورسيكا، عام١٧٨٤م ودخل الكلية الحربية عندما كان في الرابعة عشرة من عمره. من أشهر معاركه معركة واترلو. وتم نفيه إلى جزيرة هيلانة في جنوب المحيط الهادي ثم توفي في مايو ١٨٢٦م. الأوائل، علي جمعة الخويلد، الدار العربية للعلوم – بيروت– لبنان، ط أولى– ١٩٩٨، ص٢٢٧.

١٣٧– انظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ٥، ص١٤٨– ١٤٩بتصرف.

ولكن الله قدر أن ينكشف أمره وتفشل الحملة وتعود أدراجها مهزومة عسكريا.

المحور الثاني: الاستعانة بالموارنة الكاثوليك في لبنان.

ففي عام ١٨٨٠م أُنشئت الجمعية الخيرية للموارنة الكاثوليك، وفي عام ١٨٨١م تم تأسيس جمعية المساعي الخيرية القبطية المارونية لتكون أول جمعية يشترك في تأسيسها الأقباط[١٣٨].

وهنا نود لفت الانتباه إلى دخول المسيحيين العرب في ممارسة العمل التنصيري خارج أقطارهم وربما تكون هذه هي البداية لعملهم حيث تسنى لهم أن يمارسوه ويتدربوا[١٣٩] عليه في ظل الاحتلال الفرنسي لمصر.

وعلى الرغم من أن الحملة قبل قدومها أعلنت أن هدفها مساعدة المسلمين المصريين ضد المماليك المسلمين[١٤٠]، فإن الحملة بعد دخولها إلى مصر انكشفت أهدافها الحقيقية للمصريين. كان من ضمنها التمكين للمسيحيين الكاثوليك، الأمر الذي أدى إلى قيام

١٣٨- العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، أ.د. محمد خليفة حسن، موقع/ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهر.

١٣٩- واختار الباحث كلمة التدريب لأن العمل التنصيري ليس بالأمر الهين فهو يتطلب جهدا ومشقة قبل أن يصبح الفرد قادرا على ممارسته وخاصة في البلدان التي أغلب سكانها من المسلمين. ونحن إذا ألقينا نظرة على التوصيات التي وضعها المؤتمر التنصيري المنعقد بالقاهرة عام ١٩٠٦م حيث جسد أهم الصفات، التي يجب أن يتمتع بها المنصر، علمنا أن العمل التنصيري يحتاج إلى جهد وتدريب شاق الأمر الذي يدعونا إلى ضرورة مواجهته بنفس المستوى. ومن هذه الصفات: ١- تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها. ٢- مخاطبة العوام على قدر عقولهم. ٣- إلقاء الخطب بصوت رخيم وفصيح. ٤- الجلوس أثناء إلقاء الخطب. ٥- الابتعاد عن الكلمات الأجنبية في أثناء إلقاء الخطب. ٦- الاندماج في المجتمع. ٧- العناية باختيار الموضوعات. ٨- البعد عن إثارة النزاعات أو مهاجمة الأديان الأخرى. ٩- إظهار عيوب الأديان بصورة غير مباشرة. ١٠- العلم بقواعد الأديان الأخرى. ١١- الاستعانة بالأجهزة والتقنيات الحديثة في عرض الأفكار. ١٢- التنصير من خلال الخدمات الاجتماعية. ١٣- ربط المجتمع بالخدمات التي يقدمها المنصر. ١٤- إيجاد منصرين من بين المسلمين. ١٥- استخدام المرأة في نشر المسيحية بين النساء والأطفال.

١٤٠- انظر: الوجود العثماني المملوكي في مصر (القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر)، د. عراقي يوسف محمد، دار المعارف- القاهرة، ط أولى- ١٩٨٥، ص٣٧٤ بتصرف.

الثورة التي فيها طلب الثوار الأمن والسلام، مما يعني ثبات فكرهم القائلة: أن الحملة جاءت لإنقاذهم، ولكن ما زاد الأمر وضوحا أن «كليبر» – الذي تولى قيادة الحملة بعد رجوع نابليون إلى فرنسا– وافق على طلبهم في الظاهر، ثم قرر فرض ضريبة إضافية على جميع السكان باستثناء الأقباط والسكان غير المسلمين الآخرين[١٤١]، فأدى هذا إلى إشعال ثورة القاهرة الثانية وتم خروج القوات الفرنسية.

والأمر الذي يؤكد لنا مدى إعجاب «نابليون» بالمنصرين وبعملهم في حملته على مصر هذه الكلمات التي أدلى به عقب عودته إلى فرنسا في جلسة مجلس الدولة في ٢٢ مايو عام ١٨٠٤م حيث قال: إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية، وهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً في آسيا وأفريقيا، وسأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار، إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية"[١٤٢].

ولا نود التعليق على هذه الكلمات فهي رغم قلة كلامها ذات مضمون واسع يوضح لنا جوانب هامة كانت سببا لرفضنا لعمل الكثير من المنصرين.

وبعد الحملة الفرنسية قَوِي ساعد العمل التنصيري، والسبب في ذلك من وجهة نظري هو الانبهار العلمي الذي أحدثته الحملة والذي تمثل في جلبها لمجموعة من العلماء بلغوا (١٧٥) عالما في مختلف التخصصات، والذي كان سببا في الطلب الذي تقدم به والي مصر/ «محمد علي» (١٨٠٥ ــ ١٨٤٨م)، إلى الأب/ «إتين»[١٤٣] **Etienne pere**، بهدف إنشاء بعض المدارس، في محاولة لتطوير التعليم في عهده، واستجاب المنصر/ «إتيَن» على الفور لطلب «محمد علي»، فهذه كانت رغبة تسعى إليها

١٤١– تاريخ الحملة الفرنسية، نقولا ترك، ص٨٩، مرجع سابق.

١٤٢– حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، ص١٢٨، مرجع سابق. نقلاً عن: الرب والله وجوجو، ص٢٠٠.

١٤٣– الرئيس العام للعازريين في سوريا، والذي زار مصر على رأس بعثة تنصيرية في عام ١٨٤٠.

فرنسا[١٤٤] كما سبق وأن أوضحنا ذلك، وهذا ينقلنا بطبيعة الحال إلى المحور الثالث الذي ربما خطط له المنصرون قبل ذلك وهاهم قد واتتهم الفرصة.

المحور الثالث: إنشاء المؤسسات التعليمية ذات الأهداف التنصيرية.

أخذ المنصر الفرنسي يتوسع في إقامة المدارس الكاثوليكية الفرنسية في مصر، وقد أنشأت الإرسالية الفرنسية، أول ثلاث مدارس كاثوليكية فرنسية في عهد «محمد علي»، هي:

- مدرسة الراعي الصالح بون باستور للبنات في القاهرة عام ١٨٤٥م.
- مدرسة فتيان الإحسان في العام نفسه.
- مدرسة اللعازريين في عام ١٨٤٦م.

ومع هذه المدارس، بدأ العمل التنصيري، يأخذ طريقه إلى مدن الصعيد وقُراه، على أيدي الرهبان والراهبات، ولقد نجحت هذه الإرسالية بالتعاون مع الرهبان الفرنسيسكان، في عام ١٨٥٠م في افتتاح مدرسة للآباء الفرنسيسكان في منطقة نقادة في الصعيد وبعد ثلاثة أعوام، أنشأت مدرسة أخرى في جرجا في عام ١٨٥٣م[١٤٥]، ثم بعد ذلك امتد عملهم التنصيري ليشمل معظم المدن المصرية، فقد أنشأت في بورسعيد، مدرسة الراعي الصالح الداخلية في عام ١٨٥٣م، ثم أضيفت نهاية عهد «عباس الأول» مدرسة الفرير عام ١٨٥٤م، في القاهرة[١٤٦].

ثانيا: البرتستانت:

ركز البرتستانت في هذه الفترة بعد أن واجهوا رفضا من الكاثوليك للعمل في مصر على

---

[١٤٤]- انظر: الجذور التاريخية، د. خالد محمد نعيم، ص٤٢، مرجع سابق. نقلا عن:تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين ١٩و٢٠، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ط ١٩٦٣، ص ص٤٠- ٦٨.

[١٤٥]- المرجع السابق، ص٤٢:٤٤.

[١٤٦]- نهضة مصر، د. أنور عبد الملك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٦٤ .

أربعة محاور كان من أهمها المحور المتعلق بالكاثوليك الذي كان فاتحة لبدايتهم التنصيرية في مصر.

المحور الأول: محاولة التعاون مع الإرساليات الكاثوليكية.

قام البرتستانت في بداية عملهم بالتنصير بالعمل في أوساط المسلمين، وذلك في محاولة منهم لتجنب الصدام مع الكاثوليك -أصحاب النفوذ عند الطبقة الحاكمة في ذلك الوقت- وعدم إثارة حفيظة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الموتورة، بعد أن أفقدتهم الكنيسة الكاثوليكية عددا لا يستهان به من أبنائها.

فما أن وصل المنصر/ «وليم جويت» **W. Jowett** إلى مصر في عام ١٨١٩موفداً من جانب (جمعية إرساليات الكنيسة الإنجليزية) وما أن تعلم اللغة العربية وأجادها، حتى أخذ يمارس نشاطه التنصيري بين المسلمين، بتوزيع منشوراته باللغة العربية والتي كانت تدعو إلى الدخول في المسيحية، وكانت تحت عنوان/ (البشائر الأربع)، وهذا العمل قد وجد استحسانا من جانب الطوائف المسيحية المختلفة الأمر الذي أدى إلى تعاونهم معه. وظهر أثر هذا التعاون في إنشائهم لمجلة "الشرق والغرب" - لسان حال كل الإرساليات التنصيرية في مصر والشرق الإسلامي- وبجانب هذا العمل الثقافي كان العمل الاجتماعي الخدمي بإنشاء مستشفى (هرمل)[١٤٧] هذا المستشفى، الذي تحول إلى مركز تنصيري هام في مصر أيضاً[١٤٨]!!

المحور الثاني: العمل على خلق قاعدة مسيحية وطنية.

بعد أن أخذ البرتستانت إجازة ضمنية من الطوائف المسيحية بالعمل التنصيري بدأوا في محاولة نشر أفكارهم في الأوساط المسيحية حيث أنشأت جمعية إرساليات الكنائس

١٤٧- في منطقة مصر القديمة، واسمها الحالي دار السلام.

١٤٨- الجذور التاريخية، د. خالد محمد نعيم، ص٣٥، مرجع سابق. نقلا عن: Wat,son, Andrew; O.P. Cit.; P.٣١.

الإنجليزية، ثلاث مدارس في مصر، خلال الفترة من عامي (١٨٣٩ ــ ١٨٤٠م)، كما فتح المنصر الإنجليزي/ «آل ويسليان» مدرسة أخرى في القاهرة عام ١٨٤٢م، وأنشئت الإرساليات الإنجليزية في مصر، معهداً لاهوتيّاً، لتعليم كهنة الأقباط المصريين، ليكون هذا المعهد بمثابة المركز العام، لتخريج الكوادر التنصيرية البرتستانتية المحلية في مصر، وبعد ذلك في منطقة الشرق الأوسط.

واستطاعوا من خلال هذه المؤسسات أن يكونوا قاعدة لهم استطاعوا من خلالها أن يطالبوا بحقهم في أن يكون لهم رئيس معتمد لدى السلطات المحلية للنظر في قضاياهم، وبالفعل وفي عام ١٨٥٠م أصدر السلطان/ «عبد المجيد خان» فرمانا يقضي بحق الطائفة الإنجيلية أن يكون لها رئيس لإدارة شؤونها المالية والشخصية والاجتماعية، وينص الفرمان على وجوب تعين وكيل لهم من طائفة البرتستانت يكون شخصاً معتمداً وأميناً من أهل العرض والذمة، ينتخب منهم وبمعرفتهم، كما نص على استقلال أبناء الطائفة بشؤونهم ومصالحهم الأهلية والدينية.

وكان هذا حافزا في أن يقرر السنودس العام للكنيسة المشيخية المصلحة في شمال أميركا إرسال مجموعة من المرسلين في عام ١٨٥٣م – وهو العام الذي وقفت فيه فرنسا الداعمة للكاثوليك مع انجلترا الداعمة للبرتستانت ضد روسيا في حرب القرم– لدعم الكنيسة البرتستانتية في مصر. وقاموا بإنشاء أول مدرسة لهم في عام ١٨٥٥م.

كما قاموا بإنشاء كليةً أسيوط عام ١٨٦٥م، الأمر الذي أثار غضب بطريرك الأقباط الأرثوذكس فقام بالسفر إلى أسيوط على باخرة نيلية وضعها الخديوي/ «إسماعيل» تحت إمرته ليعمل على الوقوف في وجه النشاط البروتستانتي، كما دعا كبار

الأقباط إلى مقاطعة مدارس المنصرين البرتستانت[149]، وهنا أعلنت الكنيسة القبطية موقفها المعارض للعمل التنصيري البرتستانتي وأيضا من أفكاره ونظرته إلى النصرانية، وهو الموقف الذي يتكرر بين الحين والآخر[150]. ولكن على الرغم من ذلك فالتعاون بين بعض الأفراد منهم قائم في مجال العمل التنصيري.

المحور الثالث: تفعيل دور البرتستانت المصريين وإبراز هويتهم.

وصل عدد الأقباط المصرين الذين انضموا إلى الطائفة البرتستانتية عام ١٨٧٩م إلى حوالي (٩٨٥)[151]، وبعد هذا التقدم الذي أحرزته الكنيسة البرتستانتية في عملها التنصيري قامت في عام ١٨٩٠م بتشكيل أول مجمع للكنيسة المشيخية الأمريكية في مصر برئاسة «جيمس بارنيت»، واتخذ قرارا بتأسيس كنيسة إنجيلية في مصر، حيث تم الانتهاء منها في عام ١٨٦٣م بحي الأزبكية في القاهرة، لتكون بذلك أول كنيسة إنجيلية منتظمة في منطقة الشرق الأوسط، وألحق بالكنيسة الإنجيلية بالأزبكية بيت للمرسلين، ثم مدرسة للبنين وأخرى للبنات، وكان اسم كنيسة الأزبكية وقتها (كنيسة القاهرة)[152].

المحور الرابع: محاولة الانتشار في محافظات مصر

في عام ١٨٧٤م أسس المنصر الهولندي/ «بنجس»، ملجأ للأيتام في قليوب، وكان له دور خطير في تنصير عدد من الأطفال المسلمين[153].

١٤٩- انظر في ذلك: العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، أ.د. محمد خليفة حسن، موقع/ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهر. وأيضا: موقع/إخوان أون لاين، الإخوان ومحاربة التبشير.

١٥٠- حيث سبق وأن أشرت إلى التحذير الذي أصدره البابا/ شنودة بهذا الخصوص في عام ١٩٧٣م في الفصل التمهيدي.

١٥١- الجذور التاريخية، د. خالد محمد نعيم، ص١٢٩، مرجع سابق. نقلا عن: Wright, L.C.; United States Policy Towards Egypt ١٨٣٠-١٩١٠; New York; ١٩٢٩.; P. ١٤٤.

١٥٢- موقع/ azchurch.org، تاريخ الكنيسة الإنجيلية بالأزبكية.

١٥٣- الجذور التاريخية، د. خالد نعيم، ص٥٤، مرجع سابق. نقلا عن: Ibid; p٢٢٢

المبحث الثالث

العمل التنصيري وأهم محاوره في مصر (من ١٨٨٢ وحتى ١٩٥٣م)

جاءت الحملة الإنجليزية إلى مصر عام ١٨٨٢م، ووقعت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي والذي وجد ترحيبا من بعض الأقباط، الذين أصبحوا بفعل الإرساليات البرتستانتية برتستانتيين، وعرفوا في فترة الاحتلال بالأقباط المتعصبين[١٥٤].

وسنتكلم مباشرة عن العمل التنصيري البرتستانتي، فقد كان من نتائج الاحتلال الإنجليزي تحجيم نفوذ وعمل الإرساليات الكاثوليكية، التي قامت بالتعاون مع الأقباط الأرثوذكس ضد الإنجليز ولكن من طرف خفي.

وسنتكلم عن هذه الفترة في خمسة محاور.

المحور الأول: العمل على توسيع القاعدة البرتستانتية المصرية.

١- إنشاء المدارس: في عام ١٨٨٦م قامت الإرسالية الهولندية في مصر، بإنشاء مدرسة ابتدائية للبنين والبنات في منطقة القناطر الخيرية، ومن داخل هذه المدرسة المشتركة، انطلقت قوافل التنصير الهولندية"[١٥٥]، كما قامت إرسالية الكنيسة المشيخية بإنشاء كلية رمسيس للبنات عام ١٩٠٨، والجامعة الأمريكية في القاهرة عام ١٩١٩م.

ولقياس مدى جهود الإرساليات في مصر في هذه الفترة فقد بلغت مدارس الإرساليات في كافة أنحاء القطر المصري عام ١٨٩٧م نحو (١٦٨) مدرسة يدرس بها (١١٠١٤) تلميذاً[١٥٦].

---

[١٥٤]- انظر: مصر وحركة الجامعة الإسلامية (١٨٨٤-١٩١٤)، نصر الدين عبد الحميد نصر، ص٨٧.

[١٥٥]- الجذور التاريخية، د. خالد محمد نعيم، ص٥٤، مرجع سابق. نقلا عن: Earl; Elder; OP. Cit.; p. ٣١٦-٣١٧.

[١٥٦]- موقع/إخوان أون لاين، الإخوان ومحاربة التبشير.

٢- إنشاء الكنائس: أنشأ البرتستانت كنيسة حارة السقايين عام ١٨٨٥م، وكنيسة القللي بالقاهرة عام ١٩١٠م. وإجمالا فقد بلغ عدد الكنائس التي شيدت في هذه الفترة حوالي اثنتي عشرة كنيسة في القاهرة، وخمس كنائس في الإسكندرية، بالإضافة إلى عدة كنائس أخرى في أسيوط والفيوم والمنيا وقليوب، بعض مدن مصر الأخرى[١٥٧].

المحور الثاني: تمكين الأقباط البرتستانت من إظهار هويتهم.

في عام ١٩٠٢م أصبحت الكنيسة الإنجيلية كنيسة مصرية وطنية طبقاً للأمر العالي الخديوي[١٥٨]، وفى عام ١٩٠٢م أنشأت الإرسالية الهولندية، كنيستها، أيضاً في قليوب؛ ومدرسة أخرى، وعيادة طبية[١٥٩].

المحور الثالث: الاهتمام بتنصير المرأة أو حتى هدم الإسلام في سلوكها ومفهومها.

ومن أهم المراكز التي أنشئت لهذا الغرض في هذه الفترة كلية البنات الأمريكية عام ١٩٠٨م بالعباسية[١٦٠].

المحور الرابع: دعم البرتستانت المصريين لتثبيت أقدام الاحتلال.

وذلك من خلال:

١- الصحافة: في عام ١٩٠٨م بدأ ظهور للتيار القبطي والذي تبنى المذهب البرتستانتي وهؤلاء قدر عددهم في إحصائية عام ١٩٠٧م بنحو (٢٤٧١٠) أقباط برتستانتيين ويمثلون نحو ٣،٥% من عدد الأقباط[١٦١] - بزيادة قدرها ثلاثة وعشرون

١٥٧- انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر (١٨٥٤ - ١٩٨٠) أديب نجيب سلامة، ص٦٠:٧٦.

١٥٨- العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، أ.د. محمد خليفة حسن، موقع/ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهر.

١٥٩- الجذور التاريخية، د. خالد محمد نعيم، ص٥٥ مرجع سابق. نقلا عن: Ibid;

١٦٠- وسنتكلم عن هذا الموضوع باستفاضة في قضية المرأة بالمنطلقات الاجتماعية.

١٦١- تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية في مصر والسودان عام ١٩٠٨، جورست، ص١٨.

ألفا في خلال عشرين سنة - وأنشأوا صحيفة مصر في مايو عام ١٩٠٨م، ونشروا فيها مقالات تهاجم الإسلام والمسلمين هجوما عنيفا، كما بدأوا ينشرون برقيات بعنوان (قلق الأقباط العظيم) و (ما يجب على الأقباط) كما كان من البرقيات ما يطالب بالالتجاء إلى دولة قوية لتكون عضدا للأقباط في المستقبل، ومنها ما يلجأ إلى وزير خارجية انجلترا، وإلى المعتمد البريطاني في مصر[١٦٢]، وبصفة عامة فقد كان للبرتستانت العرب في مصر ما يقرب من سبع صحف، وحوالي خمس دوريات[١٦٣]، وكما هو واضح حاولوا أن يثيروا الفتن الداخلية وأن يهينوا المسلمين ويشوهوا صورة الإسلام تحت غطاء الاحتلال الإنجليزى وبحمايته.

وكان رد الأقباط الأرثوذكس على ذلك والذين لقبوا بالوطنيين بأن تهمة التعصب الإسلامي ليست إلا من إشاعات الإنجليز التي يشيعونها لتبرير المظالم التي يرتكبونها في مصر، وبهذا الرد أعلن الأقباط الأرثوذكس ثبات موقفهم تجاه البرتستانتية.

٢- الخدمات الاجتماعية: حيث قام البرتستانت بافتتاح ملجأ للبنات في منطقة الملك الصالح بالقاهرة عام ١٨٩٣، وكان المنصر المصري/ «صالح حنا الله»، هو الذي يتولى عملية التنصير بتلقين النزيلات المسلمات، التعاليم المسيحية، يومين في كل أسبوع[١٦٤].

المحور الخامس: تركيز العمل التنصيري بين المسلمين ومحاربة الإسلام.

في العام ١٩١٠م بدأت تزداد لدى المنصرين فكرةُ تنصير المسلمين، وأعلن المنصر/ «جون وط شعار» (ضرورة تبشير العالم كله في هذا الجيل)، لذا انعقد أول مؤتمر عالمي للإرساليات في (أدنبرة) باسكتلندا في عام ١٩١٠م برئاسته، وجمع مندوبين من

١٦٢- دراسات في تاريخ مصر السياسي: سياسة انجلترا الداخلية (١٨٨٢-١٩٥٢م)، محمود حلمي مصطفى، ص٦٥.
١٦٣- الجذور التاريخية، د. خالد نعيم، ص١٤٧: ١٥١، مرجع سابق.
١٦٤- تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، أديب نجيب سلامة، ص٦٦، مرجع سابق.

(١٥٩) جمعية من معظم المنظمات والكنائس.

وقد ركّز هذا المؤتمر على دور التعليم في تنصير الحياة الوطنية في العالم الثالث، وعلاقة التنصير بالأديان غير المسيحية، ومصاعب تنصير المسلمين، والمشكلة المحمدية التي تواجه المنصرين.

وظهرت في هذه الفترة بعض الأحداث التي تشير إلى بداية نشر النصرانية في وسط المسلمين في مصر، ففي عام ١٩١١م تنصر يتيمان في ملجأ تنصيري، لكن جمعية (العروة الوثقى) تدخلت، وأخرجت واحدًا وعشرين طفلاً من هذا الملجأ[١٦٥]، وفي عام ١٩٢١م عقد مؤتمر حلوان في القاهرة، وكان هدفه هو استثمار النشاط السياسي الداخلي في مصر، من أجل عودة الدعوة إلى إرساء دعائم دستور مصري ديمقراطي. لتعميق الدعاوي النصرانية في المجتمع المصري[١٦٦] وأن من نتائجه: "صدور النص الدستوري الخاص بحرية العقيدة حسب الأمر الملكي عام ١٩٢٣م"[١٦٧].

وفي هذه المرحلة وصلت عمليات التنصير إلى أوجِ نشاطها، ومما أثار النفوس في هذه الفترة نشر الصحف خطابًا لإحدى المبشرات أشارت فيه إلى نجاح عمليات تنصير الأطفال في مصر بشكل جيد من خلال مدارس التنصير، كما نشرت الصحف عن قسٍّ بإحدى المدارس يهاجم الإسلام ويضطهد من يصوم رمضان من الأطفال، واستمر هذا الأمر حتى كان عام ١٩٣٣م عندما ظهر أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة هي مرتكز الدعايات التنصيرية في كل أقاليم مصر، إلى جانب الأديرة والمدارس والملاجئ النصرانية[١٦٨].

---

[١٦٥]- موقع/إخوان أون لاين، الإخوان ومحاربة التبشير.

[١٦٦]- الجذور التاريخية، د. خالد محمد نعيم، ص٩٥:١، مرجع سابق.

[١٦٧]- العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، أ.د. محمد خليفة حسن، موقع/ مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهر.

[١٦٨]- انظر: تاريخ جمعية مقاومة التبشير في مصر، د. خالد نعيم، ص١٦:٧، مرجع سابق.

الفصل الثالث

تاريخ التنصير في المغرب العربي

(ليبيا – تونس – الجزائر – المملكة المغربية)

المبحث الأول: العمل التنصيري في المغرب العربي (من القرن الثالث عشر وحتى عام ١٨٣٠م).

المبحث الثاني: العمل التنصيري في المغرب العربي (من عام ١٨٣٠م وحتى الاستقلال).

تمهيد:

"المغرب اسم أطلقه الفاتحون المسلمون على مغربنا الكبير في القرن الأول الهجري، وكان قبل ذلك يسمى باسم آخر[169]، وقد قسم المسلمون في مصر والشام مغربنا الكبير حسب قربه وبعده عنهم في مصر والشام إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط والمغرب الأقصى.

فالمغرب الأدنى: يبتدئ من غرب الإسكندرية شرقا إلى مدينة (بجاية) غربا.

والمغرب الأوسط: من مدينة بجاية شرقا إلى وادي ملوية غربا.

والمغرب الأقصى: من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

وكان المغرب الأدنى يشتمل على الأقاليم الأربعة التالية: (برقة، طرابلس، تونس، وشرق الجزائر)، والمغرب الأوسط يشتمل على: (وسط الجزائر وغربه، وعلى جزء من شرق القطر المغربي) الحبيب، والمغرب الأقصى يشتمل على: بقية المغرب من (وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي).

وفي القرن العاشر الهجري، عندما حكم الأتراك المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، عمدوا إلى تقسيم المغرب العربي تقسيما جديدا، وجاء تقسيمهم على النحو الآتي: ليبيا، تونس، الجزائر، والمملكة المغربية، وظل هذا التقسيم ساريا إلى الآن[170].

ومما تجدر الإشارة إليه أن "الرومان والبيزنطيين من بعدهم لم يعرفوا من المغرب إلا السهل الساحلي، فقد تركزت فيه جاليتهم واختلطت بمن كان يسكن من أهل البلاد،

١٦٩- كان المغرب يسمى في القديم قبل القرن التاسع ق.م (ليبيا) من أدناه إلى أقصاه وكان معروفا عند الأمم القديمة بهذا الاسم.

١٧٠- تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، جـ الأول، دار الفكر- بيروت، ص٤- ٥ بتصرف، ٢مج.

وكذلك فعل الإغريق قبلهم ونشأ عن هذا الاختلاط جنس خاص يعرف بالأفارقة... وبين هؤلاء الأفارقة انتشرت المسيحية ابتداء من القرن المسيحي الثاني، وكان أول أقاليم المغرب دخولا في المسيحية إقليم (برقة)، وكان للمسيحية فيها تاريخ طويل هو جزء من تاريخ المسيحية في مصر، ثم انتشرت في إفريقية، وأصبحت هذه الأخيرة من مراكزها الرئيسية، وقامت فيها الكنائس وامتدت بصورة سطحية على طول الشريط الساحلي في المغربين الأوسط والأقصى حتى طنجة، ولكن المسيحية لم تتعمق قط في البلاد ولا دان بها من البربر قوم يحسب لهم حساب"[١٧١]، لأن البربر كانوا هم أكثر سكان المناطق الساحلية، "والبربر الذين دانوا بالمسيحية أغلبهم سكان المدن، أما الجبال البربرية، وجيتوليا فقد ظلت على وثنيتها، وهذه الأكثرية كانوا يكرهون كل شئ روماني حتى الدين الذي جاء على أيديهم ودانوا به"[١٧٢]

"ويبالغ مؤرخو المسيحية - بصورة عامة - ومؤرخو الدولة البيزنطية - بصورة خاصة - في تصوير مدى انتشار المسيحية في إقليم إفريقية، معتمدين على أن هذه الناحية قد أنجبت مفكرا من أعظم مفكري المسيحية الأولى وهو القديس/ «أوغسطين»..."[١٧٣]والقديس/ «أوغسطين» بلا شك من أعدل مفكري العصور

---

[١٧١]– تاريخ المغرب وحضارته: من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، د. حسين مؤنس، المجلد الأول – جـ الأول، ص ٦٦ بتصرف.

[١٧٢]– تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، ص٤٠٩ بتصرف، مرجع سابق.

[١٧٣]– القديس أوغسطين: (٣٥٤ ــ ٤٣٠م) ولد بتاغست وتعلم بمداوروش، ثم انتقل إلى قرطاجنة، ثم ذهب إلى ميلان بإيطاليا، وعاد إلى مسقط رأسه، حيث كان أول من أسس الأديرة بإفريقيا، حينما كان المذهب الأرثوذكسي هو السائد، فألف كتابه المشهور(مدينة الله)، وانتصب مدافعا عن المسيحية بحماس شديد، ومن شدة حماسه للديانة المسيحية، وانتقاده للأوضاع، ثار ضده مسيحيو قرطاجنة، وحاصروه مع أتباعه بيونه، حيث رفض الفرار عندما أتيحت له الفرصة، ومات هناك عام٤٣٠م. الشروق، ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٠.

الوسطى، ولكنه فرد قائم بذاته في إفريقية ثم إنه كان أحد أفراد جالية لاتينية تقيم في إفريقية ولم يكن قط من أهل البلاد، وكان يعيش في بيئة مسيحية صرفة بعيدا عن البربر وأهل البلاد، ولا يمكن اعتباره مفكرا إفريقيا أو تونسيا"[١٧٤].

"هذا وقد استمر انتشار المسيحية في عصر الوندال، عندما تحالف البربر مع الوندال ضد مذهب الأرثوذكس الذي كانت تدين به روما، ولكن هذا التحالف كان سياسيا أكثر من كونه تحالفا عقائديا، ثم حدثت ثورات على فترات متعاقبة ضد حكم الوندال، إلى أن انتهت دولة الوندال على أيدي البيزنطيين"[١٧٥].

ثم كانت الخلافات في الدولة الرومانية حول قضية أولوهية المسيح، التي يحاول «هرقل بن هرقل» بعد أن توج نفسه إمبراطورا عام ٦١٠م لإزالة (الخلافات المذهبية)[١٧٦] "فأصدر مذهبا جديدا يسمى بالإكيتزيس، ولكن بدون جدوى فاشتد الصراع بين «الأرشمندريت مكسيموس» - أسقف قرطاجنة - مع مخالفيه في المذهب واضطهدهم واضطربت البلاد، وحينما جاء الفاتح العربي عام ٦٧٤م، تحررت بلاد المغرب من سلطان الروم، وتلاشت المسيحية من دواخل المغربيين الأوسط والأقصى"[١٧٧]، ولمدة ستة قرون.

---

[١٧٤]- تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، جـ الأول، ص٦٦ بتصرف، مرجع سابق.

[١٧٥]- الشروق، ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٠.

[١٧٦]- حيث مذهب الملكانية وهو مذهب الكنيسة الرسمي في القسطنطينية، واليعقوبية وهو مذهب الطبيعة الواحدة .

[١٧٧]- تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، جـ الأول، ص٧١، مرجع سابق.

المبحث الأول

العمل التنصيري في المغرب العربي (من القرن الثالث عشر وحتى ١٨٣٠م)

يرى الباحث أن المسيحية قد انحصرت بعد دخول الإسلام في المغرب العربي على بعض الأديرة والرهبانيات شأنها كشأن البلدان الأخرى، وما ذلك إلا لتسامح الفاتح المسلم معهم-كما سبق أن أوضحنا ذلك-. واعتمد التنصير في هذه الفترة على عدة محاور.

المحور الأول: محاولة إنشاء قاعدة مسيحية.

حيث أرسل البابا في روما خمسة فرنسيسكان إلى مراكش فأقاموا في أزقتها، وحاولوا تنصير الأهالي الذين ثاروا عليهم وقتلوهم في ١٦ يناير ١٢٢٠م، وتم إرسال سبعة أخرين فكان مصيرهم القتل أيضا[١٧٨].

المحور الثاني: الاستعانة بالجيوش الصليبية.

يذكر «حسين مؤنس»: أن الذي حفز «لويس التاسع» للقيام بحملته الصليبية على تونس في يوليو من عام ١٢٧٠م، هو ما ألقاه في روعه راهب قسطلوني يسمى «رايموندو مارتين»، كان هذا الرجل قد درس العربية و العبرية وذهب للتنصير في أفريقية، وأقام ردحا من الزمن في دير بتونس، وكانت له معرفة «بالمستنصر» الذي كانت ولايته بين عامي (١٢٤٩-١٢٧٦م)، حيث كان يستدعيه في بعض الأحيان ليستفسر منه عن أشياء في النصرانية، فحسب الرجل أن «المستنصر» يميل إلى هذه الديانة ويريد أن يعتنقها، وكتب بذلك إلى «لويس التاسع» حيث اقتنع «لويس» بذلك

١٧٨- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عبد الهادي التازي، جـ٢، ص٢٨٨.

واستطار به الفرح، وتصور المجد الذي سيكتب له إذ هو حول ملك تونس وبلاد تونس كلها إلى النصرانية، وعندما وصل إلى تونس وجد أن الأمر على خلاف ما بلغه من نصحائه، فوقعت بينه وبين «المستنصر» الذي كان مستعدا لنزاله - حيث دعا أهل إفريقيا للجهاد -، والتقى الجيشان، ونزل الوباء بجيش «لويس» حيث مات هذا الأخير في عام ١٢٧٠م، وتولى قيادة الحملة بعده أخوه «شارل دانجو» فيفاوض «المستنصر» في مال يأخذه مقابل الانصراف، ويكون له ما أراد، ورُفع الحصار الذي استمر قرابة ثلاثة أشهر[١٧٩].

وبعد فشل الصليبيين في هذه الحملة لم يجد المنصرون بُدا سوى الاعتماد على المحور الأول خاصة أن بعض المنصرين المتحمسين قد أبدى استعداده لذلك، حيث استطاعت مجموعة من المنصرين على رأسهم «ريموند لول» المجئ إلى تونس أواخر القرن الثالث عشر، فقاموا بعرض المسيحية وشرحها بين عوام المسلمين، فدعاهم مفتي تونس الكبير لمناظرته حيث قال لـــ «لول»: إذا كنت تتمسك بأن القانون المسيحي هو الصحيح، وأن قانون محمد ﷺ غير صحيح فإنك لا بد أن تؤيد رأيك بالأدلة الضرورية، ولم يتقدم أحد لمناظرته، ويعتقد أن هذا التحدي هو ما دفع «لول» إلى فكرته[١٨٠] التي ترنو إلى إنشاء مراكز ليتلقى فيها المنصرون الأساليب المدروسة لتنصير المسلمين.

ويعاود «لول» في عام ١٣٠٧م المجئ إلى المغرب العربي بعد أن وضع أطروحته التي تبين كيفية التنصير بين عوام المسلمين، ولكن الأمر انتهى بسجنه وطرده، بعد أن قام المسلمون في الجزائر بالثورة عليه[١٨١]، ليعاود الكرة مرة ثالثة في عام ١٣١٥م، وكانت الزيارة أيضا إلى بجاية حيث قام بالطعن في الإسلام وفي نبي الإسلام من فوق منبر

١٧٩- المرجع السابق، جـــ١، ص٢٢٩:٢٣٢ بتصرف.

١٨٠- الإرساليات التبشيرية، د. عبد الجليل شلبي، ص١٥٥، مرجع سابق.

١٨١- أحب هنا أن أنوه بأن التصدي للعمل التنصيري يجب أن يكون نابعا من الأفراد قبل الحكومات.

مسجد بجاية، فثارت ثائرة الناس وقتلوه رجما بالحجارة[182]

ويبدو لي أن هذه الحادثة كانت ذات أثر عظيم في نفوس المنصرين، حيث توقفوا عن المجئ إلى المغرب العربي منذ هذه الحادثة وحتى عام ١٤١٥م، حيث استولى البرتغاليون على مدينة سبته وبدأوا بالتوغل داخل إقليم المغرب ويعتقد أنهم كانوا مدفوعين بثلاثة عوامل:

العامل الأول اقتصادي: حيث إن السيطرة على هذه المنطقة يعني الحصول على أسواق تجارية، وبلاد بكر غنية بالمواد الخام.

العامل الثاني ديني: حيث الاجتهاد في حرب المسلمين واحتلال موانيهم، والسيطرة على متاجرهم وتحطيم بحرياتهم وأساطيلهم، ولا يخفى علينا ما في الدافع الديني من كسب لعواطف الجماهير وتشجيع لهم على الانضمام إلى الجيوش والأساطيل.

العامل الثالث سياسي: حيث منافسة قشتاله وأرغون في الوصول إلى منابع الثروة والمواد الخام في الهند وبلاد آسيا"[183]، وبذلك يعتقد أن العمل التنصيري عند البرتغاليين كان ثانويا في شتى مناطقهم التي احتلوها إلى أن تم انضمامهم لأسبانيا سيدة العمل التنصيري المسلح.

ثم ما لبث أن دخل الأسبان إلى بلاد المغرب الكبير "ويذهب المؤرخون الأسبان إلى أن دوافع عدوانهم على المغرب دينية فحسب وأن الذي حرك «إيزابيلا» و «فرناندو» الكاثوليكيين هو الرغبة في نشر المسيحية في تلك البلاد[184]، فاستولوا على مليلة عام ١٥٠١م، وعلى بجاية عام ١٥١٠م، كما احتلوا طرابلس عام ١٥١٠م.

---

[182]- انظر: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، م. طالبي، ص٨٧، مرجع سابق.

[183] – انظر: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ١٠٤بتصرف، مرجع سابق.

[184]- والحقيقة أنه كانت هناك دوافع دينية بالفعل، ولكن ما لبثت أن طغت عليها دوافع أخرى سياسية أهمها: التوسع الإقليمي والإحساس بأن بلاد المغرب فراغ سياسي مفتوح أمام أسبانيا المرجع السابق، جـ٣، ص١٥٦-١٥٧ بتصرف.

المحور الثالث: الذبح والاعتقال.

بعد أن احتل الأسبان طرابلس حاولوا أن يجعلوا منها أندلسا أخرى[١٨٥]. ولكن نظرا للمقاومة العنيفة والصامدة التي أبداها المسلمون من أبناء هذا البلد – حيث قدم الكثير منهم أرواحهم فداء لعقيدتهم – بالاضافة إلى المساعدات التي كانت تأتيهم من الجزائر ومصر – بعد ذلك –[١٨٦] الأمر الذي أدى إلى تحجيم العمل التنصيري، فحينما أراد الأسبان هدم القلعة الطرابلسية ومسجدها، حاول المسلمون منعهم من ذلك فأطلق عليهم الأسبان نيران مدافعهم، وقاموا بذبح خمسة آلاف شخص في الشوارع[١٨٧] ولقد عبر قائد الحملة/ «دون نافارا» عن هذه المذبحة في تقريره الذي رفعه إلى الملك/ «فرديناند» بقوله: "لا يمكن أن تجد موقعا لقدم إلا فوق الجثث"، وقام الأسبان باعتقال حاكم المدينة «عبد الله شرف» – الذي كانت له شعبية عظيمة وسط السكان – لإضعاف المقاومة التي قام بها السكان هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ربما تطلعوا إلى محاولة إغرائه ليكون عونا لهم على تنصير سكان المدينة، وخاصة أن نفرا منهم قد فروا إلى تاجوراء[١٨٨].

المحور الرابع: جلب معمرين كاثوليك للمناطق المحتلة.

---

[١٨٥]– نعني بذلك ما فعله النصارى الكاثوليك في الأندلس (أسبانيا والبرتغال حاليا) حيث سجل عليهم التاريخ أبشع ما يكون من أعمال القتل والتشريد لأبناء هذا البلد مسلمين ومسيحيين. انظر: قادة الغرب يقولون، جلال العالم، مرجع سابق. وأيضا: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي.

[١٨٦]– انظر: ليبيا في عشرين سنة من حكم الأسبان، محمد مصطفى بازامة، ص١٠٢:١١١، مرجع سابق.

[١٨٧]– تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، جون رايت، ترجمة: عبد الحفيظ الميار و أحمد اليازوري، ص٨٩.

[١٨٨]–حيث تجمع الليبيون من مناطق متفرقة من ليبيا هناك. وتم تنظيم فرقة مقاومة بلغ عددهم (٤٠٠٠٠) من الليبين، واستطاعوا أن يقلقوا مضاجع الأسبان، حيث قاموا بحصار الأسبان في طرابلس، وأفنوا عددا كبيرا منهم وقتلوا قائدهم، ولكن كان لوصول تعزيزات من صقلية للجنود الإسبان أثر بارز في إخفاق حركة المقاومة. لكن هذه الحركة بإخفاقها في طرد الأسبان من ليبيا في هذه الفترة، لكنها منعت قدوم المعمرين الأسبان إليها. ليبيا في عشرين سنة من حكم الأسبان، محمد مصطفى بازامة، ص٦١–٦٢، مرجع سابق. وأيضا: تاريخ ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، د. عبد اللطيف محمود البرغوثي، ص٤١٤.

أصدر نائب الملك في مدينة كاتاينا يوم ٦ أكتوبر عام ١٥١١م نداءا موجها إلى المسيحيين الكاثوليك في أسبانيا والبرتغال أعلن فيه: بأن الذين يرغبون في سكنى طرابلس سيمنحون مساكن ملائمة وأراضي يزرعونها وإعفاء من الضرائب والإتاوات لمدة عشر سنوات والعفو عن أية جناية مدنية أو جريمة قد ارتكبوها[١٨٩].

ولكن فيما يبدو أن الأنباء التي شاعت عن حركة المقاومة الليبية كان لها أثر قوي في نفوس المواطنين الأسبان حيث إنهم رفضوا الاستجابة لكل هذه المغريات المقدمة من حكومتهم، وبذلك أخفق الحكم الأسباني الكاثوليكي في استقدام مستوطنين مسيحيين ليستقروا في طرابلس، ليتسنى لهم إنشاء أقلية مسيحية يستطيعون من خلالها ممارسة عملهم التنصيري. ولذلك فإن المدينة ظلت خالية من السكان فيما عدا أفراد الحامية، الذين بذلوا جهدهم في محاولة منهم لاستتباب الأمن وتهدئة الموقف باحتواء حركة المقاومة لعل ذلك يستهوي نفرا من المسيحيين الأسبان للمجئ إلى طرابلس، ولكن يبدو أن حركة المقاومة أجبرتهم على أن يركزوا جهدهم في الدفاع عن الميناء والقلعة.

المحور الخامس: تأسيس حكومة موالية للمستعمر.

نظرا لما كانت تقوم به حركة المقاومة المتمركزة في تاجوراء بين الحين والأخر لمناهضة المستعمر الأمر الذي بدوره أدى إلى فشل الأسبان في تأسيس دولة مسيحية كاثوليكية لهم في المنطقة، فحاول الأسبان احتواء هذه الحركة من طريق إعادة «عبد الله شرف المرابط» حاكما على مدينة طرابلس في عام ١٥٢٣م، بعد فترة اعتقال دامت ثلاثة عشر عاما، علّه يستطيع أن يساعدهم في الوصول إلى هدفهم، ولكن الشيخ قد تبين له نوايا الأسبان التنصيرية فالتحق بالمجاهدين في تاجوراء عام ١٥٢٤م.

المحور السادس: جلب طائفة متخصصة في العمل التنصيري.

---

[١٨٩]- المرجع السابق، ص٩٠.

تقدم الملك/ «شارلكان» وهو «شارل الخامس» بعرض إلى فرسان القديس يوحنا[190] مفاده أن يتنازل لهم عن مالطة وبعض المدن الأخرى بشرط تحملهم مسئولية الدفاع عن طرابلس التي لم تحقق للأسبان أي مكسب مادي أو أدبي.

ويقول «بوزيو» – وهو مؤرخ معاصر– لأحداث هذه الفترة: وقام مجلس منظمة الفرسان عام ١٥٢٤م بإرسال وفد مكون من ثمانية فرسان لدراسة وضع الحصن الاستراتيجي والطبيعي، كما قاموا أيضا بدراسة مدينة طرابلس ومدى تحصيناتها ومدى قدرة الفرسان على الاحتفاظ بها ومدى المسئوليات المادية والعسكرية التي يجب توفيرها لهذا الغرض. ولكن لم يأت تقريرهم[191] مشجعا لجماعة الفرسان، ولكن رفضهم يعني عدم الحصول على مالطة، فلجأت المنظمة إلى المماطلة حيث لم يكن هناك مجال للاختيار

١٩٠– فرسان القديس يوحنا: نشأت هذه المنظمة بعد الحملة الصليبية الأولى، واتخذت مدينة القدس بفلسطين مقرا لها. فلما استرجع صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين وأجلاهم عنها، ومن بينهم هذه المنظمة فلجأت إلى عكا واستقرت بها عام ١١٩١م. وفي عام ١٢٩١م استرد المسلمون عكا، وطردت منظمة الفرسان منها من جديد، فتوجهت إلى ليماسول في قبرص، وظلت بها حتى عام ١٣١٠م ثم انتقلت إلى جزيرة رودس حيث أقامت حكما مسيحيا يحظى بعطف أغلب ملوك أوربا ومساندهم، وبعطف البابا في روما وتأييده. وبدأت هذه المنظمة تعرقل خطوط مواصلات الأسطول العثماني في البحر المتوسط مما حمل السلطان/ سليم في ديسمبر ١٥٢١م على مداهمة رودس بأسطول يحمل حوالي مائتي ألف جندي حاصروا جزيرة رودس مدة ستة أشهر إلى أن سقطت في أيديهم في أواخر ديسمبر ١٥٢٢م، فسمح لهم العثمانيون بأن يغادروا الجزيرة إلى حيث يشاءون فغادروها بعد ذلك بأحد عشر يوما إلى إيطاليا بدعوة من البابا/ كليمنت السابع. وتقدم رئيسهم الأب/ فيليب بطلب إلى الملك/ شارل الخامس، ملك أسبانيا، لكي يمنح المنظمة جزيرة مالطة وجزيرة قوزو، ولكن الملك/ شارل الخامس اشترط عليهم أن يتنازل لهم عن مدينة طرابلس كذلك وأن يتعهدوا بحمايتها فقبلوا هذا الشرط لأنه لم يكن أمامهم مجال آخر للاختيار. وصاروا يعرفون في ذلك الوقت بفرسان مالطة. وقد ظل الفرسان في مالطة حتى أجلاهم نابليون عنها وحل نظامهم صيف عام ١٧٩٨م عندما توقف بمالطة وهو في طريقه لمصر. تارخ ليبيا من الفتح الإسلامي، د. عبد اللطيف محمود البرغوثي، ص٤٢٧، مرجع سابق.

١٩١– ونقتطف بعضا من نصوص هذا التقرير حتى نكون على يقين تام من أن عمل المنصرين لا يأتي عشوائيا وإنما بمنهجية مدروسة وخطط مسبقة. فمما جاء في التقرير: إن طرابلس تتمتع بسماء صافية وهواء صحي، غير معرضة للأوبئة على الرغم من وجود مصابين بها في الوقت الحاضر. وإن محيط أسوارها يبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وثماني وعشرين خطوة، ويحيط بثلثيه البحر، أما الباقي فيطل على اليابسة في مساحة مستوية ورملية. ومن الأسوار المذكورة بعاليه مائتا خطوة منهارة، هدمت لتقوية جدران الحصن، والقائم منها قديم البناء. وفي عدة أماكن يهدد بالسقوط والانهيار. ولا يزيد ارتفاع الأسوار المذكورة عن قصبتين ونصف (حوالي تسعة أمتار)، أما عرضها فحوالي القصبة الواحدة، تنقصها العوارض ويدعمها فقط بعض المساند قليلة النفع في حالة استخدام المدفعية. خنادقها غير متسعة وقليلة العمق، ومنازلها ومبانيها العامة منهارة، الخ. انظر: ليبيا في عشرين سنة من حكم الأسبان، محمد مصطفى بازامة، ص١٠٥–١٠٦ بتصرف، مرجع سابق.

فاتخذ المجلس قرارا بقبول العرض عام ١٥٣٠م[١٩٢].

وبقي الفرسان في طرابلس إحدى وعشرين سنة حاولوا فيها القضاء على حركة المقاومة المتمركزة في تاجوراء، للاستفادة من الموقع الاستراتيجي للمنطقة[١٩٣]، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك.

"وفي عام ١٥٧٥م كان على عرش البرتغال «سباستيان» الذي تربى على أيدي قساوسة الجزويت (اليسوعيين)، وهؤلاء زرعوا في نفسه فكرة أنه يستطيع مضاهاة جده[١٩٤]، بالاستيلاء على المغرب وتحويلة إلى بلاد نصرانية حيث لم يكن للبرتغال وقتها سوى طنجة وسبتة والقصر الكبير، فلقيت دعوة «المتوكل» إياه لمعاونته على استعادة ملكه في مقابل التخلي عن كل سواحل المغرب آذانا صاغية منه، وعجل بإرسال قوة عسكرية لمعاونته"[١٩٥]؛ "فكانت معركة وادي المخازن[١٩٦] عام ١٥٧٨م، وكانت هذه

---

[١٩٢]– تاريخ ليبيا من الفتح الإسلامي، د. عبد اللطيف محمود البرغوثي، ص٤٢٢، مرجع سابق.

[١٩٣]– تتمتع ليبيا بموقع جغرافي مميز: فهي تقع في وسط الشمال الأفريقي، ويبلغ طول ساحلها على البحر المتوسط ١٩٥٥ كم. وتمتد رقعتها الشاسعة من وسط ساحل أفريقيا الشمالي على البحر المتوسط حتى مرتفعات شمال وسط القارة الأفريقية. تبلغ مساحتها ١٫٧٦٠٫٠٠٠ مليون كم مربع وتأتي في الترتيب الرابع من حيث المساحة بين الأقطار الأفريقية. وتعتبر ليبيا جسرا مهما يربط بين أفريقيا وأوروبا. وتعد موانيها الصالحة لاستقبال السفن على مدار السنة مثل مينائي بنغازي وطرابلس وغيرهما منافذ جيدة لتجارة بعض الأقطار الأفريقية كالنيجر وتشاد ومالي مع العالم الخارجي. كما أنها بموقعها هذا تعتبر حلقة اتصال مهمة بين مشرق الوطن العربي ومغربه. ولهذا السبب يظهر فيها بوضوح التقاء وامتزاج التيارات الثقافية والحضارية العربية والإسلامية .

[١٩٤] – كان جده (خواد أو يوحنا الثالث) ملك البرتغال والذي كانت له مكانة عظيمة بسبب اجتهاده البالغ في نشر المسيحية في البرازيل وعمله الدؤوب على تعميرها.

[١٩٥] – تاريخ أفريقيا العام، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ٣، ص ١٧٥ بتصرف، مرجع سابق.

[١٩٦]– موقعة وادي المخازن،أو موقعة القصر، أو موقعة الملوك الثلاثة حيث مات فيها ثلاثة ملوك هم سبستيان ملك البرتغال، ومحمد المتوكل، وأبو مروان عبد الملك. نشبت بين جيش السلطان المغربي/ أبي مروان عبد الملك بن عبد الله الغالب بالله السعدي، وجيش البرتغال بقيادة ملكها/ سبستيان. وترجع أسبابها إلى أن صراعا حدث حول السلطة في المغرب أدى إلى أن يستعين السلطان/ محمد المتوكل بملك البرتغال، ليسترد عرشه من عمه عبد الملك وأحمد، مقابل التنازل للملك البرتغال عن سائر ثغور المغرب الغربية. ووجد سبستيان الفرصة سانحة لتحقيق أمانيه الدينية في محاربة المسلمين واستعمار بلادهم، والتوسع على حسابهم والاستيلاء على ثرواتهم. فحشد جيشا وأسطولا كبيرين، وانضم إليه المتطوعون الأسبان والألمان والإيطاليون وغيرهم. وساروا حتى نزلوا بوادي المخازن، على مقربة من مدينة القصر الكبير. وانضم إليهم المتوكل في طنجة، ومعه مئات المقاتلين. واستعد السلطان المغربي/ أبو مروان عبد الملك، والتقى بهم حيث نزلوا وكتب الله النصر للمسلمين. وكان لهذه الموقعة أعظم الأثر في ردع البرتغاليين. انظر: الموسوعة العربية العالمية، حرف القاف، جـ١٨، ص٢٠١، مرجع سابق.

المعركة حاسمة في تاريخ المغرب فقد انقطعت رجل البرتغال والأسبان عنه سوى من سبته ومليله اللتين في يد الأسبان حتى الآن"[١٩٧]

ومنذ عام ١٥٧٨م أصبحت بلاد المغرب العربي تحت نفوذ الأتراك، وبموجب الاتفاق الذي وقع بين فرنسا والأتراك والذي بموجبه سمحت تركيا بالوجود الفرنسي في البلدان التي في حوزتها قام الفرنسيسكان بإنشاء مستشفى في ليبيا في هذا القرن وكان يستقبل مرضى من جميع الأديان وتشرف عليه راهبات يسوعيات[١٩٨].

ثم كانت الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوربية التي استفادت منها هذه الدول في أنحاء الدولة العثمانية، حيث توافد على المغرب العربي وخاصة ليبيا جماعات من الأوربيين غالبا من المالطيين والإيطاليين واليونانيين...الخ، وحيث كان من الممكن إنشاء كنيسة صغيرة، فإن المنصرين وهم في الغالب إيطاليون صاروا ينشئون المدارس لتعليم الأطفال الطقوس المسيحية[١٩٩]، كما قامت فرنسا بإنشاء أول قنصلية لها بتونس عام ١٥٧٧م ومن خلالها استطاعت فرنسا أن ترسل المبشرين والرحالة الأجانب تحت حمايتها الأمر الذي سبب اضطرابا في الدولة العثمانية في المنطقة، وبعد ذلك أتى الكوبشيون وأصبحت في تونس نيابة رسولية يديرها المطران/ «سوتر» وهو كبوشي إيطالي[٢٠٠].

"وفي عام ١٨١٠م استقر المبشرون الفرنسيسكان في طرابلس وافتتحوا مدرسة ابتدائية صغيرة للأطفال المسيحيين في البلاد آنذاك وقد التحق بها عدد قليل من أطفال الليبيين"[٢٠١].

---

[١٩٧] - المرجع السابق، ١٧٩:١٨٧بتصرف. ثم خلف سبستيان على عرش البرتغال إنريكي. وضعف أمر البرتغال فقام الملك/ فليب الثاني بضم البرتغال إلى إسبانيا فيما بعد.

[١٩٨]- البعثة الألمانية، ص١٦، مرجع سابق.

[١٩٩]- تطور التعليم في ليبيا، ص١١٥، نقلا عن: Annual Report of the U.N. Commissioner in Libia, p. ٨٥.

[٢٠٠]- انظر: الحوليات الفرنسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، البارون/ ألفونص روسو، ت: د. محمد عبد الكريم الوافي، ط أولى – ١٩٩٢، منشورات جامعة قاريونس– بنغازي، ص ١٤.

[٢٠١]- المرجع السابق نقلا عن: S. Greige: A short History of Education in Tripolitania p.٨.

المبحث الثاني

العمل التنصيري وأهم محاوره في المغرب العربي (من عام ١٨٣٠م وحتى الاستقلال)

وقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠م، ثم تونس عام ١٨٨١م، ودخلت ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي عام ١٩١١م، ثم تحت الحماية البريطانية والفرنسية عام ١٩٤٣م، والمملكة المغربية تحت الاحتلال الفرنسي عام ١٩١٢م، ولكن نظرا للامتيازات الموقعة من قبل الدولة العثمانية فقد مارس المنصرون عملهم في كافة أنحاء القطر بدرجات متفاوتة. وكانت محاور العمل التنصيري في هذه الفترة على النحو الآتي:

المحور الأول: جلب المنصرين لدراسة البيئة محل العمل التنصيري.

في ٥ يوليو من عام ١٨٣٠م عندما توجهت القوات الفرنسية لاحتلال الجزائر عبر المنفذ البحري (سيدي فرج) وعقب تحطم الأسطول الجزائري الذي كان يحمي الأسطول العثماني في معركة لافارين على مقربة من المياه اليونانية، اصطحب قائد الحملة الفرنسية على الجزائر «دوبونياك» وبتوصية من دائرة الأراضي الفرنسية في الخارج (دائرة الاستعمار) التابعة لوزارة الخارجية أربعة عشر شخصا من أبرز القساوسة الفرنسيين لدراسة المدينة وإبداء أنجع الآراء في كيفية التنصير في هذا البلد[٢٠٢]، كما بادر المارشال/ «سولت» بتاريخ ١٨٤١م بتعيين لجنة من الخبراء لبحث وسائل الاستعمار بواسطة الجماعات الدينية، وترأس هذه اللجنة النائب الكاثوليكي/

٢٠٢- موقع /هداية الحيارى، من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل في الجزائر، يحيى أبو زكريا.

«دوكورسيل» الذي كان متحمساً لهذا النوع من الاستعمار، وقامت اللجنة بدراسة مختلف جوانب الموضوع وبقيت في الجزائر ثلاثة أشهر، وقدمت تقريرها النهائي الذي سلمه «دوكورسيل» إلى وزير التربية والتعليم، ومما جاء فيه: "لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية إلا إذا أصبحت مسيحية"[٢٠٣]، وخلال فترة الدراسة اعتمدت سياسة المحتل على تهدئة الرأي العام الجزائري: حيث إن نص وثيقة الاستسلام التي حررها قائد الحملة الفرنسية ووقعها الداي/ «حسين» تقول: تعطى الحرية للديانة المحمدية وللمكاتب الأهلية ولديانتهم مع احترام تقاليدهم وأملاكهم وتجارهم وصنائعهم، وأن لا يعارضوا في ذلك، وأن لنسائهم الاحترام التام ومزيد الاعتبار، ويقسم الجنرال على ذلك بشرفه.

المحور الثاني: تثبيت الهوية المسيحية بين الجنود لاستخدامهم كمعمرين.

قامت الكنيسة بالتوغل في الوسط الأوربي الموجود في الجزائر في بداية الأمر تمهيدا للمهمة الكبرى وهي استعادة أمجاد كنيسة القديس «أوغسطين»، والمطالبة بإعادة الإيمان المسيحي لشعب أدخل عنوة في الدين الإسلامي – على حد قولهم – فقام القساوسة بالتنصير بين الجنود الفرنسيين أولا وأقنعوهم بأن الهلال يجب أن يندحر في الجزائر لتعود الجزائر إلى أحضان الصليب، مؤكدين لهم أن المهمة في الجزائر ليست سياسية استعمارية بقدر ما هي دينية مقدسة[٢٠٤].

ويبدو أن هذا التوغل داخل المجتمع الكولونيالي تم بطريقة عادية، بحيث لم تشكل هذه العملية أي شكل من أشكال الوخز الاجتماعي والسيكولوجي، وذلك على الرغم من العداء الظاهري تجاه رجال الدين المسيحي في الغرب، ويمكننا إرجاع السبب في ذلك إلى أن

٢٠٣- موقع/ ALSuna.org (السنة)، الجزائر...أحفاد طارق بن زياد في قبضة التنصير.

٢٠٤ – موقع /هداية الحيارى، من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل في الجزائر، يحيى أبو زكريا.

الكنيسة مظهر عمراني مألوف في الوسط الأوربي وإن كان غير مرغوب فيه، وحتى لو كان هؤلاء الأوربيون المعمرون غير متدينين أصلاً!، ولقد أدخلت الكنيسة الطقوس التقليدية والفلكلورية للمجتمع الأوربي بالجزائر كحاجة للتخفيف من حدة الشعور بالغربة الاختيارية للمعمرين المهاجرين إلى بلد لا تربطهم به أي رابطة غير رابطة الربح ورأس المال.

المحور الثالث: تجفيف منابع الإسلام عن طريق:

١- مصادرة الأوقاف: أصدر «دوبرمان» مرسوماً يوم ٨ سبتمبر ١٨٣٠م يقضي بمصادرة الأوقاف الإسلامية والاستيلاء عليها، وتوزيعها على المعمرين خاصة في تونس والجزائر[٢٠٥].

٢- هدم المؤسسات الدينية الإسلامية: كان يوجد بالجزائر على سبيل المثال حوالي (١٧٦) مؤسسة دينية عام ١٨٣٠م فأصبح العدد لا يتعدى (٤٨) مؤسسة بعد عمليات الدمار والتحويل[٢٠٦] ومثال على ذلك:

"قام الفرنسيون بتحويل معظم المساجد الجزائرية التاريخية إلى كنائس والبعض الآخر إلى إسطبلات لخيول الجنود الفرنسيين، فقام الجنرال/ «روفيغو» بهدم مسجد كتشاوة بعد أن ذبح وقتل فيه من المصلين ما يفوق أربعة آلاف مسلم قائم يصلي، وكان يقول: يلزمني أجمل مسجد في المدنية لنجعل منه كنيسة للمسيحيين، فتم تحطيم المسجد بتاريخ ١٨٣٢/١٢/١٨ وأقيمت مكانه كاتدرائية تحمل اسم القديس فيليب وأقيمت فيه أول صلاة نصرانية ليلة عيد الميلاد بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٨٣٢م وبمناسبة هذا الحدث بعثت الملكة/ «إميلي» زوجة «لويس فليب» هدايا ثمينة للكنيسة الجديدة، أما الملك فأرسل ستائر من القماش الرفيع، وبعث البابا/ «غريغوريوس السادس عشر»، تماثيل

٢٠٥- موقع/ ALSuna.org (السنة)، الجزائر.. أحفاد طارق بن زياد في قبضة التنصير.

٢٠٦- الاستشراق السياسي، مصطفى المسلاتي، ص١٧٢، مرجع سابق.

للقديسين للتبرك بها، وأعرب عن امتنانه وشكره للذين قاموا بهذا العمل العظيم، وعلق الجنرال/ «روفيغو» على الحدث بقوله: إني فخور بهذه النتائج، فلأول مرة تثبت الكنسية في بلاد البربر[٢٠٧]، أما مسجد السيدة فقام الجنرال/ «كلوزيل» بهدمه عن آخره، وأقيم على أنقاضه فندق دي لاريجانس، ووقع لجامع حسن باي بقسنطينة ما وقع لجامع كتشاوة، وجاء في الخطبة التي ألقاها سكرتير الحاكم في قسنطينة أثناء الاحتفال بتحويل المسجد إلى كنيسة: إن آخر أيام الإسلام قد دنت وخلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا مواطنين لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً.

وحُول جامع "علي بتشين" بالعاصمة إلى كنيسة تحمل اسم: **Notre Dame De La Victoire** (سيدة النصر) ومثله جامع القصبة البراني الذي حول إلى كنيسة باسم **Saint Croix** (القديس/ كروا)، وكذلك جامع سوق الغزل بقسنطينة، وفي وهران حول مسجد سيدي محمد الهواري إلى متحف، وفي معسكر حول مسجد العين البيضاء إلى مخزن حبوب للجنود الفرنسيين[٢٠٨].

٣- مصادرة لغة القرآن وإغلاق معاهده الدينية:

قام «شوطان» وزير داخلية فرنسا آنذاك بتاريخ ٨ مارس ١٩٣٨م بإصدار قرار يقضي بمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر باعتبار أنها لغة أجنبية، كما قام بإلغاء معاهد

---

[٢٠٧]- وعاد المسجد إلى المسلمين عام ١٩٦٢م بإمامة محمد البشير الإبراهيمي.

[٢٠٨]- - الشروق، عدد٤٣٥، ١٠ ديسمبر ٢٠٠٠. وأيضا: موقع /هداية الحيارى، من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل في الجزائر، يحيى أبو زكريا. وأيضا: موقع/ **ALSuna.org** (السنة)، الجزائر...أحفاد طارق بن زياد في قبضة التنصير.

التعليم الديني واللغوي التي كانت سائدة في الجزائر التي كانت نسبة المتعلمين فيها وحسب آخر إحصاءات فرنسية ٩٠% من عدد السكان.

المحور الرابع: السيطرة على التعليم.

أوضح وزير التربية الفرنسي – أثناء احتلال فرنسا للجزائر– الهدف من سياسة فرنسا التعليمية بقوله:

إن الغزو الأول للجزائر كان بقوة السلاح، ويتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على قبول عدالتنا وآرائنا، وسوف يتحقق الغزو الثالث من طريق المدرسة وتغير العقلية الجزائرية"[٢٠٩].

ولتحقيق هذا الهدف قام الأسقف/ «دوبوش» **Dupuch** باستدعاء طائفة اليسوعيين الذين لهم باع طويل في العمل التنصيري بين العرب والمسلمين من طريق المؤسسات التعليمية ووصلت الطائفة عام ١٨٤٠م، واختاروا العمل في العاصمة الجزائرية وقسنطينة ثم معسكر؟!، وكان هدف اليسوعيين تنصير العرب والوقوف في وجه كل الأوروبيين الذين أسلموا وتزوجوا من جزائريات فشكلوا أنفسهم في جمعية أطلقوا عليها اسم (الجميعة الأدبية الدينية للقديس أوغسطين) عام ١٨٤٤م، التي كان من ضمن أهدافها بعث الثقافة الدينية النصرانية بالجزائر من طريق إحياء كتابات القديس «أوغسطين» والقديس «سبريان» وغيرهما، وكذلك من طريق دراسة آثار الكنائس القديمة بإفريقيا بهدف إثبات الماضي النصراني[٢١٠].

وقامت الإرساليات التنصيرية بالإكثار من إنشاء مدارسها في أنحاء متفرقة من المغرب العربي، فمثلا في تونس زاد عدد المدارس من عشرين مدرسة عام ١٨٨١، إلى

---

[٢٠٩]– الأمة، التحرير، عدد٥٣، سنة٥– فبراير١٩٨٥، ص٦٧.

[٢١٠]– موقع/ ALSuna.org (السنة)، الجزائر...أحفاد طارق بن زياد في قبضة التنصير.

ثلاثة وثمانين مدرسة عام ١٨٨٥م، وكان يدرس فيها حوالي (٢٤٧١) مسلما، وكانت هذه المدارس في بادئ أمرها تهتم بتعليم اللغة والثقافة الفرنسية إلى أن ثار المعمرون[٢١١] على هذا المنهج فعدَّلت فرنسا من سياستها التعليمية وأصبحت تهتم بالأمور المهنية والزراعية البحتة بجانب تعليم ديانة المستعمر[٢١٢].

كما كان يوجد بجانب المدارس الفرنسية مدرستان إيطاليتان، وفي عام ١٨٨٥م أخضعت لسلطة الحكومة الإيطالية، حيث عقد اتفاق بين فرنسا وإيطاليا جاء فيه: فيما يتعلق بالمدارس الإيطالية المفتوحة في الوقت الحاضر بالبلاد التونسية سيبقى وضعها على ما هو عليه، من غير مساس بالحقوق العليا الراجعة للإدارة المحلية في ميدان حفظ الصحة والأمن العام[٢١٣].

أما بالنسبة للمدارس التنصيرية بصفة خاصة والجمعيات الدينية الكاثوليكية بصفة عامة في ليبيا، فقد تم توقيع اتفاق بين الجمهورية الفرنسية وبين إيطاليا، أمست من خلاله هذه المؤسسات تحت الحماية الإيطالية[٢١٤]. وكانت هذه المدارس على النحو الآتي:

---

[٢١١]- جاء في جريدة تونس الفرنسية التي نشرت في ٢٧ مارس ١٨٨٩م فصل ورد فيه بالخصوص: أجل إن ما نشاهده من اضطراب في العالم الإسلامي هو في معظمه ناتج عن التعليم الذي لقناه لحميينا. فعندما علمناهم تاريخ الشعوب المتحضرة ومكناهم من طريق معرفتهم للغتنا من قراءة المنشورات الفرنسية من كتب وجرائد أثرنا في نفوسهم فجأة أفكار الحرية والمساواة، التي لم يتهيأوا لها من قبل لا من طريق التربية العائلية ولا من طريق البيئة المحيطة بهم. تاريخ تونس المعاصر (١٨٨١- ١٩٥٦م)، أحمد القصاب، ت. حمادي الساحلي، ص٣٠٠. وهذا الكلام في نظر الباحث به الكثير من المبالغة فهم لم يأتوا إلى قوم لم يكن لهم حضارة أو سيادة بل على العكس فحضارتهم كانت جزءا من حضارة ملأت أركان العالم معرفة في شتى العلوم. ويكفينا في هذا المقام أن نرشد القارئ الكريم إلى كتاب : شمس العرب تسطع على الغرب، زيجريد هونكة. وبعد الاطلاع على هذا الكتاب نستطيع أن نقول: إذا كان ما يدعونه من كونهم كانوا عاملا في رقينا وتعليمنا صحيحا فيكون من باب هذه بضاعتنا ردت إلينا.

[٢١٢]- المرجع السابق، ص٢٩٦: ٣٠٠.

[٢١٣]- المرجع السابق، ص٢٩٢-٢٩٣.

[٢١٤]- حيث جاء في الرسالة رقم (١٤٠) الواردة من القنصلية العامة الإيطالية بطرابلس الغرب في فبراير ١٩٠٧م إلى الوالي ما نصه:بناء على الاتفاق الواقع بين الجمهورية الفرنسية وإيطاليا الذي أشعر به الباب العالي رئاسة الدولة العثمانية في ٢٢ من

طرابلس:

مدرسة ابتدائية للبنين مع أقسام إضافية مسائية تأسست عام ١٨٧٦م.

مدرسة ابتدائية للبنات مع أقسام إضافية للتدريب المهني عام ١٨٧٨م.

مدرسة فنية تأسست عام ١٨٨٨م مع قسم طبي ومعمل للتحليل ملحق بها.

مدرسة للأطفال الأيتام أسسها المجلس التنصيري الوطني الإيطالي، وتديرها الأخوات الفرنسيسكانيات.

الخُمس:

مدرسة ابتدائية للبنين تأسست عام ١٨٨٨م، وبها قسم طبي وقسم مسائي للكبار غير المتعلمين، وكانت تدرس بها اللغة العربية، وهي مدارس حكومية إيطالية تتبع المناهج المتبعة بالمدارس القائمة في إيطاليا.

المدرسة الابتدائية الفرنسية تأسست عام ١٩١١م، وهي تابعة للجمعية الكاثوليكية في فرنسا[٢١٥].

مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمجلس التبشيري الوطني الإيطالي، وتديرها الأخوات الفرنسيسكانيات.

بنغازي:

مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للبعثة الكاثوليكية، وتديرها أخوات القديس يوسف.

مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للبعثة الكاثوليكية، وتدار بواسطة الأخوة الفرنسيسكان.

شهر يناير الماضي فإني أتشرف بإبلاغ دولتكم أن المؤسسات الدينية بطرابلس وبنغازي التابعة للجمعيات الكاثوليكية قد أصبحت تحت حماية إيطاليا. الاستشراق السياسي، مصطفى المسلاتي،ص١٩٥.

٢١٥ – ص١٠، S. Greige: A short History of Education in Tripolitania ١٩٤٨ , p.١٠

درنة:

مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للبعثة الكاثوليكية، وتدار بواسطة الأخوة الفرنسيسكان.

مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمجلس التبشيري الوطني الإيطالي، وتديرها الأخوات الفرنسيسكانيات[٢١٦].

المحور الخامس: ترسيخ الوجود النصراني في المغرب العربي. عن طريق:

١- تعهد الأيتام:

استعان المنصرون بطائفة القديس/ فانسادو بولس التي حلت بالجزائر عام ١٨٣٤م، ولقد اختصت هذه الطائفة بتنصير الأطفال والمرضى. واستطاعوا أن ينجزوا في ظرف سبع سنوات (٤٠) ملجأ في أنحاء متفرقة من الجزائر.

كما قام الأب/ «بريمولت» بإنشاء مركز للأطفال ببوفاريك وآخر بابن عكنون عام ١٨٤٣م، ولقد بلغ عدد الأطفال بهذا المركز حوالي (٣١٧) طفلاً، ولقد نجح «بريمولت» في تنصير ثمانية أطفال منهم، ونظرا للدور التنصيري الفعّال الذي أداه هذا المركز على هذا القطر قام الجنرال/ «بيجو» بزيارة المركز، وأعطى للأب/ «بريمولت» مجموعة من أطفال الجزائر قائلاً له: حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين فإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار، كما قام بعض المنصرين باستغلال مجاعة عام ١٨٦٦م، وكان على رأس هؤلاء المنصرين الكاردينال/ «لافيجري»، الذي قام بجمع الأيتام وتربيتهم وتنشئتهم تنشئة مسيحية، ولم يكتف المنصرون بذلك بل عمدوا إلى خلق أسر متنصرة، من خلال تزويج بعض من أبناء المسلمين ببعض من المنصرات

---

[٢١٦] - تطور التعليم في ليبيا، ص١١٨ :١٢١. نقلا عن: Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, p٨٦

البرتستانتيات[٢١٧]، خاصة في منطقة القبائل الكبرى[٢١٨].

وفي نوفمبر ١٨٦٨ اشترى «لافيجري» أراضي واسعة بالعطاف في مكان يسمى سهل شلف وأسس به قريتين هما قرية القديس سيبريان[٢١٩] والقديس مونيك[٢٢٠].

ومما قاله عن أهداف القريتين:

ستتكون في كل قرية عائلات مسيحية من طريق التزويج بين اليتامى، وسنجد في هذه القرى بعد سنوات قليلة عرباً مسيحيين.

كما قام «دوكورسيل» باستدعاء فرقة الترابيست التي كان لها منهجها الخاص أيضا في العمل التنصيري، وذلك من خلال امتلاك الأراضي الزراعية وفلاحتها، فاستقرت هذه الفرقة بمدينة اسطاوالي حيث أعطتها سلطات الاحتلال (١٠٢٠) هكتارا من أحسن الأراضي الساحلية بسهل اسطاوالي، وساعدها الجنرال بثلاثين ثورا وبقرة، وتسعين كبشا،

---

[٢١٧]– والسبب في ذلك: أن نظام الرهبنة الكاثوليكي يمنع الرهبان والراهبات من الزواج، بخلاف البروتستانتية فلا يوجد فيها نظام الرهبنة. وفي نظر الباحث أن هذا العمل كان من الأسباب المباشرة في انتشار المذهب البروتستانتي في هذه المنطقة وليس الكاثوليكي على الرغم من أن هذا الأخير كان المذهب الذي نشط بقوة وبكثرة في منطقة القبائل الكبرى.

[٢١٨] – كنائس، وأناجيل الأمازيغية، ح.ن، الشروق، ١٤ ديسمبر ٢٠٠٠.

[٢١٩]– قرية القديس سيبريان: شيدت عام ١٨٧٢م تخليداً لأسقف قرطاجة السابق. وأقام فيه ٢٦ أسرة بعد ما زوج اليتامى الذين بلغوا سن الرشد. ومنح كل أسرة ٢٠ هكتاراً صالحة للزراعة ومنزلاً يتألف من غرفتين أو ثلاث غرف ومنحها تسبيقاً من النقود أو من المواد الزراعية. وقد بنيت القرية حول الكنيسة، ويوجد في مدخلها بستان جماعي وإسطبل. غير أنه لم تكن الأراضي ملكاً لكل أسرة، ولكنها أجرت لها بثمن رمزي. وبهذه الطريقة ظل الفلاحون خاضعين لسلطة المبشرين.

[٢٢٠]– قرة القديس مونيك: تخليداً لأم القديس أوغسطين، وتكونت القرية من ٢٤ أسرة. ومن ضمن العائلات، نجد عائلات/ فرانسوا بن عيسى و جان الشريف الذين كانوا يعيشون أولاً في سانت أوجين قريباً من بوزريعة. وأقامت الأخوات البيض في القرية واعتنين بالتعليم والتطبيب. وفي عام ١٨٧٦م أنشأ لافيجري مستشفى سانت ايليزابيث بالقرب من القريتين، وشيده بحضور شخصيات مدنية وعسكرية وأعجب قنصل بريطانيا بلافيجري إلى أن شبهه بالقديس أوغسطين. موقع/medinacenter.org (مدينة سنتر)، سياسة التبشير في الجزائر سياسة الغزو والإدماج.

وقامت ببناء أول دير لها بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٨٤٣م وسط مزارع هذه المدينة.

وتشير المراجع إلى نجاح هذه الفرقة في زراعة الأراضي التي استولت عليها بالكروم، ولكنها فشلت فشلا ذريعا في تنصير الجزائريين، ويتضح ذلك من قول المنصر/ «جيرارد» الذي جاء فيه: عند مجيئي إلى الجزائر كنت آمل في تنصير العرب، ولقد رأيت عددا منهم يصلون إلى مرحلة التعميد ولكني لم أر واحدا منهم يثبت على نصرانيته. ونفس هذا الطريق التزم بها الأسقف/ «بافي» **Pavy**[٢٢١].

٣- بناء الكنائس: استطاع الأسقف «دوبوش» **Dupuch** أن يقيم مشروع استعادة الكنيسة الإفريقية، بمساعدة «بيجو» واستطاع أن ينجز في ظرف سبع سنوات (٤٧) كنيسة في الجزائر وحدها.

المحور السادس: ربط التنصير بالعمل الإنساني.

اعتمد الأسقف/ «دوبوش» **Dupuch** في عمله التنصيري على العمل الخيري، وعبر عن ذلك بقوله: يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي، فينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين من خلال الخدمات الخيرية. وبدأ هذا العمل بإعلانه أنه سيعطي (٢٠) فرنكاً أسبوعياً لكل من جاء ليسمع التلاوة الدينية في الكنيسة و(٥٠) فرنكاً لمن يقبل التعميد فيتنصر، وخصص يومي الاثنين والخميس ليتصدق فيهما بالخبز للأطفال المشردين. وقد شجعه البابا/ «غريغوريوس السادس عشر» على ذلك ودعمه بالقسيس/ «سوشي» فكلفه بتنصير أهل قسنطينة، وقد افتخر «دوبوش» بكونه أول من يدخل مدينة إسلامية لم يدخلها قسيس منذ (١٤٠٠) عام، وكانت باكورة أعماله

٢٢١- الأسقف/ بافي: هو الذي تولى بعد دوبوش، وكان يرى أن من واجبه محاربة القرآن وتنصير المسلمين.

تأسيس أول معبد نصراني بتحويله مسجد أحمد باي إلى كنيسة.

كما قام البارون/ «أوغسطين دوفيالار»، بشراء أراض بكل من القبة وبراقي وابن عنكون وبوفاريك بسهل متيجة وأنشأ مركزاً طبياً في مارس من عام ١٨٣٥م. ولمزيد من الأهمية، قام هذا البارون بالسفر إلى فرنسا من أجل غاية تنصيرية مفادها تحريض الناس هناك للتبرع لصالح مشاريعه الخيرية التنصيرية مؤكداً لهم أن هذه الأعمال ستؤدي في النهاية إلى تنصير الجزائريين، وقام بجمع تبرعات ضخمة لمشاريعه، مما يؤكد لنا مدى رسوخ فكرة التنصير لدى كثير من الأوربيين خاصة في فرنسا، وكان أول من آمن بأفكاره الملك/ «لويس فيليب» وزوجته «إميلي» اللذين تبرعا له بمبلغ (١٥٠٠) فرنك، ويبدوا أن هذا المنصر كان شديد الإيمان بفكرة العمل التنصيري من خلال الأعمال الخيرية حيث قام باستدعاء المنصرة/ «إميلي دوفيالار» -شقيقته- إلى الجزائر مع مجموعة من الراهبات لاستغلال المراكز والمعاهد ونشاطات التطبيب والأعمال الخيرية في نشر النصرانية. وما أن وصل إلى الجزائر المنصر/ «بورغاد» ١٨٣٨م، الذي كان يوافق البارون/ «أوغسطين» في أفكاره التنصيرية، حتى اختارته «إميلي» مرشداً دينياً لفرقتها، وقام «بورغارد» بفتح مركز خيري آخر بمدينة بوفاريك، الأمر الذي جعل المارشال/ «فالي» يكرمه فيسلم له مسجداً صغيراً ليقيم فيه[٢٢٢].

المحور السابع: توطين بعض النصارى من البلدان العربية الأخرى.

حاول العمل التنصيري في المغرب العربي الاستعانة بالموارنة النصارى، كما فعل في مصر من أجل إيجاد جالية عربية نصرانية تسهل لفرنسا مهمتها الاستعمارية، وكان صاحب الفكرة قنصل فرنسا بالإسكندرية «بوديكور»، الذي خاطب وزير الشئون الخارجية الفرنسية في ٩ سبتمبر ١٩٤٥م عارضاً عليه الفكرة بقوله: الموارنة

---

[٢٢٢]- موقع/ ALSuna. Org (السنه)، الجزائر.. أحفاد طارق بن زياد في قبضة التنصير.

مسيحيون، وقد برهنوا على إيمانهم بتمسكهم الشديد بالدين، وسوف يؤثّرون على سكان الجزائر حينما يسكنون بينهم سينتشرون في الأسواق العربية وكل القرى القبائلية ومراكز التجمع في المناطق الصحراوية، مكونين بذلك شبكة من النصارى العرب، العاملين من أجل المصالح الفرنسية.

وقد تعطل هذا المشروع لأن الحكومة الفرنسية كانت تفضل بقاء الموارنة ببلاد الشام ومصر لحاجتها إليهم في تثبيت مصالحها هناك، ثم طرحت الفكرة من جديد بمناسبة الفتنة التي وقعت بين الدروز والموارنة عام ١٨٦٠م، ثم جاء الكاردينال/ «لافيجري»[٢٢٣] ليعيد طرحها من جديد حيث ورد في مراسلته لوزير الشؤون الدينية عام ١٨٦٦م ما نصه:

إني الوحيد الذي أبديت اهتماماً بنشر المسيحية وسط العرب، وقد كانت وما زالت لي علاقة طيبة مع مسيحي المشرق العربي، وهؤلاء يجب استدعاؤهم إلى الجزائر.

ويبدوا أن مشروع الاستعانة بالمسيحيين العرب قد لاقى قبولا بعد ذلك. حيث شجعت الإرساليات التنصيرية بعض الأقباط المصرين لكي يعبروا إلى ليبيا لمساعدة المنصرين في عملهم. ويتبين لنا ذلك من خلال الرسالة التي تلقتها متصرفية الخمس والجبل وفزان والموجهة إلى مديرية الأمن العام، التي جاء فيها:

بناءا على تبليغ وأمر من وزارة الداخلية، حيث إنها علمت بأن جماعة من رهبان مصر يتغلغلون بين الأهالي والغرباء، متخفين بزي المشايخ لبث الدعايات المغرضة ونشر الفساد والتفرقة. وللحيلولة دون ذلك يطلب منكم التيقظ في المراكز والدواخل وتبليغ الموظفين المسؤلين بألا يتركوا مجالا لمثل هذه الأحوال، التي لا تخفى محاذيرها[٢٢٤].

---

[٢٢٣]- وقد عينته روما كاردينال تقديراً لعمله التبشيري سنة ١٨٨٢.

[٢٢٤]- الاستشراق السياسي، مصطفى المسلاتي، ص ص١٩٢ - ١٩٨، مرجع سابق. والرسالة بتاريخ ١٠ مارس١٩١٠م. وأيضا: موقع/ALSuna. Org (السنه)، الجزائر.. أحفاد طارق بن زياد في قبضة التنصير. موقع/ ALSuna. Org (السنه).

المحور الثامن: توسيع رقعة العمل التنصيري.

كان من ضمن غايات جمعية الآباء البيض النفوذ عبر الصحراء والسودان من طريق عين صالح لنشر المسيحية في وسط أفريقيا، وبالفعل فلقد استقر بعض أعضاء هذه الجمعية في مدن بسكره وجيرويل والأغواط ومتيلي.

وحينما أرادوا أن يعبروا الصحراء متوجهين إلى وسط أفريقيا قام أفراد من الطوارق بقتل ثلاثة منهم بعد مغادرتهم مدينة متيلي، ويبدوا أن هذا العمل لم يؤثر في المنصرين كثيرا حيث قام «لافيجري» بتجربة طريق آخر هو طريق (غدامس – غات) للنفوذ إلى السودان عوضا من طريق عين صالح. فوصل إلى طرابلس منصران فرنسيان عام ١٨٧٨م، وحاولا أولا أن يكسبا محبة السكان، فقاما بتقديم العلاج لهم، ويبدوا أن هذا العمل قد وجد استحسانا عند معظم سكان المنطقة، الأمر الذي بدوره كان حافزا لهم للقيام بجولة بين الطوارق[٢٢٥] في المنطقة الواقعة بين غدامس وغات، استمرت (٥٦) يوما عام ١٨٨٠م. ولكن الأمر الذي أساء إلى وضع المنصرين في هذه الفترة ما شاع عنهم من كونهم جواسيس. فوضعتهم السلطات التركية تحت المراقبة، كما قام الأهالي بمضايقتهم وقد وصلت هذه المضايقات في بعض الأحيان إلى القتل. حيث قتل الطوارق ثلاثة منهم في مكان يسمى ماركس. وبعودة قتل المنصرين من قبل السكان، قام «لافيجري» بتأسيس كتيبة مسلحة لحماية المنصرين عام ١٨٩١م سماها: جمعية إخوان الصحراء المسلحين، وكانت الأهداف المعلنة لهذه الجمعية هي محاربة بيع العبيد[٢٢٦]، ولكن الحقيقة غير ذلك، فقد كان الهدف منها حماية المنصرين، والحفاظ على حركة التنصير بقوة السلاح، إلى جانب استكشاف الصحراء، وتسهيل وصول العسكريين،

٢٢٥– وهذا ربما يرجح ما ذهبنا إليه من أن الوقوف في وجه العمل التنصيري ينبغي أن يكون نابعا من الأفراد أنفسهم، فلقد تبين لنا هنا أن نتيجة لتساهل الأهالي مع المنصرين حفزهم على الاستقرار وزيادة عملهم التنصيري.

٢٢٦– لنا أن نتعجب من حركة تدعيم محاربة بيع الرقيق وهي تنتمي إلى حضارة استرقت شعوبا بأكملها، واستعبدت قارات بكاملها.

وأخيرا بسط النفوذ الفرنسي في أعماق الصحراء، خاصة بعد أن قام أهل الجنوب بقتل جماعة من المنصرين لإساءهم للدين الإسلامي، الأمر الذي اعتبره الأهالي استفزازا لهم في عقيدهم. وكان من ضمن المنصرين الذين قتلهم الأهالي لهذا السبب «بولمي»، «مينوري»، و«بوشو»[٢٢٧].

المحور التاسع: الاهتمام بالمرأة.

وبالموازاة فقد قام المنصرون بتأسيس حركة الأخوات البيض، التي حملت مسؤولية تنصير النساء من طريق التطبيب والتعليم والخدمات الخيرية[٢٢٨].

ويبدوا لي أن التجربة التي قامت فرنسا بإجرائها لاختبار عملها التنصيري على مسلمي المغرب العربي –بصفة عامة – والجزائر – بصفة خاصة حيث كان نشاطها التنصيري منصبا على هذا البلد– قد أبرزت لنا جانبا من نتائج هذا العمل في هذه الفترة، حيث تم اختيار عشر فتيات مسلمات جزائريات من قبل الحكومة الفرنسية وأدخلتهن في مدارسها التنصيرية، وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهن حفلة تخريج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون، ولما بدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري، وكأهن يعلن للمنصرين عدم نجاح عملهم التنصيري، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً؟! فأجاب «لكوست» –وزير المستعمرات الفرنسي– بحسرة: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا"؟![٢٢٩].

---

[٢٢٧]– الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، عبد الرحمن تشايجي، ت: د. علي إعزازي، محمد الأسطى، تقديم: د. محمد الطاهر الجراري، ط ١٩٨٢، ص٦٦:٩٨ بتصرف.

[٢٢٨]– الجزائر...أحفاد طارق بن زياد في قبضة التنصير.

[٢٢٩]– قادة الغرب يقولون، جلال العالم، ص٦٤، مرجع سابق.

الفصل الرابع

تاريخ التنصير في الخليج العربي والجزيرة

(اليمن- عمان- الإمارات العربية- قطر
البحرين- الكويت- السعودية)

المبحث الأول: دخول المسيحية إلى الخليج العربي.

المبحث الثاني: العمل التنصيري في الخليج العربي (من القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين).

تمهيد:

يقع الخليج العربي على الحدود الشرقية للوطن العربي وفي الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، ويمتد من الجنوب الشرقي للعراق إلى بحر العرب والمحيط الهندي ويبلغ طول طريقه المائي من أقصى الجنوب إلى أعلاه في الشمال ثماني مائة ميل، ويتراوح عرضه بين (١٨٠) ميلا، و(٢٨) ميلا فقط عند مضيق هرمز، ويقع على جانبيه هضبتان عظيمتان هما هضبة إيران وهضبة الجزيرة العربية.

أهميته:

كان الخليج العربي مهد الحضارات القديمة وممر للتجارة بين مراكز الحضارة القديمة منذ فجر التاريخ بسبب موقعه الذي يسيطر على الطريق الرئيسي بين الشرق والغرب ولا يزال يتمتع بأهمية تجارية خاصة حتى عصرنا الحاضر جعله ميدانا للتنافس الدولي.

ولكن ما يهمنا أن المنطقة أصبحت معروفة للأوربيين عندما عثر المكتشفون البرتغاليون على طريق الهند في القرن السادس عشر، فقد وصلوا الخليج العربي حقا وأقاموا قاعدة لهم في هرمز أحد أهم المناطق الإستراتيجية في الخليج العربي والشرق الأوسط، ثم بدأت القوى الأوربية الأخرى بالتحرك نحو هذه المنطقة بالتنافس فيما بينها للسيطرة على هذا الممر المائي الهام، وكانت النتيجة أن وضعت بريطانيا حدا لهذه المنافسة الدولية عندما احتكرت السيطرة على المنطقة كما سنبين ذلك، والأهمية المعاصرة لهذه المنطقة هي أنها منطقة غنية بالثروة النفطية بالإضافة إلى أن٦٠% من الكمية التي يستوردها العالم من البترول تعبر مياهه، كما أن المنطقة سوق ممتاز للمنتجات الأوربية والولايات المتحدة، بالإضافة إلى أهميتها الاستراتيجية السياسية والعسكرية في الخريطة الدولية.

المبحث الأول

دخول المسيحية إلى الخليج العربي والجزيرة

من المبررات التي استند إليها المنصرون للتنصير في هذه المنطقة أن الجزيرة العربية كانت في يوم من الأيام قبل الإسلام متأثرة بالمسيحية ويجب إعادتها إليها، فيقول مؤسسو الإرسالية العربية: إن للمسيح حقا في استرجاع الجزيرة العربية وقد أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها. وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك ولهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية.

لذا من الأهمية بمكان أن نبحث إلى أي مدى تأثرت المنطقة بالمسيحية. وسنبحث هذه النقطة من خلال فترتين.

<u>الفترة الأولى:</u> من القرن الأول وحتى النصف الأول من القرن الرابع.

هناك من الباحثين من يرجع زمن دخول النصرانية إلى الخليج العربي إلى عهد «بولس» الذي يلقب بالرسول مستندا في ذلك إلى ما ورد في العهد الجديد أن «بولس» نفسه كما يظهر من رسالته إلى أهل غلاطية ذكر بأنه بعد أن اعتنق النصرانية قد ذهب إلى البلاد العربية وعاد بعدها إلى دمشق ثم ذهب إلى أورشليم. فيقول:

وَلَكِنْ، لَمَّا سُرَّ اللهُ، الَّذِي كَانَ قَدْ أَفْرَزَنِي وَأَنَا فِي بَطْنِ أُمِّي ثُمَّ دَعَانِي بِنِعْمَتِه. أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، فِي الْحَالِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً. وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأُقَابِلَ الَّذِينَ كَانُوا رُسُلاً مِنْ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى بِلاَدِ الْعَرَبِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعْتُ إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، بَعْدَ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ، لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ.

وَقَدْ أَقَمْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَلَكِنِّي لَمْ أُقَابِلْ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلاَّ يَعْقُوبَ، أَخَا الرَّبِّ. إِنَّ مَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكُمْ هُنَا، وَهَا أَنَا أَمَامَ اللهِ، لَسْتُ أَكْذِبُ فِيه. وَبَعْدَ ذَلِكَ، جِئْتُ إِلَى بِلاَدِ سوريا وَكِيلِيكِيَّةَ. إِلاَّ أَنَّنِي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوف شَخْصِيّاً لَدَى كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّة الَّتِي هِيَ فِي الْمَسِيحِ. وَإِنَّمَا كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ فِي السَّابِقِ يَضْطَهِدُنَا، يُبَشِّرُ الآنَ بِإِنْجِيلِ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ يَسْعَى قَبْلاً إِلَى تَخْرِيبِهِ! فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ بِسَبَبِي»[٢٣٠].

وهذا ما ذهب إليه «رايت تومس» **Wright Thoms**.

وأول نقطة خلافية تواجهنا هنا ما الذي يعنيه «بولس» بالبلاد العربية بالمعنى الجغرافي؟

ومن سوء الحظ أن المصادر المسيحية قد أخفقت في تعريف أو تحديد البلاد العربية التي قام «بولس» بزيارتها.

فمن المحتمل جداً أن تكون البلاد العربية التي زارها «بولس» هي المناطق الشمالية لشبه الجزيرة العربية الواقعة في سوريا التي كان العرب يقطنونها.

والسؤال الثاني هو: هل أدخل «بولس» المسيحية أو بشر بها حقا بطريقة أو بأخرى بين العرب القاطنين في شمال الجزيرة العربية؟

والإجابة على هذا السؤال أيضاً تفتقر إلى الوضوح. ولكن جميع الدلائل تشير إلى العكس وقد انتهى «رتشارد بل» **Richard Bell** إلى أن طبيعة زيارة «بولس» ذاتها تفتقر إلى الوضوح كما أن مدتها أيضاً غير واضحة. وقد قام «بل» بتفسير هام فيما يتعلق بطول الزيارة حيث قال:

---

[٢٣٠]– غل: ١ (١٥ : ٢٤).

إن السنوات الثلاثة التي يذكرها القديس «بولس» لا تشير إلى مدة إقامته في البلاد العربية ولكنها تشير إلى المدة التي انقضت بين اعتناقه للمسيحية وذهابه إلى القدس بما في ذلك فترة من النشاط في دمشق.

ومن هنا يتضح أن النتائج التي استخلصها «بل» تشير إلى أن زيارة «بولس» لا تعتبر دليلا على قيامه بأي نشاط تنصيري، وعلى هذا فإن الزيارة لم تكن تهدف إلى نشر المسيحية بين العرب.

ويرى «بل» أن زيارة «بولس» كانت ترمي إلى توضيح الطبيعة المستقلة لمعتقداته الدينية وإلى تحديد سياسته المقبلة.

وليس هناك أية مؤشرات محددة تساعد على تحديد أي أثر لـ«بولس» في ذلك الجزء الذي قام بزيارته من البلاد العربية[٢٣١].

الفترة الثانية: من منتصف القرن الرابع إلى ما بعد انتشار الإسلام.

يمكننا أن نعزي دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن الرابع إلى الأحباش، حيث إن الاتصال الأول لجنوب الجزيرة بالديانة المسيحية إلى ٣٥٦م، عندما أرسل الإمبراطور الروماني «قسطنطين» أول وفد إلى المنطقة وبدأت المسيحية نتيجة لذلك بالانتشار وأقيمت ثلاث كنائس من خزينة ملوك حمير في اليمن، وعلى أية حال يمكننا أن نرجع القوة التي وصلت إليها المسيحية في جنوب الجزيرة بدرجة كبيرة إلى الصراع بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية، حيث كانت الإمبراطورية الرومانية تسعى دوما لأن تفرض سلطتها السياسية وسيطرتها على المراكز الاستراتيجية

٢٣١- موقع/ الجزيرة (Al-Jazirah)، كلمات وقراءات، محمد بن أحمد الشدي. وأيضا: موقع/ مقاتل (qatelmo). الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي. وأيضا: موقع/ سيد نت (saaid.net)، مذكرة التنصير، سلمان بن فهد العودة.

الحساسة بالسيطرة على الحبشة وكذلك على جنوب الجزيرة العربية، ولهذا فإن المسيحية انتشرت في المنطقة لكونها الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، وتمكن مسيحيو الحبشة من تأسيس سلطتهم على جانبي النهاية الجنوبية للبحر الأحمر.

وبحلول القرن الرابع لم يكن للمسيحية تأثير يذكر في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية وكانت تتركز في الجزء الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الواقع تحت سيطرة الأحباش حيث استخدموا القوة لإخضاع اليمن.

ويمكن أن نستنتج من هذا أن المسيحية قد ازدهرت في المنطقة منذ القرن الميلادي الرابع وبدأت تتوسع في الانتشار. وإلى جانب المسيحية كانت هناك ديانتان لهما تأثير هام رغم اقتصارهما على مناطق محددة وهما اليهودية في المدينة وخيبر وبعض المناطق في اليمن والوثنية في معظم أجزاء الجزيرة الشمالية والوسطى.

والواقع إن الحكم المسيحي لم يكن مستقرا في اليمن وكانت تتخلله الثورات وعلى الأخص في النصف الأول من القرن السادس.

وبظهور الإسلام انحصر العمل التنصيري في الوسائل التي ذكرناها آنفا التي تلاشت بعد أن استطاع الإسلام أن يبسط نفوذه على منطقة الجزيرة العربية كلها في مدة لا تتجاوز الخمسة وعشرين عاما.

ومن هنا يتبين لنا أن وجود النصرانية كان منحصرا في اليمن بشكل رئيسي، كما أنها كانت قائمة على القهر والغلبة كما هو الحال في سائر الأقطار، وإذا وجد ذكر لبعض النصارى في داخل الجزيرة العربية فهؤلاء كانوا منطوين على أنفسهم ولم يحاولوا أن يقوموا بأي عمل تنصيري يذكر، سوى ما نبأوا به من أن نبيا سيخرج من

جزيرة العرب[٢٣٢]، ومما يذكر أن هذه النقطة قد أشاعها كل من: - النصارى الذين كان وجودهم محدودا في المنطقة، فيقول «محمد أبو زهرة»: "لقد راجت في البلاد العربية، وخصوصا حول مكة والمدينة أقوالا تذكر أن نبيا يبعث في هذا الزمان، وروج ذلك النصارى الذي كانوا منبثين في الجزيرة العربية، ويقيم كثيرون منهم في أطرافها، وكانوا يتناقلونها من الشام في رحلتهم إليها تجارا، إذ يرون الرهبان منبثين في الأديرة ويلتقون بهم الفينة بعد الفينة"[٢٣٣].

- واليهود الذين أخبرنا القرآن عنهم بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٢٣٤].

---

[٢٣٢]- على سبيل المثال: ما روي أن زيد بن عمرو بن نوفل اخذ يتنقل في البلاد متعرفا على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن انتهى به المطاف عند راهب بميفعة من أرض البلقاء (كورة بجوار دمشق) كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية، فسأل عن الحنفية، دين إبراهيم، فقال إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها بدين إبراهيم الحنفية فالحق بها، فإنه مبعوث الآن. سيرة ابن هشام، جـ١، ص٢٣٢. وكذلك قصة إسلام سلمان الفارسي. ومختصرها عندما كان في خدمة راهب بعمورية ولما أن حضرته الوفاة قال له سلمان: بمن توصي بي وبم تأمرني. فقال له الراهب: أي بني، والله ما أعلم أحدا أصلح على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأمنه ولكن قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات.، انظر: سيرة ابن هشام، جـ٢، ص٢٩٦- ٢٩٧.

[٢٣٣]- خاتم النبيين، الشيخ محمد أبو زهرة، جـ الأول، ص٣٣٧.

[٢٣٤]- سورة البقرة، ٨٩. وجاء في صفوة التفاسير عن تفسير هذه الآية: كانوا قبل مجيء النبي محمد ﷺ يستنصرون به على أعدائهم ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان، الذي نجد نعته في التوراة فلما بعث محمد ﷺ الذي عرفوه حق المعرفة كفروا برسالته فلعنة الله على اليهود الذين كفروا بخاتم المرسلين. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج ١، ص٧٧.

المبحث الثاني

العمل التنصيري وأهم محاوره في الخليج والجزيرة

عودة النصرانية إلى الخليج العربي كانت عسكرية "حيث كانت المنطقة المحاذية للبحر والممتدة من سواحل عدن على البحر العربي إلى قمة الخليج شمالا مسرحا للنفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي الغربي منذ الحملات العسكرية الاستعمارية البرتغالية في القرن السادس عشر الميلادي (١٥٢٢- ١٦٤٠م)"[٢٣٥].

ولكن ما رجعت إليه من مصادر ومراجع لم يذكر شيئا عن أعمال تنصيرية في هذه الفترة سوى هذه الرسالة التي بعث بها القائد البرتغالي إلى إمام عمان حيث جاء فيها: "من ربان برتغالي إلى الإمام/ «سيف بن سلطان الأول اليعربي»: أنتم يا من تحكمون على رعاياكم في خلافاهم تعلمون أننا جيش الله، ولقد خلقنا لنكون أداة لعقابه الإلهي، ووهبنا السيطرة على الذين يحل بهم سخطه، إننا لا نرحم على من يشكو، أو نشفق على من يبكي"[٢٣٦]

ويذكر «جيمس كانتين» وهو من رواد الإرسالية العربية حيث قال: "من المؤكد أن البرتغاليين، الذين نهبوا سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية لم يفعلوا شيئا يحبب بتعاليم الرب، وقد خضع الساحل الشرقي من عمان طيلة مائة وخمسين عاما لحكومة مسيحية مطلقة. إن القصة بمجملها محزنة لنا، حيث لم يكن هناك تأثير ديني مسيحي"[٢٣٧].

وبعد ذلك لم يرد ذكر لأي عمل تنصيري إلا في أوائل القرن التاسع عشر. واعتمد العمل فيه على عدة محاور منها:

---

[٢٣٥]- موقع/ مجلة الواحة، التبشير والتطبيب في مذكرات المبشرة الأمريكية شريفة: زيارة الممرضة كورنيليا إلى القطيف١٩٢٣.

[٢٣٦]- انظر: الخليج العربي أمام التحدي العقدي، سعيد محارب، مكتبة الأمة - دبي، ط أولى - ١٩٨٥.

[٢٣٧]- موقع/ مقاتل (moqatel)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي.

المحور الأول: دراسة المنطقة محل العمل التنصيري.

وهذا المحور انقسم إلى مرحلتين كانت الأولى خاصة باليمن، والثانية بباقي دول الخليج وسوف نتكلم أولا عن:

المرحلة الأولى: اليمن.

لقد كانت العودة الفعلية للعمل التنصيري في اليمن بزيارة المنصر/ «هنري مارتن» عام ١٨١١م، وأهم ما قام به من أعمال ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية والمحاولة التي قام بها لبيع بعض النسخ منه.

وبعدما نجحت بريطانيا في الانفراد بإمارات الخليج بعد ما أزاحت القوى الأخرى (فرنسا – هولندا) عن المنطقة من طريق ربط إمارات الخليج بسلسلة من المعاهدات ابتداء من معاهدة ١٨٢٠م، ذهب المنصر/ «جون ولسون» في عام ١٨٢٤م بزيارة لشبه الجزيرة العربية تمهيدا للبدء بأعمال تنصيرية، ولكنه لم يمكث هناك طويلا[٢٣٨].

المرحلة الثانية: باقي دول الخليج العربي.

كانت أول زيارة لداخل الخليج العربي تلك التي قام بها المنصر/ «زويمر» عام ١٨٩١م حيث زار كلا من الهفوف وجدة[٢٣٩].

ثم كانت الكويت عام ١٩٠٠م، حيث كتب المنصر/ «أرنولد ويلسون» عن أهمية الكويت في النشاط التنصيري فقال:

إن المزايا الإستراتيجية والتجارية لموقعها، وقربها من مدخل دجلة والفرات، وصلتها الوثيقة بمملكة ابن سعود في وسط الجزيرة العربية، وكونها تسمح بالعبور إليها بسهولة،

---

[٢٣٨]– موقع/ سيد نت (saaid.net)، مذكرة التنصير، سلمان بن فهد العودة.

[٢٣٩]– موقع/ الرأي العام،لم الحملة على المملكة العربية السعودية؟، سهيلة زين العابدين.

كل هذه الأمور تجعل الكويت ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى المبشرين[٢٤٠].

ثم قام «زويمر» بزيارة البحرين عدة مرات لكي يفتتح محطة تبشيرية جديدة هناك، وقد كتب يقول عن زيارته الأولى عام ١٨٩٢م:

إن العرب جميعا يكرمون الغرباء وعموما فإن عرب الساحل العربي لابد أن يساورهم الشك عندما يأتيهم مسيحي حاملاً الكتاب المقدس ولكنهم استقبلوني بأقل مضايقة مما توقعت.

ثم قام «زويمر» بزيارة القطيف مرة أخرى عام ١٩١١م[٢٤١].

المحور الثاني: العمل على خلق قاعدة مسيحية.

وبعد نهاية المرحلة الاستكشافية الأولى كانت عدن هي أولى المدن اليمنية التي استقبلت العمل التنصيري عام ١٨٤٨م، حيث بدأت الهيئة الأمريكية للإرساليات الأجنبية عملها في المنطقة. وتم افتتاح أول مدرسة تنصيرية في اليمن عام ١٨٥٦م – أي بعد الاحتلال بسبعة عشر عاما– بناء على اقتراح المستشرق الإنجليزي/ «جي. ب. بدجر» وفقا لأهداف تبشيرية[٢٤٢].

وقام المنصر/ «سترن» **Stern Rev** برحلة تنصيرية عام ١٨٥٦م إلى صنعاء في اليمن وبغداد في العراق وأجزاء أخرى من بلاد العرب وهو يحمل الكتاب المقدس معه. وفي عام ١٨٨٤م قام المنصر/ «وليام ليثالي»**William Lethaly** من انجلترا بصحبة زوجته، ليبدأ حملة تنصيرية في المدينة المنورة، ثم تبعته إرسالية «إيان كيث فولكانز» **Ian Keith Falconeis** من كنيسة اسكتلندا الحرة التي بدأت عملها التنصيري في عدن في جنوب اليمن عام ١٨٨٥م. وفي بداية العام التالي حاولت

٢٤٠– موقع/ مقاتل (**moqatel**)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي.

٢٤١– موقع/ الجزيرة (**Al-Jazirah**)، كلمات وقراءات، محمد بن أحمد الشدي.

٢٤٢– الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٢٦٩.

إرسالية شمال أفريقيا **North Africa Mission** الوصول إلى القبائل البدوية في شمال الجزيرة دون أن يحالفها النجاح[٢٤٣].

المحور الثالث: التعاون الفعَّال بين الإرساليات البرتستانتينية.

ظهرت الإرسالية العربية عام ١٨٨٥م، و لكي تكتسب ثقة الإرساليات الأخرى ادعت بأن هدفها هو العمل التنصيري بين المسلمين في الجزيرة العربية، كما أنها أبدت استعدادا للتعاون مع الإرساليات الأخرى حيث توقف المنصر/ «جيمس كانتين» في ادنبره في السادس عشر من أكتوبر سنة ١٨٨٩م، وهو في طريقه إلى المنطقة ليضع أسس التعاون مع إرسالية «كيث فولكانز» **Mission Keith Falconeis** في عدن والتابعة لكنيسة اسكتلندا الحرة. وبعد وصوله المنطقة قامت الإرسالية العربية بالاتصال بإرسالية كيث فولكنز للتعاون وتقديم المساعدة. والواقع أن هذه الإرسالية قدمت للمبشرين الأمريكيين مساعدات قيمة، وأهم هذه المساعدات ما يتعلق بتقديم المعلومات عن أحوال المنطقة وخاصة الجغرافية والاجتماعية والدينية[٢٤٤].

---

[٢٤٣]- موقع/ مقاتل (**moqatel**)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي.

[٢٤٤]- وبعد هذه الدراسة قررت الإرسالية إنشاء القاعدة الرئيسية لهم في صنعاء عام ١٨٩١م لأسباب نذكر منها ما تتمتع به هذه المدينة بأهمية استراتيجية في المنطقة كلها حيث إنها:

١- تتحكم في واحد من أهم المضائق في العالم، مضيق باب المندب.

٢- تقع على أكبر مساحة مائية مفتوحة (بحر العرب والمحيط الهندي).

٣- تقع بين إقليمين مهمين (الخليج والقرن الأفريقي). فالمتحكم في صنعاء سيتحكم بالمنطقتين معا كما أنه سيتحكم بالممرات المائية.

٤- كما أن الحكومة الأمريكية قد سبق أن أنشأت قنصلية هناك واستطاع المبشرون الأمريكيون أن يعيشوا ويعملوا تحت حمايتها وقد كان في هذا عون كبير لهم خاصة في الوقت الذي كانت فيه تحت سيطرة الدولة العثمانية.

بالإضافة إلى هذا فإن الإرسالية العربية كانت بحاجة إلى المنظمات المشابهة في العراق ــ كالإرسالية المتحدة في العراق ــ المجلس المسيحي للشرق الأوسط وجمعية الكنيسة التبشيرية، وقد قاموا فعلا بالتعاون معها. موقع/ سيد نت (**saaid.net**)، مذكرة التنصير، سلمان بن فهد العودة. وأيضا: موقع/ مقاتل (**moqatel**)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي.

وبقدوم هذه الإرسالية، وتعاونها مع الإرساليات البرتستانتية في المنطقة، أصبحت دول الخليج بين فكي العمل التنصيري في اليمن والعراق. حيث بدأوا في محاولة الاختراق الفعلي لقلب الجزيرة العربية. مرتكزين في ذلك على ثلاث نقاط.

الأولى: ترتكز على الزيارات الميدانية وإعطاء التقارير والاقتراحات التي يتم مناقشتها في آخر العام كما هو واضح في دستور الإرسالية[٢٤٥]، بالإضافة إلى الاتصال

---

[٢٤٥]- دستور الإرسالية العربية: مادة أولى: سيكون اسم هذه المنظمة الإرسالية العربية.

مادة ثانية: سيكون هدف هذه المنظمة القيام بالعمل التبشيري في الجزيرة العربية أو البلاد الناطقة بالعربية.

مادة ثالثة: تتكون هذه المنظمة من سبعة أعضاء ـــ الأعضاء الأساسيون والأب الدكتور جون جـــ . لا نسنح مؤسس الإرسالية ـــ وهم يخضعون للشروط المبينة فيما يلي.

مادة رابعة: تعقد الإرسالية العربية اجتماعها السنوي في الاثنين الثاني من شهر آذار (مارس) ويتم في الاجتماع اختيار الموظفين لذلك العام.

مادة خامسة: والموظفون هم الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق.

مادة سادسة: ويأخذ أعضاء المجلس قدر الإمكان رغبات المساهمين بعين الاعتبار.

مادة سابعة: يتمتع المجلس بصلاحية تعيين الأجهزة التي يرى في تعيينها، سواء داخل الوطن أو خارجة، تحقيقاً لأهداف الإرسالية.

مادة ثامنة: يقدم المجلس تقريراً سنوياً عن عملياتها وعن أعمال المبشرين مع تقرير مفصل يقدمه أمين الصندوق إلى جميع المساهمين.

مادة تاسعة: يجتمع المجلس كل ثلاثة أشهر حسب اتفاق أعضائه وفي حال اجتماعه فإن حضور أربعة أعضاء يعتبر نصابا ويمكن عقد اجتماعات خاصة بدعوة من موظّفيه أو يطلب اثنين من الأعضاء.

مادة عاشرة: يمكن تعديل هذا الدستور أو تغييره في أي اجتماع من الاجتماعات العامة بتصويت غالبية الأعضاء بشرط أن يتم اقتراح التغيير كتابةً في اجتماع عاديّ سابق.

قوانين داخلية:

أولا: تكون واجبات الرئيس هي الواجبات العادية المناطة بهذا المنصب، ويوقع للتصديق على جميع الشيكات التي يسحبها أمين الصندوق.

ثانياً: تكون واجبات السكرتير وأمين الصندوق هي الواجبات العادية التي تناط بهذين المنصبين. ويتمتع بحق تعيين الموظفين اللازمين للأعمال الكتابية الذين يحددهم المجلس.

ثالثاً: يكون جدول العمل في اجتماعات المجلس كما يلي:

١- الصلاة. ٢- قراءة الأسماء. ٣- قراءة وقائع الاجتماع والتصديق عليها. ٤- تقرير أمين الصندوق. ٥- الاتصالات والأعمال التي يُقدّمها السكرتير. ٦- تقارير اللجان. ٧- أعمال متفرّقة. ٨- فضّ الاجتماع بالصلاة.

رابعاً: تعقد الاجتماعات ربع السنوية في أيام الاثنين من الأسبوع الثاني من حزيران (يونيو) وأيلول (سبتمبر) وكانون أول (ديسمبر) وآذار (مارس). موقع/ مقاتل (moqatel)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي. نقلا عن:

بالسلطات المحلية وكبار المسؤولين الوطنيين لتوطيد العلاقة معهم.

الثانية: ترتكز على الاتصال بسلطات الاحتلال البريطاني لإعطائهم تقريرا عن نشاط الإرسالية وخط السير المقترح.

الثالثة: ترتكز على القيام بمهمة تنفيذ القرارات التي توصلت إليها الإرسالية. كإنشاء مكاتب بيع الكتاب المقدس وبناء المستشفيات والمؤسسات التعليمية.

المحور الرابع: كسب ثقة الرأي العام في الخليج.

وكان ذلك من خلال:

١- إنشاء المدارس: في عام ١٨٩٢م أو(١٨٩٤م كما ترى ذلك مي الخليفة) افتتحت السيدة «زويمر» -زوجة قائد الحملة التبشيرية «صموئيل زويمر»- مدرسة في البحرين.

كما قاموا بافتتاح مدرسة أخرى في عمان لتعليم الإنجليزية وقد صار خمسة من أفراد الأسرة المالكة يدرسون في هذه المدرسة .

وتم افتتاح مدرسة المشن الأمريكية عام ١٩٠٣م، التي بدأت التدريس النظامي للبنات ومن ثم للجنسين. وفي عام ١٩٢٩م فُتح ناد للبنات في المدرسة وأصبح جهاز هيئة التدريس يتألف من المنصرات ويساعدهن المنصرون.

٢- إنشاء المستشفيات: في عام ١٩٠٠م أوقفت الحكومة البريطانية مجلس الطب الصحي في البحرين عن العمل، وعندما جاء المنصر/ «تومس» **Thoms** وزوجته من البصرة إلى البحرين في سبتمبر سنة ١٩٠٠م، كانت الحاجة إلى المستشفى ماسة جدا فتم وضع حجر الأساس لمستشفى ماسون التذكاري **Mason Memorial**

Arabian Mission Minutes of Meetings, Vol.I (sheet attached) theological Seminaery, New Brunswick, New Jersey, U.S.A., ١٨٩٠.

Hospital ولقد منحهم آنذاك «عيسى بن علي» أرضا لإقامة مستشفى الإرسالية الأمريكية وقد زعموا أن الدافع لذلك رؤيتهم للمسيح عليه السلام في المنام وأمرهم بقصد البحرين وبناء المستشفى لأهل البحرين، وفي ١٩ مارس عام ١٩٠٢م جرى تكريس المستشفى كأول مستشفى تبشيري في منطقة الخليج. وفي عام ١٩٢٦م تم إنشاء مستشفى آخر وهو مستشفى ماريون ويلز توماس التذكاري **Marion Wells Thomas Memorial**.[٢٤٦]

وفي مسقط بعُمان عام ١٨٩٣م منحهم سلطان عمان قطعة أرض، بعد أن طلب منهم تزويد بلاده بالخدمات الطبية. ولقد قدم لهم القنصل البريطاني في عُمان نصيحة مفادها: أنه من الأفضل تسجيل الأرض باسمكم حتى لا يكون هناك في المستقبل مجال لسحب الأرض منكم فاحرصوا على التملك في أرض تنزلون بها وفعلا استجابوا لهذه النصيحة وقاموا بتسجيل الأرض باسمهم[٢٤٧].

وحاولوا بعد ذلك إنشاء مستشفى آخر في مدينة مطرح – ميناء بحري قريب من مسقط –، بدون أخذ الإذن من السلطات الرسمية. مما جعل سلطان عمان يحتج على ذلك ويرفضه في بادئ الأمر، وجاء هذا الرفض بعد إرسال سلطان عمان رسالة إلى القنصلية الأمريكية يبلغها بأن المنصرين قد قاموا بالتدابير لاستئجار منزل، وافتتاح مستشفى في مطرح، بدون الحصول على إذن منه، وقد أعلمهم في مطلع عام ١٩٠٩م بأنه لن يوافق على مشروعهم المقترح، ورجاهم أن يقصروا نشاطهم على مسقط.

وربما أن بعض الأسباب التي دعته لاتخاذ هذا القرار هي:

٢٤٦– موقع/ الهداية، صفحات من تاريخ البحرين، حسن عبد الله، يناير ٢٠٠٠.

٢٤٧– موقع/ الخيمة (**khayma**)، سرد تاريخي للحملات الصليبية في الخليج، سلمان العودة.

أن الإرسالية لم تسع للحصول على إذن منه وقد كان يرى أن أي نشاط أجنبي في أرضه يجب أن يحصل على موافقته.

أنه كان يخشى أن تتمكن الإرسالية بخدماتها الطبية من التأثير على شعبه وتحاول تحويلهم عن دينهم والذي كان يبدو له أنه هدفهم النهائي.

أنه كان يعتقد بسماحه لهم بتقديم الخدمات الطبية في مطرح سيكون من الصعب عليه أن يرفض طلبهم بالتوغل في المناطق الداخلية من البلاد لنفس الغرض، لأن توغلهم في هذه المناطق من شأنه أن يخلق له المتاعب.

ولقد خشي أيضاً من التعرض للضغط السياسي في حالة لجوء الإرسالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، لإرغامه على الموافقة، الأمر الذي من شأنه التأثير على موقفه وعلاقاته مع السلطات البريطانية، وبالفعل هذا ما حدث.

حيث كان موقف الولايات المتحدة الرسمي من النشاط التنصيري في مسقط واضحا من الرسائل المتبادلة بين نائب القنصل الأمريكي بالوكالة في مسقط والأمير/ «فيصل» سلطان مسقط وعمان[٢٤٨]، وهو موقف التأييد المطلق لعملها، الأمر الذي اضطر

---

[٢٤٨]- وهذه نص الرسائل: الرسالة الأولى:

"من نائب القنصل الأمريكي بالوكالة في مسقط..

إلى: سلطان مسقط التاريخ ٢٣ مارس ١٩٠٩

سيدي... طبقا للقوانين الدولية الخاصة بحماية المبشرين، فإن المبشرين الموفدين من الطوائف الدينية في الولايات المتحدة إلى البلاد المحمدية (أو) بلاد الوثنيين لهم الحق في الحصول على جميع أنواع الحماية التي يخول القانون الدولي هذه الحكومة بتقديمها إلى المواطنين للإقامة في بلاد أجنبية لمزاولة أعمالهم المشروعة."

يتضح لنا من هذه الرسالة حماية الولايات المتحدة ودعمها المباشر للمبشرين، وقد أبدى السّلطان قدرته على تأمين الحماية للرعاية الأمريكان في بلاده بدون أي تدخّل من أية جهة. وهذا نص رسالته:

من سلطان مسقط..

إلى: نائب القنصل الأمريكي بالوكالة

التاريخ الثاني من أبريل ١٩٠٩، مسقط

سلطان مسقط وعمان السماح للمبشرين بالعمل في أرضه بعد أن تعرّض للضغط الشديد، فانتهى المنصرون من بناء المستشفى هناك في عام ١٩١٠م واستمروا في العمل بدون مواجهة أية متاعب ملحوظة.

وفي الكويت توصلت الإرسالية إلى الحصول على موافقة من حاكمها «مبارك» بافتتاح مستشفى عام ١٩١٣م[٢٤٩]، ويبدو لي أن «مبارك» وافق على ذلك للأسباب التالية: – أنه حضر افتتاح مستشفى لانسنك بالبصرة عام ١٩١٠م وربما تأثر بما رآه هناك.

إن هناك تفاهما متبادلا بيننا بخصوص السماح للآخرين بالتجارة والعيش هنا. وإنني أحمي رعاياكم بكل عناية في جميع الأوقات وأزودهم بكلّ ما يشعرهم بالراحة فيما عدا الطبيب الذي يريد افتتاح مستشفى هنا وهذا ما لا أستطيع السماح له به. وقد سبق أن قمت بالترتيبات اللازمة كي يقوم طبيب بتقديم العلاج المجاني هنا في مطرح ولا أظن أننا بحاجة إلى أكثر من ذلك هناك."

الرسالة الثانية:

"من نائب القنصل الأمريكي بالوكالة..

إلى: سلطان مسقط   بتاريخ الثالث من أبريل سنة ١٩٠٩مسقط

يشرفني أن أقول أنني احتج بشدّة على هذا التمييز المهين ضد الأطباء الأمريكيين وحقوقهم في أراضي سّموكم."

وردا على هذا الموقف الأمريكي كتب السلطان رفضا شديد اللهجة أيضاً في رسالته لنائب القنصل الأمريكي بالوكالة المؤرخة الثالث من أبريل ١٩٠٩ "إنني أرفض السماح للمبشرين بافتتاح مستشفى في مطرح، بلّغ الحكومة الأمريكية أنها لا تستطيع إرغامي على فعل ما لا أريد."   "سلطان مسقط"

الرسالة الثالثة:

"من القنصل الأمريكي في مسقط..

إلى: سلطان مسقط   بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٠٩

إن الحكومة الأمريكية تؤكّد أن حق الرعايا الأمريكيين في ممارسة الطب على أراضي جلالتكم قد ضمنته المعاهدة بين حكومة جلالتكم وحكومة الولايات المتحدة في سنة ١٨٣٣...، يجب أن يحظى الرعايا الأمريكيون بالحماية في عمان...، وللمبشرين الحق في نفس الحماية كغيرهم من رعايا الولايات المتحدة الأمريكية."

والواقع أن الأمر لا يتعلق بحق الأطباء الأمريكيين في ممارسة الطب في عمان ولكنه يتعلق باحتمال قيام هؤلاء الأشخاص بنشاط ديني بين عرب عمان كما فعلوا سابقا.

[٢٤٩]- موقع/ مقاتل (moqatel)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي. وأيضا: موقع/ هداية الحيارى، وسائل المنصرين، سلمان بن فهد العودة.

- حضور «آرثر بنث» لمعالجة ابنته التي كانت مصابة بالعمى.

- المعالجة التي تمت لبعض جرحى المعارك التي دارت رحاها آنذاك في المنطقة.

- الضغط الموجه من الحكومة الأمريكية إلى حاكم البحرين، خاصة وأن القنصل البريطاني قد تدخل ليكون وسيطاً لهم عند الشيخ بضمان الولاء وعدم المعارضة.

وبناء على هذه الأسباب تم نقل المنصرين من قبل حاكم البحرين على قاربه الخاص كما قدّم لهم قطعة أرض مجاورة لقصره، كما قام بتقديم مواد البناء لإقامة المستشفى[٢٥٠]. ثم افتتحوا عام ١٩٢٢م مستشفى خاص بالنساء.

وفي دولة قطر، جاء المنصر/ «جريت بينتجز»، والدكاترة المنصرون/ «هاريسون»، و«ديم»، و«توماس»، والآنسة/ «كورنيليا دالنبرج» لتفقد معالم المنطقة ودراسة أحوالها، وفى عام ١٩٤٥م، حضر إلى قطر المنصر/ «ج. فان بيرسم»، لافتتاح مستشفى وبعض المراكز الطبية في قطر، ووجدوا في هذه فرصة جيدة لمزاولة نشاطهم، وطلب منهم الشيخ أن يضعوا تصميماً لمستشفى، سيعهد بإداراته إليهم، وفى خريف سنة ١٩٤٧م، أصبح المستشفى جاهزاً للعمل، ولكن هذه الخدمات الطبية لم تستمر طويلاً في قطر، ففي سنة ١٩٥٢م اضطرت الإرسالية إلى التوقف عن نشاطها تماماً في قطر بسبب الصعوبات المتعلقة بتأمين الهيئة الطبية، وعاد المستشفى إلى حكومة قطر، وتوقفت العمل تماماً في هذا البلد[٢٥١].

---

[٢٥٠]- موقع/ الخيمة (khayma)، التنصير في الكويت، شوق العيون.

[٢٥١]- موقع/ مقاتل (moqatel)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي. أما في الوقت الحالي فقد تم افتتاح مدرسة في الدوحة تضم حوالي ٤ آلاف تلميذ ثلثهم من النصارى، وهذه المدرسة تابعة لمنظمة رابطة الرهبان لنشر الإنجيل وهي منظمة تنصيرية أسست في الفترة الواقعة بين عامي ١٥٦٦و١٥٧٢م باسم رابطة الدعاية السعيدة على يد البابا/ بيوس الخامس. وقام بافتتاح المدرسة الكاردينال/ سبي في شهر يونيو من عام ٢٠٠٤م وأعلن أن الهدف من إنشائها هو تقديم مستوى تعليمي مرتفع للتلاميذ المسلمين الدارسين فيها،

المحور الخامس: الزيارات الطبية.

وهذه الزيارات ركزت على السعودية بسبب أن حاكمها آنذاك الملك/ «عبد العزيز» قد حدد موقف السعودية الواضح تجاه تواجد المنصرين بها، حيث أنه رفض أن تنشأ الإرسالية أي مركز لها في هذه البقعة المباركة ويتضح ذلك من رده الموجه إلى «ميلر» –رئيس البعثة الطبية الموفدة من قبل الأمير/ «مبارك» حاكم البحرين في عام ١٩١٤م، لعلاج بعض أفراد الحاشية– حينما طلب منه إنشاء مستشفى للبعثة التنصيرية بالرياض فرفض وشرح موقفه قائلاً:

إن رجال وسط الجزيرة ليسوا فقط من دين واحد بل إنهم من مذهب واحد من هذا الدين وأنا أعرف جيداً بأن المنصرين إذا دخلوا أرضي واستقروا فيها فإنكم ستأتون بكتبكم الخاصة ورجالكم وسوف يحدث قلق لدى رجالي وهذا سوف يسبب لي المتاعب عندما أحتاجكم سوف أبعث في طلبكم لكن لن أستطيع دعوتكم لتعيشوا بصورة دائمة في بلادي.

وبعد هذا الرفض قامت الإرسالية بزيارة السعودية حوالي اثنتي عشرة مرة على النحو التالي:

في ٩ يوليو عام ١٩١٧م، زيارة «هاريسون» إلى الأحساء والرياض ثم القطيف في ٢٦ ديسمبر من نفس العام.

ثم هو وزوجته إلى الأحساء في ١٧ إبريل عام ١٩١٩م، ثم إلى دارين والقطيف في ١٩ يوليو عام ١٩١٩م، و ١٥ سبتمبر عام ١٩١٩م"[٢٥٢].

وفي عام ١٩٢٣م، «لويس دامي» يقوم بزيارة نجد.

وتحويلهم إلى تلاميذ منفتحين غير متأثرين بالدعايات السيئة التي تشاع حول العقيدة النصرانية، على حد تعبيره. انظر: صحيفة الدعوة الإسلامية، ع ٩١٢، ٦ يونيو ٢٠٠٤، الصفحة الرابعة. نقلا عن: صحيفة فيلت إم زونتاج الألمانية.

[٢٥٢]– موقع/ مجلة الواحة، التبشير والتطبيب في مذكرات المبشرة الأمريكية شريفة: زيارة الممرضة كورنيليا إلى القطيف ١٩٢٣.

وفي عام ١٩٢٧م، «هاريسون» يقوم بزيارة إلى القطيف.

وانقطعت الأخبار عن هذه الرحلات لتعود مرة أخرى وبصورة رسمية وذلك بناءا على طلب تلقته الإرسالية العربية لإقامة جولات سنوية داخل الجزيرة العربية عام ١٩٣٤م.

رحلة الدكتور «ستورم»، عام ١٩٣٥م حيث قام برحلة داخل الجزيرة ولم يحدد المرجع المدن التي قام بزيارتها.

وفي عام ١٩٣٧م، قام «ويلز» برحلة إلى الرياض وقدّم الخدمة الطبية إلى أفراد الأسر الغنية بشكل خاص وقام بمعالجة القليل من أفراد الشعب.

وفي عام ١٩٣٨م، جاءت المُنصّرة/ «باريي» بناءً على طلب رسمي وكانت أول طبيبة تدخل إلى أعماق الجزيرة كما تقول بعض المصادر ومكثت ٤ أشهر تعالج نساء الكبار.

وفي عام ١٩٤١م، قام هاريسون وزوجته بزيارة إلى الأحساء. وفي هذه الزيارة قالوا معللين سبب هذه الزيارات في تقريرهم المرفوع إلى اللجنة المختصة:

إننا نضع الأسس الصلبة للحصول على موضع قدم لنا في الصحراء الداخلية الجرداء وبين الرجال الضعاف نصف الجياع والبدو الذين لا يقهرون إن الناس يتزاحمون حولنا وهم في حاجة إلينا أكثر من أي وقت مضى ولم يعد المعارضون يناصبوننا العداء وفي واحدة من هذه الرحلات مستقبلاً سنحصل على الأذن الذي نريده لبناء أول صرح تنصيري في معقل الإسلام "[٢٥٣].

وفي عام ١٩٤٢م قام «هاريسون» برحلتين في الجزيرة العربية وخاصة إلى نجد و حائل و بريدة و عنيزة.

٢٥٣- موقع/ الرأي العام، لم الحملة على المملكة العربية السعودية؟، سهيلة زين العابدين. وأيضا: موقع/ الخيمة (hayma)، سرد تاريخي للحملات الصليبية في الخليج، سلمان العودة. وأيضا: موقع/ مقاتل (moqatel)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي.

ويمكننا أن نستخلص من هذه الزيارات المتكورة الآتي أن العمل التنصيري في السعودية مر بثلاثة مراحل:

الأولى: المرحلة الاستكشافية.

الثانية: توثيق الروابط مع الطبقة الحاكمة وبعض الأشخاص الذين لهم تأثير على الرأي العام، وذلك من خلال تقديم الخدمات الطبية لهم دون أن يحاولوا أن يتناقشوا معهم في المسائل العقائدية أو محاولة شرح النصرانية لهم التي هي هدف لمجيئهم كما يدَّعون وحتى إذا طلب منهم ذلك أعطوهم الفكرة العامة دون الخوض في المسائل الخلافية. وهذا يناقض ما يقومون به مع عامة الشعب حيث يقدمون لهم الإنجيل ويشرحون لهم العقيدة النصرانية ويكثرون من ذكر عيسى عليه السلام بلفظة الرب يسوع وبكونه هو المخلص وذلك في خلال تقديمهم الخدمة الطبية وفي أحيان كثيرة قبل تقديمها.

الثالثة: محاولة إقناع الرأي العام بضرورة وجود المنصرين وذلك من خلال ربط الدعوة إلى النصرانية بالأعمال الاجتماعية والخدمات الإنسانية.

المحور السادس: العمل على خلق قاعدة مسيحية وطنية.

قامت الإرسالية بإنشاء مطبعتها في مسقط عام ١٨٩٥م. و أن سبب اختيارهم مسقط بالذات هو: سيطرة البريطانيين القوية عليها، كما سبق وأن بينا ذلك. ومع هذا فإن طاقة هذه المطبعة الصغيرة كانت محدودة وكان نموها بطيئا. وربما تكون الأبعاد السياسية لمطبوعاتها هي التي حدت من إنتاجها، حيث أن المقالة التي نشرتها ضد الإسلام، التي كانت بعنوان: (المسيح أو محمد وبأيهما تثق) قد أثارت ضدها معارضة دينية حادة[٢٥٤].

---

[٢٥٤]- موقع/ مقاتل (moqatel)، الهيئات التنصيرية وأثرها في العالم الإسلامي.

وفي المستشفيات كانوا في يوم الأحد يعرضون على المرضى أفلاما عن دور المؤسسة المسيحية في تخفيف آلام البشرية في أماكن الكوارث والأزمات، ثم تتلى بعض آيات من الإنجيل ومن ثم توزع عليهم بعض الكراسات وبعدها وجبة الكعك والشاي، وبنفس الطريقة استغلت المدارس في العمل التنصيري فقد نقل المنصرون الأبناء إلى الكنيسة يوم الأحد للصلاة وقرأوا عليهم الإنجيل"[٢٥٥].

لكن الأمر الذي يستحق الذكر والإشادة أن بعضا من أولياء الأمور حينما تنبهوا لذلك قاموا بإخراج أبنائهم من المدارس بعد ثلاثة أشهر فقط من دخولهم إليها.

وهكذا، فقد أثارت أعمال المنصرين غضب الشعب خاصة في البحرين حيث كان النفوذ المطلق للإرسالية كما أوضحنا ذلك، فاحتجوا على هذه الإرسالية ولكن مما يدعو للأسف ما جاء في التقرير الكنسي (أزهار مؤقت في الصحراء) حيث ورد فيه: إن الأمير لما كثر عليه الضغط لإخراج النصارى وطردهم من قبل العلماء والشيوخ وعامة الناس وقف بقوة يقول للناس: هؤلاء الرجال من هم؟ هل هم دبلوماسيون؟ لا. هل هم سياسيون؟ لا. هل هم تجار؟ لا. إنهم أطباء جاءوا ليعلمونا والله يعلم أننا جهلاء كالحمير، فهم يعالجون مرضانا هل الطبيب يريد شيئاً ؟ ولكن أقول علناً كل ما يريده الطبيب سوف أعطيه إياه، وربما استطاعت الإرسالية تنصير من لم يكن يملك المسكن في تلك الفترة إذ آوتهم وأنشأتهم النشأة المسيحية تمهيدا لتوظيفهم[٢٥٦].

---

[٢٥٥]- موقع/ الخيمة (khayma)، سرد تاريخي للحملات الصليبية في الخليج، سلمان العودة.

[٢٥٦]- موقع/ مجلة الواحة، التبشير والتطبيب في مذكرات المبشرة الأمريكية شريفة: زيارة المرضة كورنليا إلى القطيف ١٩٢٣.



العمل التنصيري في العالم العربي في العصر الحديث

(منطلقاته، ووسائله، ونتائجه)

الفصل الأول

مساندة التنصير للمشروع الغربي

المبحث الأول: منطلقاته الفكرية.

المبحث الثاني: منطلقاته السياسية.

المبحث الثالث: منطلقاته الاجتماعية.

المبحث الرابع: منطلقاته الاقتصادية.

تمهيد:

المشروع الغربي مشروع استعماري تنصيري من الدرجة الأولى، "والذي يحز في الضمير الإنساني هو أن الاستعمار الغربي لم يتورع عن استخدام مسيحيته في سبيل تحقيق أهدافه، وإنه لمن المؤلم حقاً أن يكون التبشير إحدى أدوات الاستعمار الغربي في الشرق"[٢٥٧].

ويقول «رشدي أبو شبانة» مؤكدا على ذلك:

"لقد تدنى رجال الكنيسة إلى أغراضهم الخبيثة في مسوح الرهبان، وحملوا الإنجيل لمصالح الاستعمار"[٢٥٨]، و أن المنصر/ «صموئيل زويمر» كان صريحا في إعلان ذلك في مؤتمر القدس عام ١٩٢٨م، حيث قال موجهاً خطابه إلى المنصرين، ومؤكداً على استمرارية المشروع الغربي:

"إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريماً وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا، طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام وهذا ما أهنئكم عليه وهنئكم عليه المسيحية والمسيحيون جميعاً"[٢٥٩].

وفي العصر الحديث يبدو أنَّ "الحقد الصليبي لا يزال يعمل عمله في نفوس بعض

---

[٢٥٧]- مجلة الهلال، عدد٦، سنة٧٣، يونيو١٩٦٥.

[٢٥٨]- التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير، د. محمد رشدي أبوشبانة، مطبعة على الرشيدي، ط١٩٩٧، ص٣٥.

[٢٥٩]- حقائق عن التبشير، عماد شرف، المختار الإسلامي- القاهرة، ط أولى- ١٩٧٥، ص٣٣.

الغربيين – (حتى في الدول العلمانية التي فصلت الكنيسة عن الدولة، لأنَّ مثل هذه الدول فصلت الكنيسة، السلطة، ولم تفصل الكنيسة المعنى والمغزى والمضمون)[٢٦٠]–، قد يُخفي ذلك بعض رجال السياسية، ولكن أحياناً يظهر على بعض الألسنة "[٢٦١] فمثلاً الرئيس الأمريكي السابق «رونالد ريجان» يصرح قائلاً: "لا يوجد شئ اسمه الفصل بين الدين والسياسة، والقائلون بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي"[٢٦٢]، "ونجد أن الذي تلا التعويذات الدينية للرئيس «بوش الابن» في حفلة تنصيبه، المبشر البروتستانتي/ «بيلي جراهام»"[٢٦٣]، وهكذا أمسى بعض المنصرين "يبذلون جهداً غير عادي في نشر أفكار الاستعمار وخدمة ساسته وذلك في مقابل العون المادي والمعنوي الذي لا ينقطع، ولا يجد الباحث صعوبة في كشف أغراض المبشرين وأخطارها، تلك الأغراض التي تعلن في ظاهرها التمسح بالمسيحية والدعوة إليها، ولكنها في باطنها تروج لأهداف المستعمرين والمستغلين، وأصبح واضحاً للعيان استغلال الغرب للتبشير المسيحي، باستخدامه كوسيلة"[٢٦٤] "لتوطئه ظهورنا لدولهم وشعوبهم وحكوماتهم، ثم تحويلهم إلى مطايا يركبونها وأبقاراً يحلبونها"[٢٦٥]، ولقد أثبتت

---

[٢٦٠]– قضايا إسلامية معاصرة: محنة الأقليات الإسلامي في العالم، محمد عبد الله السمان، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، ص٢١٤.

[٢٦١]– قضية الحوار الإسلامي المسيحي، حوار مع: يوسف القرضاوي، أجرى الحوار: مجاهد خلف، منبر الإسلام، عدد٨، سنة٥٤ ديسمبر١٩٩٥– يناير١٩٩٦، ص٣٠.

[٢٦٢]– تصريحات وأقوال، الأمة عدد٥١، سنة٥ ديسمبر ١٩٨٤، ص٦٤.

[٢٦٣]– بين الصحف والمجلات، إعداد محمود الفشني، الأزهر جـ٣، سنة٧٦، مايو٢٠٠٣، ص٤٩٤. ونشر هذا الخبر في النيويورك تايمز ونقلته جريدة الأخبار المصرية في عددها الصادر في٦/٤/٢٠٠٣.

[٢٦٤]– محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، د. محمد زين العابدين الطنو، ص٧٩، مرجع سابق.

[٢٦٥]– احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص٦٩، مرجع سابق.

الوثائق أن معظم المنصرين يعملون بالتجسس لصالح الاستعمار الغربي[٢٦٦].

ولم يكتف الغرب برجاله من أبناء جلدته فعَمدَ إلى استخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحيي الشرق ومسلميه لتنفيذ سياسته للعمل على إنشاء قاعدة لهم في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز ومركزاً لقوته الحربية ولدعوته السياسية والمدنية، ومنها يمكن حصار الإسلام والوثوب عليه كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته[٢٦٧].

وهكذا فإن الاستعمار الغربي لم ولن يتورع عن استخدام أي سلاح يَمَكّنه من تحقيق أهدافه المادية، فلا شك أن من أغراض الحاقدين والمتربصين بالأمة الإسلامية زوال تلك الأمة، وإذا لم يتم هذا واقعياً فمعنوياً بذهاب شخصيتها، وذلك إما أن يكون بمحو ثقافتها وعقيدتها، أو بالسيطرة عليها، والهيمنة على مقدراتها، وتوجيهها إلى ما يريدون لها[٢٦٨].

ويمكننا أن نجمل مرتكزات المشروع الغربي التنصيري في أربعة مباحث.

---

[٢٦٦]– حقيقة الاستشراق وخطورة التبشير، د. محمد محمد عبد العال الحناوي، ط الأولى– ١٩٩٨م، ص١٣.

[٢٦٧]– حقائق عن التبشير، عماد شرف، ص١٠–١١ بتصرف، مرجع سابق.

[٢٦٨]– المخططات العدائية ضد المسلمين، د. توفيق يوسف الواعي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد١٧، سنة٧ – ١٩٩٠، ص٢٥٩.

المبحث الأول

المنطلقات الفكرية

إن أعظم ثروة تملكها الأمة الإسلامية، هي ثروتها الفكرية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأن هذه الثروة هي التي تنمي طاقات الشعوب الإسلامية، وتعطيها القدرة على النهوض والإبداع، وتمنحها الحركة القادرة على حل مشكلاتها وإزالة المعوقات التي تقف في طريقها، وقد ابتليت الأمة الإسلامية بتحديات كثيرة كان في مقدمتها الغزو الفكري.

"والغزو الفكري هو: أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم من دولة غير إسلامية، فتطبقها على أبنائها، فتشوه بذلك فكرهم، وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً، ثم يلتبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم على صواب، ثم يجادلون عما حسبوه صوابا"[٢٦٩].

ولقد لجأوا إلى الغزو الفكري لصعوبة ومشقة الغزو العسكري هذا من جانب ومن جانب أخر إن النعرة الدينية في الغرب لم تعد كافيه لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين، فلقد مات في قلب الغالبية العظمى من الأوربيين ذلك الحافز الذي كان يحفزه على خوض الحروب ضد الإسلام[٢٧٠].

والأمر الذي يتعلق ببحثنا هنا أننا نلاحظ أن بعض الرهبان ورجال الدين المسيحي الذين قاد أجدادهم الحروب الصليبية هم الذين يقودون بث فكر وسموم ما يسمى

---

[٢٦٩]ـ التبشير وقوى الاستـــنارة في مصر، ، د. عبد الرحمن جيرة،ص٣٧.

[٢٧٠]ـ احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص١٤٠، مرجع سابق.

بالتنوير الغربي في الشرق الإسلامي، "إنهم يقومون بإعداد جيوش من نوع آخر، جيوش لم تعد تحمل المدافع فسلاحها هو القلم والكتاب، ولم تعد تلبس الزي العسكري فلباسها هو مسوح الرهبان، ولم تعد تسير في خطوات منتظمة بادية للعيان، فطريقها هو الدس في الخفاء والدخول من الأبواب الخلفية"[٢٧١]، فبعد "أن جربوا معنا دور الهجام في الحروب الرومانية والحروب الصليبية وفشلوا تماماً، حينئذ قرروا أن يلعبوا معنا دور النشال يتحدثون معنا كأصدقاء باسم العلم والثقافة في شئون عامة، وفى أثناء هذا النقاش يحاولون إقناعنا بنظريات زائفة تتعارض بطبيعتها مع الإسلام"[٢٧٢].

وهذا ما توجه به من وجهة نظري بابا الفاتيكان / «يوحنا بولس الثاني» في رسالته إلى المبشرين التي جاء فيها:

"على المرسلين الذين ينتسبون إلى كنائس أخرى وبلدان أخرى أن يندمجوا في العالم الاجتماعي والثقافي للذين أرسلوا إليهم... بالتأكيد لا يطلب إليهم أن يتخلوا عن هويتهم الثقافية، بل أن يتفهموا ثقافة المحيط حيث يعملون، ويقدروها ويرقوها، ويبشروا بالإنجيل... فبالاندماج الثقافي، تجسد الكنيسة الإنجيل في مختلف الثقافات، وفى الوقت نفسه، تدخل الشعوب مع ثقافتها في جماعتها الخاصة، وتنقل إليها قيمها "[٢٧٣]، ومن هنا فالغزو الفكري يعتبر هو المرحلة الأولى من مراحل العمل التنصيري[٢٧٤].

---

[٢٧١]- الاستشراق والتبشير وأثرهما على دعاة التنوير في الشرق الإسلامي، د. صلاح أحمد السيد أبو زيد، ص٩.

[٢٧٢]- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص٣٩، مرجع سابق.

[٢٧٣]- رسالة الفادي، البابا/ يوحنا بولس الثاني، ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠م، ص٨١:٨٣ بتصرف.

[٢٧٤]- يمكننا إجمال مراحل العمل التنصيري في خمس نقاط:

- مرحلة ما قبل التنصير **Pre- evengilisation**، أو مرحلة الإعداد، وتتم عبر المحطات الإذاعية أو الكتب أو المراسلة.

وهكذا "يحاول الغرب فرض مفاهيمه وأفكاره ونظرياته في الاجتماع والأخلاق والنفس والتربية إيمانا منه بأن هذه الأمة لا تقاد إلا من حيث تجرد أولاً من عقائدها ومفاهيمها وأن تحتوى في دائرة فكر الغرب نفسه حتى يسهل قيادها وتكون تابعة راضية بتبعيتها"[٢٧٥].

"ولقد بات واضحا أن كثيرا من المفاهيم العصرية التي نقبلها بحسن نية إنما هي مفاهيم نصرانية ووثنية وإننا حين نتساهل في تقبل هذه المفاهيم على أنها مفاهيم (فكرية وثقافية) لا نتحرر من أصلها النصراني أو اليهودي أو الوثني، ونظن أنها لن تؤثر في أصالة مفهومنا، وبذلك نكون قد وقعنا في خطر النتائج التي تترتب عليها التي يعلق عليها المبشرون اليوم أهمية كبرى في أنها مداخل للتنصير"[٢٧٦].

"على أننا لا نريد من ذلك ألا نأخذ من القوم شيئا، فإن الفرق بعيد بين الأخذ في المخترعات والعلوم، وبين الأخذ من زخرف المدنية وأهواء النفس وفنون الخيال وورنق الخبيث والطيب، إذ الفكر الإنساني إنما ينتج الإنسانية كلها، فليس هو ملكاً لأمة دون

- مرحلة التنصير Evengilisation، وتكون بالعلاقة المباشرة بين الشخص المنصر وبين الفرد المراد تنصيره.
- مرحلة المتابعة Follow- up، وهي متابعة الشخص بلقاءات ونقاشات دون إدماجه في أي مجموعة حتى التأكد من نواياه ومن اقتناعه.(بأن يكزن الشخص المراد ضمه كالأسفنجة التي تمتص ما حولها بدون تمحيص ولا تفحيص).
- مرحلة التلمذة Desciplship، وهي ضم الشخص إلى المجموعة ورعايته وتعليمه وتصحيح معتقداته وإعداده ليصير عنصرا نشيطا، في أي نشاط كان، سواءا كان في العمل التنصيري أو داخل المجموعة في التنسيق والتنظيم.
- مرحلة زرع الكنائس والخلايا Churchplanting، وتتم عبر جمع العناصر النشيطة وتأسيس مجموعة من الأماكن التي لا توجد فيها أي مجموعة.

[٢٧٥]– تساؤلات الشباب، أنور الجندي، الوعي الإسلامي، عدد١٢٨، سنة١١، أغسطس ١٩٧٥، ص٣٨.

[٢٧٦]– تطورات خطيرة، أنور الجندي، منار الإسلام، عدد١٠، سنة١٨، مارس١٩٩٣، ص٧٤.

أخرى، وما العقل القوي إلا جزء من قوة الطبيعة"[٢٧٧].

فنحن نقر التبادل الثقافي بين الشعوب ونحترمه ويؤكد ذلك "«تيري فايد» من معهد ديموند أرب فيقول: العرب هم أكثر منا عدالة واحتراماً للتبادل الثقافي بين الشعوب[٢٧٨].

ولكن كما "يقول «محمد البهي»: إن في حياة الغرب حضارة صناعية تسايرها تعاليم الإسلام. وفيها بحوث طبيعية بحتة، وكيمائية هي الأسس لتطور الحضارة الصناعية وهذه لا تجافي الإسلام ولا تعادي رسالته.

وفى حضارة الغرب أيضا ثقافة توجيهية، هي ما تعرف بالثقافة الغربية الحديثة وللاتجاه المادي في هذه الثقافة سيطرة وشأن، وهو يناوئ الإسلام تماماً، والاتجاه المادي في هذه الثقافة به هزال وضعف ولسنا في حاجة إليه، مع قوة إسلامنا وسلامة توجيه الروحي، ومن ثم فإن كل توجيه ثقافي غربي في أية صورة من صوره إذا سرنا وراءه فقدنا شخصيتنا أولاً، ثم اضطربنا في توجيهنا ثانياً، ثم كنا أخيراً لا في عداد الغربيين ولا في عداد الشرقيين"[٢٧٩].

"فيجب التفرقة بين الفكر الغربي والعلوم التجريبية، هذا الفكر الغربي الذي يتمثل اليوم في العلوم الاجتماعية والإنسانية والذي يدور حول النفس والاجتماع والأخلاق والتربية والذي يقوم أساساً على الفلسفة المادية والعلمانية والمصادر الوثنية للفكر اليوناني والروماني والتراث الغربي المستمد من الأساطير والخرافات وآلهة الرومان

٢٧٧- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، جـ ٣، ص١٥٥.

٢٧٨- منبر الإسلام، التحرير، عدد٣، سنة٥١، سبتمبر١٩٩٢، ص٥١.

٢٧٩- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، ص٢٩٧. نقلا عن: محمد البهي.

والهلينية والغنوص الشرقي وتراث المجوسية والفارسية والهندية"[٢٨٠].

وبالنظر إلى المسلمين الأوائل نجد أنهم "لم ينغلقوا على أنفسهم وإنما استوعبوا تراث الأمم قبلهم من يوناني وروماني وفارسي ونقحوه وأضافوا إليه، ولم يقتصر عطاؤهم على مجال الدين والأدب واللغة فقط وإنما توسعت معارفهم، بحيث امتد عطاؤهم ليشمل كل مجالات علوم الكون والطبيعة والنفس الإنسانية فكان منهم «ابن سينا» أعظم أطباء القرون الوسطى، و«الرازي» صاحب أول موسوعة في الطب، و«الخوارزمي» أول من وضع كتابا في علم الجبر، و«ابن النفيس» مكتشف الدورة الدموية، و«ابن الهيثم» مؤسس علم الضوء، إلى غير ذلك من علماء المسلمين الذين خلفوا للإنسانية تراثاً يعد بحق مفخرة من مفاخرنا، وهم مع هذا لم ينحرفوا عن الإسلام قيد أُنمُلة لأنهم كانوا يحرصون أشدَّ الحرص على أن يأخذوا من كل حضارة ما يساهم في تقدمهم ولا يصطدم مع شريعتهم"[٢٨١]، "فهم مع احتكاكهم بالعالم البيزنطي حامل لواء الثقافة اليونانية، وكذلك مع فارس الزرادشتية لم يقدموا أي تنازل في حق دينهم ليتلاءم مع التجارب الوافدة عليهم، بل عملوا على تطويع تلك التجارب الحضارية مع نمط ثقافتهم لتنسجم مع ضوابط الإسلام ومقوماته"[٢٨٢]. وذلك "لأن الإسلام لا يقبل التجزئة، ومتى جاز اعتراف المسلم بأن بعضه غير صالح جاز اعترافه بأن الكل غير صالح"[٢٨٣].

---

[٢٨٠]- مطلوب موقف حاسم للرد على الفكر الغربي، أنور الجندي، منار الإسلام، عدد٦، سنة١٨، ديسمبر١٩٩٢، ص٦٨ .

[٢٨١]- التنصير، زينب أبوالفضل، منار الإسلام، عدد٢، سنة٢٠، يوليو١٩٩٤، ص١٠٦.

[٢٨٢]- المسلمون ومعركة التغريب، محمد بدر حسين، الوعي الإسلامي، عدد٢٩٠، سنة٢٥، أكتوبر١٩٨٨، ص٥١.

[٢٨٣]- قوى الشر المتحالفة(الاستشراق – التبشير – الاستعمار)، محمد محمد الدهان، ص١٤٣. من خطبة لشيخ الأزهر السابق/ محمد مصطفى المراغي.

"ويقول «العقاد»: لقد امتازت أمتنا عبر العصور بالاستيعاب الحضاري الذي ينقل ما ينفع ويدع ما يضر، فإن النقل من غيــر تمييز جهالة ومعرة، والإعراض الجاهل جمود ومضرة، وبين هذين المسلكين طريق تتسابق فيه الخطى، وتجد العزائم، وتخصب الثقافات"[٢٨٤].

فمثلا "إن نحن أخذنا من النظم السياسية فلنأخذ ما يتفق مع الأصل الراسخ في آدابنا من الشورى والحرية الاجتماعية عند الحد الذي لا يجور على أخلاق الأمة ولا يفسد مزاجها ولا يضعف قوتها.وإذا نقلنا من الأدب والشعر فلندع خرافات القوم وسخافاتهم الروائية إلى لب الفكر وروائع الخيال وصميم الحكمة ولنتبع طريقتهم في الاستقصاء والتحقيق، وأسلوبهم في النقد والجدل..."[٢٨٥]. وبذالك تقام الحجة على المدَّعي بأنَّ هذه الأفكار لا تثبت أمام الواقع العملي، واتجهت وسائلهم للسيطرة الفكرية إلى موضوعين أساسيين هما التعليم والإعلام.

المطلب الأول

التعليم

ركز الغزو الثقافي للأُمة الإسلامية على أكثر من محور، كان أخطرها مجال التربية والتعليم وخطورته تتمثل في كونه أمل المسلمين في تكوين جيل يكون أهلا لحمل الراية لصناعة مستقبل مشرق[٢٨٦]، ذلك لأن التعليم عملية حضارية لتثقيف العقول وإنقاذ النفوس من ظلمات الجهل والتخلف وهو حكم لا يختلف عليه الناس ولا تختلف فيه

---

[٢٨٤]- الإسلام والأمن الثقافي، توفيق محمد السبع، الوعي الإسلامي، عدد٢٨٢، سنة٢٤، فبراير١٩٨٨، ص٣٥.

[٢٨٥]- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، ص١٥٥، مرجع سابق.

[٢٨٦]- الاستعمار الثقافي، بدر محمد بدر، الأمة القطرية، عدد٦، سنة١، إبــريل١٩٨١، ص٥٥.

الأديان ومن ثم لا يكون هدفاً للنقد أو المنع[287].

من هنا أصبح التعليم والتثقيف أحد أهم الوسائل التي استعملتها الإرساليات التنصيرية لنشر كنائسهم وتعريف الناس بعقائدها واتخذوا التعليم وسيلة لذلك، فدأبوا على تأسيس مدرسة ابتدائية المستوى على الأقل في كل بلدة كان لهم نشاط كنسي فيها[288]، وذلك لنشر ثقافتهم النصرانية تلك الثقافة التي وقفت حائلاً ضد أي اكتشاف علمي على مدى قرون في أوربا إبان العصور الوسطى.

حيث يروي التاريخ قصصاً كثيرة عن آلاف العلماء الذين عوقبوا في أوربا[289] وأُحرقوا أحياء بسبب نظرياتهم العلمية من قبل رجال الكنيسة[290]، ولم تستطع أوربا حسم شرورهم إلا بعد أن حكمت حكماً لا رجعة فيه، بإقصائهم عن الدولة، والاقتصاد، والسياسة، والعلم، والمجتمع، ولكل نشاط له وزن، فالحضارة الأوربية الحديثة لا علاقة لها بموسى ولا عيسى، وهاهم بعض من أبناء الذين ذبحوا العلماء، وقيدوا المدنية، وكرهوا الفكر والحرية، يعودون في ظل حضارة قتلوا رجالها الأوائل حاملين لواء الكراهية للإسلام وحده[291]، مستغلين حاجة الأمة العربية إلى العلوم

---

[287]– آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، د. جابر قميحي، سلسلة دعوة الحق، س١٠، ١٩٩٦ / ١٤١٧هـ، ص٤٣ – ٤٤.

[288]– انظر: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، عدة مؤلفين– بحث لـ/ أديب نجيب سلامة، ص٧٤٢.

[289]– حينما نادى (كوبرنيق) بنظرية دوران الأرض حوكم من قبل محاكم التفتيش ليقتل بعد ذلك، ويكفي أن نعلم أن الراهب/ ربرت الدمنيكي أرسل في يوم واحد مائة وثمانية شخصاً ليحرقوا أحياء. قصة الحضارة، ول ديورانت، جـ١٦، ص٩٧، مرجع سابق. والبابا بولس الرابع(١٥٥٩–١٥٥٥م) أحرق في يوم واحد ١٠٠٠٠ كتاب. جـ٢٣، ص٢٧، المرجع السابق.

[290]– انظر: أبو جهل يظهر في بلاد العرب،. د. عبد الودود شلبي، ص٨٥–٨٦ بتصرف.

[291]– صيحة تحذير من دعاة التنصير، محمد الغزالي، ص ص١٤، ١٦ بتصرف، مرجع سابق، وأيضا: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص١٩٣، مرجع سابق، وأيضا: التنصير في البلاد الإسلامية، أحمد محمود أبو زيد، الوعي الإسلامي، عدد٣٥٠، سنة٣١، مارس١٩٩٥، ص٤٨.

التجريبية، فأنشأوا مدارسهم التي أعلن المنصر/ «جب» عن هدفها بقوله:

إنها لن تفرز إلا هياكل بشرية خالية من الفضائل والأخلاق والمثل، لأنها لتفريخ مسوخ آدمية متنكرة لدينها ووطنها وأبناء جلدتها.

ولقد عاون الاستعمار الغربي في فترة احتلاله للبلاد الإسلامية إرساليات التنصير في وضع برامج التعليم التي تُدَّمر الإنسان المسلم، وجاءت المدارس الوطنية في ظل الاحتلال واعتنقت هذه البرامج وطبقتها، ولا يزال جانب كبير منها مطبقا حتى اليوم، وكانت هذه البرامج تركز على عدة أمور هي:

١- أن تحتضن الفتاة المسلمة، فركزت على مدارس البنات لتعليم المرأة المسلمة في ظل مفاهيم مسيحية وعلمانية.

٢- أن يكون التعليم وسيلة لهدم مفهوم العقيدة، وذلك بالدعوة إلى وحدة كل الأديان والعقائد والنحل والمذاهب.

٣- الدعوة إلى العامية واللغة المحلية والقضاء على اللغة العربية الفصحى والحيلولة بين النشء وبين تعلم لغته التي هي المفتاح للإسلام والقرآن.

٤- طرح الأيديولوجيات المختلفة والنظريات الفلسفية المتعددة في علم النفس والاجتماع والأخلاق وكلها ترمي إلى تحطيم مفاهيم الدين.

٥- محاولة التشكيك في تاريخ الإسلام وسيرة رسوله ﷺ.

٦- تقديم مفاهيم فاسدة عن الموسيقى والمسرح والفن والحضارة تختلف عن مفاهيم الإسلام الأصيلة.

وبناء على هذه الأهداف "باشرت تلك المدارس التأثير على الطفولة البريئة والشبيبة الغضة من أبناء المسلمين، وكانت لها نتائج محدودة في كونها بذرت بذور الشك

والانحراف في هذه الفئة المستضعفة"[292]، "وذلك لأن التعليم -الديني- الغربي يحمل في ثناياه روحاً مستغلة تتجلى في عقيدة مؤلفة من عقلية وضعية، فإذا ما طبق في بلاد مسلمة أو مجتمع مسلم يحدث به قبل كل شئ صراع عقلي، ثم يندرج إلى تقرير العقيدة فتحدث الردة الفكرية والدينية، ذلك لأن الإسلام والمدنية الغربية يقومان على فكرتين في الحياة متناقضتين تماماً لا يمكن أن يتفقا"[293].

"وفى المراحل المبكرة للنشاط التنصيري كان ينظر إلى العلم كموضوع يتعارض مع الهدف الرئيسي الذي أنشئت الإرساليات من أجله"[294]، "حيث كانت الكنيسة تقوم بمحاربة العلم وإحراق الكتب حتى شكا طلاب العلم في أوربا أن هذه الإجراءات قاضية عليهم"[295]، وذلك "بعد أن ضعُف أثر قرارات الحرمان والتحريم في القرن الحادي عشر"[296]، "وبدخول القرن الثالث عشر زادت الكنيسة من محاربتها للعلم وذلك على إثر اتصال الأوربيين بالمسلمين من طريق الحروب الصليبية وتراجم الكتب العربية. وخاصة بعد أن تبين للأوربيين وجود دين عظيم، أنجب رجالاً عظاماً أمثال «صلاح الدين الأيوبي»[297]، وفلاسفة مثل «ابن سينا»، و«ابن رشد»[298]، "الأمر الذي يعتقد بأنه بث روح النشاط في

---

[292]- التبشير والاستشراق وأثرهما على دعاة التنوير في الشرق الإسلامي، د. صلاح أحمد أبو زيد، ص١٨، مرجع سابق.

[293]- الإسلام على مفترق الطريق، محمد أسد، مؤسسة الرسالة، ص٣٦.

[294]- التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص٦٧.

[295]- قصة الحضارة، ول ديورنت، جـ٢٧، ترجمة: فؤاد اندراوس، محمد أبودرة،ص٢٣٩.

[296]- بعد أن أصبحت أقسام كثيرة من المجتمع المسيحي كلها محرومة في وقت واحد. المرجع السابق، جـ١٦، ص٤٨.

[297]- صلاح الدين الأيوبي: أُعلن ملكاً على مصر والشام بمباركة الخليفة العباسي عام٥٧٠هـ/ ١١٧٥ف. وقضى في مصر حوالي ست سنوات لترتيب الأوضاع الداخلية استعداداً للمواجهة مع الصليبيين في معركة حطين. وفى آذار ١١٩٣ف توفي صلاح الدين رائد الوحدة العربية وقاهر الصليبيين. الأوائل، علي جمعة الخويلد، ص٣٤، مرجع سابق.

[298]- قصة الحضارة، ول ديورانت، جـ١٧، ص١٠٤، مرجع سابق.

الحياة المدنية الأوربية لمعرفة الأوربيين بأساليب المسلمين التجارية والصناعية"[299].

وظل الأمر في ازدياد إلى أن قامت الثورة ضد الكنيسة وفقدت الكنيسة سيطرتها على الحياة الأوربية فتأكد لديها أن العلم أفضل الوسائل الذي من خلاله ستبلغ أهدافها للثأر من البلدان العربية والإسلامية، فغيرت سياستها نحو التعليم وبدلاً من منعه اتخذته وسيلة من وسائلها لإخضاع الشعوب.

"فزاد الاهتمام بإرسال الإرساليات التبشيرية وفتح المدارس الإرسالية والأجنبية الأخرى في أوائل القرن التاسع عشر"[300]، وحتى تضمن المؤسسات التنصيرية التعليمية تنفيذ أهدافها أوجبت "بأن لا يُدَرِّس في مدارسها إلا من كان نصرانياً أولاً، ثم من الذين يعملون في مؤسساتهم التنصيرية من أبناء المسلمين- الذين تم استقطابهم بعد إغرائهم – ثانياً، ومن اقسموا يميناً على أن يكونوا منصرين قبل أن يكونوا معلمين ثالثا"[301].

وعلى كل حال "فهم لا يكَلَّفون بمهمة التبشير والتعليم في هذه المدارس إلا بعد أن يُتموا دراسة بعض ما كتبه أشدّ المستشرقين تعصباً وحقداً على الإسلام والمسلمين"[302].

وهذا يؤكد لنا أن الهدف من هذه المؤسسات التعليمية هو "إنشاء أجيال جاهلة بربها ورسولها مجردة من أي معرفة بأحكام الكتاب والسنة، أجيالاً تتنكر لشخصيتها الإسلامية، وتبغض دينها، وتجهل تقاليده، وتنظر إلى تاريخها الحافل بالأمجاد بنظرة الاحتقار، وتعتبر حضارتها الرائعة شيئاً أكل عليه الدهر وشرب، وتقتنع بأن ثقافتها قد

---

[299]- المرجع السابق، جـ١٥، ص٦٧.

[300]- عصر النهضة بين الحقيقة والوهم، مفيدة محمد إبراهيم، ص١٠١.

[301]- التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص٧٨، مرجع سابق.

[302]- التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، ص٣٦.

تقادم عليها العهد، وتؤمن بأن نظامها الفكري والعملي لا يصلح للعصر الحاضر، ويترسخ في ذهنها وقلبها، أنه إذا كانت هناك معارف فهي التي تدون في الغرب، وإذا كانت هناك حضارة فهي التي مهدها الغرب، ومن هنا يخرجون جيلاً بلا عقيدة يسهل توجيهه إلى أي اتجاه كان"[٣٠٣]، وبالفعل فقد "أصبح معظم الذين تخرجوا من هذه المدارس غريباً عن ثقافة بلده ودينه وتاريخه، وربما كان حرباً عليها وعاملاً في نشر وسيادة الثقافة الغربية في البلاد، وسبباً في انتزاع الكثير من الشباب من بين أحضان وطنه ودينه وثقافته الأصيلة، خاصة وأن هؤلاء قد أتيح لهم أو لبعضهم أن يحكموا البلاد أو يتحكموا في مسيرها، ومن لم يتح له منهم الوصول إلى المراكز الهامة القيادية عمل بمقتضى ثقافته الغربية أو الأجنبية الاستعمارية"[٣٠٤]، وهنا يقول الأنبا/ «يوحنا قلته»: "وإننا لنفخر دوماً بأن قادة المجتمع الإسلامي في أغلبهم من خريجي مدارسنا ونفخر بأن نجوم الفنون والآداب لم ينسوا فضلنا، والعلاقات بينهم وبين مدارسنا ومعاهدنا لم تنقطع"[٣٠٥]. "وما داموا يحتقرون كل مقومات تاريخهم الإسلامي، وإذا سمعوا كلمة الإسلام أصروا واستكبروا استكباراً سيضمن لهم التبشير أن يظلوا محمولين على الأكتاف ليجتذبوا بهم ضعاف النفوس"[٣٠٦].

فحقا "إن التعليم على الطريقة الغربية هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء، إنَّ هذا الحامض هو أشدّ قوة وتأثيرًا من أي مادة كيمائية، فهو

---

[٣٠٣]– احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص١٩٣، مرجع سابق.

[٣٠٤]– الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغراء، د. عبد المنعم النمر، ص١٧٣ بتصرف، مرجع سابق.

[٣٠٥]– المسيحية والألف الثالثة، الأنبا/ يوحنا قلته، ص١٤٤.

[٣٠٦]– التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، ص١٢٣، مرجع سابق.

الذي يستطيع أن يحول جيلاً شامخاً إلى كومة تراب"[٣٠٧].

"وفي إحدى جولات بابا الفاتيكان في أوربا أعرب أتباعه عن فزعهم الشديد من التيار الإسلامي النامي وسط الجاليات الإسلامية وما رافق ذلك من بناء مراكز إسلامية تؤمها أعداد ضخمة من الرجال والنساء، فسألهم البابا وأين أبناؤهم ؟ فقالوا في مدارسنا، فأجابهم: إذن فاطمئنوا"[٣٠٨].

ويقول المنصر/ «جورج بيترز» في بحثه المقدم إلى مؤتمر كولورادوا عام ١٩٧٨م: "إنها لحقيقة تاريخية أنَّ العديد من الكليات قد فتحت الأبواب إلى عالم جديد لآلاف الناس ومكنتهم من قراءة الإنجيل والأدب النصراني، وهذه الكليات التي كانت وما زالت مركز لتأثير عظيم في الشرق الأوسط والأدنى هي كلية روبرت في استنبول والجامعة الأمريكية في بيروت والجامعة الأمريكية في القاهرة، - والجامعة الأمريكية في الخليج العربي، وجامعة سنغور الفرانكوفونية في الإسكندرية، وجامعة الأخوين في المغرب- وإذا لم نتمكن من إحداث التأثير النصراني الإيجابي الذي خطط له مؤسسوها فإن الخطأ يقع على عاتق الإدارة والموظفين وليس بسبب عدم توفر الفرص أو الإمكانات أو الوسائل كما أن إنشاء هذه المعاهد قد فتح باباً عظيماً للتبشير ولكن عدم استمرارية تأثيرها يعود إلى المحتوى والتوجيه وليس بالضرورة إلى المنهجية"[٣٠٩]، "فيا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات وقد كان ذلك أسهل

---

[٣٠٧]- هذا القول منسوب إلى الشاعر: محمد الغربية. انظر لماذا نشوه تاريخنا بأيدينا، د. عبد العظيم الديب، مجلة الدعوة، عدد٢٣، سنة٢٧، إبريل ١٩٧٨، ص٤٥.

[٣٠٨]- أطفالنا المهاجرون، وأكذوبة التعليم الديني!، أسعد طه، منار الإسلام، عدد٨، سنة١٤، مارس١٩٨٩، ص١١٧.

[٣٠٩]- التنصير خطة لغزو العالم، مرجع سابق، بحث بعنوان: نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين، جورج بيترز، ص٥٨٩ - ٥٩٠.

طريقة لقتل الأولاد"[310].

"ولقد تعثَّر الشرق في حياته السياسية والقومية، لأن المدارس الأجنبية المختلفة قد مزقت أبناء الوطن الواحد إلى طوائف مختلفة فشتتت أهدافهم وباعدت بين الطرق وصولاً إلى تلك الأهداف، إن التعليم قوة توجيهية عظيمة، فلا يجوز أن تكون في أيد أجنبية تلعب بها وتستغلها لمآرب وأغراض أجنبية، إن التعليم الوطني الموحد ولو كان ناقصاً بعض النقص أفضل من التعليم الأجنبي المتنافر، ولو كان كاملاً كل الكمال"[311].

ويقول «جبران خليل جبران»: "في سوريا كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل صدقة، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون ولقد أحيانا ذلك الخبز ولما أحيانا أماتنا، أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا، وأماتنا لأنه فرَّق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة معسكرات صغيرة مختلفة الأذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها تشدّ في حبل إحدى الأمم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وأمجادها فالشاب الذي تناول لقمة العلم من مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع إلى معتمد أمريكي، والشاب الذي يتجرع رشفة من العلم من مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً والشاب الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا إلى آخر ما هنالك من المدارس وأعظم دليل على ما تقدم اختلاف الآراء وتباين المنازع، فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الإنجليزية يريدون أمريكا أو انجلترا وصية على بلادهم والذين درسوا بالفرنسية يطلبون فرنسا للتولى أمرهم. وقد يكون ميلها إلى الأمة التي تتعلم على نفقتها دليلاً على

---

[310]– هذه القول منسوب إلى شاعر الهند/ أكبر حسين. انظر لماذا نشوه تاريخنا بأيدينا، د. عبد العظيم الديب، مجلة الدعوة، عدد٢٣، سنة٢٧، إبريل ١٩٧٨، ص٤٥.

[311]– التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص ١١٣– ١١٤.

عاطفة الجميل في نفوس الشرقيين، ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجراً في جهة واحدة وهدم جداراً من الجهة الأخرى؟ وما هذه العاطفة التي تستنبت زهرة وتقلع غابة؟ ما هذه العاطفة التي تحيينا يوماً وتميتنا دهراً؟"[٣١٢].

وذلك لأن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية – كما صرح بذلك المنصرون أنفسهم– إنما هو واسطة إلى غاية فقط"[٣١٣]، حيث أشاروا إلى أن غاية التعليم في البلاد العربية والإسلامية هو تغيير عقلية المسلم، ولتغيير هذه العقلية الإسلامية يقول المنصر/ «تكلي»: "يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية"[٣١٤].

ونظراً لوجود أولويات في العمل التنصيري يرى المنصر/ «جون موت»: "أنه يجب التركيز أولاً في جميع ميادين التنصير على جانب العمل بين الصغار بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية. وذلك لأن الأثر المفسد للإسلام يبدأ مبكراً، من أجل هذا يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد وقبل أن تأخذ طباعهم أشكالها الإسلامية"[٣١٥].

ومن أجل هذا الهدف يقول القس/ «مكرم نجيب»: "يجب أن ينتهي القول الذي يفصل بين الكرازة والتعليم"[٣١٦].

وهكذا وجد أن المؤسسات التنصيرية التعليمية التي كان من المفترض فيها أن تساعد على نهضة العالم العربي بتلقينه العلوم التجريبية من طب وفلك وزراعة وهندسة وغيرها

---

[٣١٢]– عصر النهضة بين الحقيقة والخيال، ص١٠٩– ١١٠. نقلاً عن: التربية وبناء الأجيال، أنور الجندي، ص٤٣.

[٣١٣]– التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص ١١٣– ١١٤، مرجع سابق.

[٣١٤]– قوى الشر المتحالفة، محمد الدهان ، ص٨٤، مرجع سابق.

[٣١٥]– المرجع السابق، ص٨٥.

[٣١٦]– علم الوعظ، د. مكرم نجيب، جـ الأول.

من العلوم التي تساعد على رقي الأمم وتقدمها أمست الدراسة فيها نظرية مجردة، أما العلوم التجريبية "فلقد اتخذ الغرب قراراً منذ بدأ اجتياحه للبلاد العربية والإسلامية أن يقف سداً منيعاً دون حصول العرب والمسلمين عليها ليظلوا أبد الدهر بمثابة مصدر للخامات وسوق للمنتجات الغربية المصنعة"[٣١٧].

"ويؤكد على ذلك المنصرون أنفسهم حيث قالوا: "إن التعليم حينما يخطو وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي، فإننا لا نتردد حينئذ أن نقول: إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض وإلى مدى علمي دنيوي. مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ، وكامبردج، وهارفرد، وشيفيلد لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب"[٣١٨]، "وإن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه"[٣١٩].

وبذلك فإنه يعتقد أن بعض المنصرين قد اكتفى بتلقين أبناء العرب والمسلمين "الفلسفات المادية واعتبروها علما ووصفوها باسم العلم، مع أن العلم في حقيقته هو العلم التجريبي وما يخضع للمعايير العلمية الثابتة، أما النظريات التي قدمها الفكر الغربي في مجال العلوم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والتربوية من أمثال «فرويد»

٣١٧- مطلوب موقف حاسم للرد على الفكر الغربي، أنور الجندي، منار الإسلام، عدد٦، سنة١٨، ديسمبر١٩٩٢، ص٦٩ .

٣١٨- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص٦٢، مرجع سابق.

٣١٩- وذلك حينما احتج الطلبة المسلمون في الجامعة الأمريكية ببيروت على إجبارهم على الدخول إلى الكنيسة فاجتمعت لجنة الجامعة وأصدرت منشوراً جاء في مادته الرابعة: إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحي هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء. وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليمًا يكون الإنجيل من مواده فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ، وإن كل طالب يد خل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه. المرجع السابق، ص١٠٨.

و«ماركس» و«جون ديوي»، فهي ليست علماً حقيقياً وإنما هي فروض علمية تقبل الخطأ والصواب، وهي في مجال العلوم الإنسانية لا يمكن أن تحاكم إلى مناهج العلوم التجريبية والرياضية، لأنها تتصل بالنفس الإنسانية التي تختلف عن المادة، كما أنها ليست ثابتة على وجه من الوجوه فهي تحتاج كل يوم إلى الإضافة، والحذف، والتعديل. فالخطأ أن يعتبر المسلمون هذه النظريات والفرضيات علوماً أو حقائق علمية"[٣٢٠].

ولأن بعض المنصرين يضعون كل ثقلهم في استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم[٣٢١] فهم يحاولون أن يلبسوا لكل حال لبوسها ليضمنوا لأنفسهم الاستمرارية، فيلاحظ أنه "بعد أن ألغيت المدارس التبشيرية في مصر والسودان عام ١٩٥٦م، وطلب إليها إذا كانت تريد أن تستمر أن تتقيد بأنظمة الحكومتين وبمنهجيهما، بدأت عملية توفيق الأوضاع بتعديل المنهج دون الهدف"[٣٢٢]، ذلك الهدف الذي صرح المنصرون به قديماً وأكد عليه" رئيس مدرسة تبشيرية حديثاً في فلسطين حينما سُئل من قبل زملائه: كم نصَّرت من أبناء المسلمين فأجاب قائلاً: لا تسألوني كم مسلماً نَصَّرته، ولكن سلوني كم معولاً صنعته من هؤلاء الأبناء لهدم الإسلام نفسه"[٣٢٣].

ومن أجل ذلك ومن وجهة نظر الباحث، "قامت أمريكا بتقديم قروض ومعونات لإنشاء مئات المدارس بشرط تعميم الاختلاط في مقابل ما تقدمه من معونات أخرى لبرامج التدريب المهني- فقدم بعض أفراد الأمة العربية والإسلامية أبناءهم إلى تلك المدارس طمعاً في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم ورقي أمتهم- وبعد أن تمت المؤامرة وشاع الاختلاط توقفت المعونة الأمريكية وعادت الدراسة نظرية.

---

[٣٢٠]- قضايا إسلامية معاصرة: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي، ص١٠٢- ١٠٣

[٣٢١]- التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، ص٣٥، مرجع سابق.

[٣٢٢]- التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، ص٧٣، مرجع سابق.

[٣٢٣]- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، ص٢٢٥، مرجع سابق.

وفى مرحلة التعليم الثانوي قدمت الولايات المتحدة قرضا لإنشاء مدارس ثانوية تسمى التجريبية الشاملة وجهزها بالمعونة التربوية المشروطة، بأن تكون هذه المدارس مختلطة، والهدف المعلن لهذه المدارس، هو تخريج طلاب حاصلين على الشهادة الثانوية، مؤهلين تأهيلاً مهنياً، والوضع بعد الإنشاء أغلقت المعامل، والأجهزة مغلق عليها بدون تشغيل أو صيانة، كما أن المدارس محرومة من أداء الشعائر، ولم تقدم التجربة سوى زرع الاختلاط بين الذكور والإناث في سن المراهقة"[٣٢٤].

ونحن هنا نجد في أنفسنا حرجاً بتوجيه اللوم للمنصِّرين، قبل أن نتوجه باللوم على من انساق في تيارهم، وذلك لأن المنصِّر لا يملك شيئاً سوى إعطاء إشارة البدء لمن عندهم استعداد لتقديم تنازلات عن دينهم وأخلاقهم ليتركهم في ساحة السباق منغمسين في شهواهم وملذاهم قائلا لهم ما أخبرنا به القرآن: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ فإن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم﴾[٣٢٥]. "ليلتفت بعد ذلك – المنصر– إلى أمور محددة أكثر من هذه التأثيرات الحاصلة بطريقة لا شعورية، فبين آلاف الطلاب فئة صغيرة من المتحمسين الجادين، قادة المستقبل في الشرق الأدنى، هؤلاء هم الذين يدرهم المبشر ليصبحوا أساتذة وأطباء وتجاراً وصيادلة وأطباء أسنان ومهندسين وممرضين من الرجال والنساء الذين يتجاوبون بوعي أكثر"[٣٢٦].

وهنا يتأكد لنا كون هذه المؤسسات التنصيرية التعليمية خطراً على الأمن القومي للدول، وخطراً على العروبة وعلى المسلمين.

وفى كونها خطراً على الأمن القومي: يتساءل الأب/ «برتو» الذي عمل مفتشاً لمدة عشر سنوات للمدارس المسيحية في أفريقيا في دهشة عن السر الذي من أجله يحي

[٣٢٤]– المؤامرة على التعليم والمعلم، نقابة المعلمين، ص١٣– ١٤.

[٣٢٥]– سورة إبراهيم، ٢٢ .

[٣٢٦]– النشاط التنصيري في مجال التربية، د. نبيل صبحي، الأمة، عدد٥٠، سنة٥، نوفمبر١٩٨٤، ص٣٠.

طلاب المدارس المسيحية كل صباح العلم الفرنسي، ثم عن طلب الكاهن إلى المؤمنين بالمسيح أن يصلُّوا من أجل مسيحي الأبرشية ومن أجل فرنسا فيقول: لماذا حُشر اسم فرنسا في كل ذلك دون أن نذكر البلد الذي نعيش فيه وننتسب إليه؟"[٣٢٧].

ويؤكد ذلك الدراسة التي أجريت على طلاب الجامعة الأمريكية بالقاهرة والذي تبين من خلالها أنهم لا يعرفون لون العلم المصري أو ترتيب ألوانه، وأن٥،١٣% منهم يعتبرون القُبلة بين الجنسين تحضراً.

ويقول «محمد الناقة»: في مؤتمر عقد بجامعة عين شمس بالقاهرة حول تعريب العلوم أن ٣٧% من هؤلاء الطلاب يحلمون بالجنسية الأمريكية، و٧٥% يرون أن الوجود الأوربي في مصر كان تنويراً ولم يكن استعماراً"[٣٢٨].

ويقول «عبد الودود شلبي»: "عملت في مدرسة من هذه المدارس التي تخضع لإشراف الكنيسة الكاثوليكية ولم يكن في هذه المدرسة من الرجال غيري، كن جميعاً من الراهبات اللآئي تخصصن في إدارة هذه المدارس... وقد هالني ما رأيت في هذه المدرسة، رأيت كتباً تدرس كلها إساءة لمصر ورأيت الإسلام مترويا في قبر مظلم تحت الأرض، وعجبت من غفلة المسئولين عن التعليم على هذه الجرائم"[٣٢٩].

وفي كونها خطراً على العروبة وعلى الإسلام:

"فقد شهد مسرح الحياة الوطنية في تونس عام١٩٧٨م، حادثاً خطيراً في ميدان التعليم ففي الجامعة القومية للتعليم تقدم عدد من النواب بلوائح يطالبون بالتصويت لها: منها رفض اعتبار تونس بلداً عربيا، ومنها إلغاء التربية الدينية من برامج التعليم للتخلص من الفكر الظلامي الغيبي -على حد تعبيرهم- الذي تنشره، وإلغاء كلية

---

[٣٢٧]- محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، د. محمد زين العابدين الطشو، ص١١٣، مرجع سابق. نقلاً عن: أفريقيا الثائرة.

[٣٢٨]- جريدة الجمهورية، ١٢إبريل ٢٠٠٠م، عدد١٦٩٠٧، سنة٤٧، الصفحة الأولى.

[٣٢٩]- في محكمة التاريخ، د. عبد الودود شلبي، دار الشروق، ص٣٠، بتصرف.

الشريعة والمطالبة بتدريس الأدب الماجن والتخلي عن تدريس التاريخ الإسلامي"[٣٣٠].

ولقد "تناولت الصحف العربية كتاباً يدرس في الجامعة الأمريكية لمدة تزيد عن العشرين عاماً يسمى: (محمد) للكاتب اليهودي «مكسيم رودينسون»[٣٣١]، وهو مليء بالتهم والأباطيل والافتراءات على نبي الإسلام ﷺ وأبناء المسلمين مطالبون بدراسة تلك الأباطيل ضد نبيهم والتفوق فيها".

وهم في دراستهم لها لا يدرسونها على أساس أنها افتراءات ولكن على أساس كونها مُسَلَّمات يجب أن يؤمنوا بها.

ونحن كمسلمين لا نقف حائلاً ضد العلم والتعليم ولكن كما قال «أحمد زويل»[٣٣٢]: "إن للبحث العلمي حدودا وضوابط وأستطيع أن أقول رأياً ما في موضوع باعتباري أحمد زويل، أما إذا تحدثت باعتباري أستاذاً جامعياً أمريكياً فلا يمكن أن

٣٣٠- مجلة الدعوة، عدد٢٣، سنة٢٧، ص٥٢. نقلا عن: مجلة المعرفة التونسية.

٣٣١- مكسيم رودينسون: ولد في باريس بتاريخ ١٩١٥/١/١٦ وحصل على الدكتوراه في الآداب، ثم على شهادة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، والمدرسة العلمية للدراسات العليا. ونال منحة الصندوق الوطني للأبحاث العلمية (١٩٤٢-١٩٣٧م)، وعين أستاذاً في المعهد الإسلامي بصيدا في لبنان (١٩٤١- ١٩٤٠م)، ومحرراً وأميناً في مكتبة في دائرة آثار بعثة فرنسا الحرة في المشرق. ثم في بعثة الآثار الدائمة الفرنسية في المشرق ببيروت (١٩٤٦-١٩٤١م)، ومقيماً في المعهد الفرنسي بدمشق، ومحاضراً في المدرسة العليا للأدب ببيروت(١٩٤٦-١٩٤٧م)، وأميناً لقسم في المكتبة الوطنية (١٩٥٥- ١٩٤٨م) ومديراً للدراسات في المدرسة العلمية للدراسات العليا قسم العلوم التاريخية واللغوية منذ عام ١٩٥٥م، ثم محاضراً فيها بقسم العلوم الاقتصادية والاجتماعية (١٩٧١- ١٩٥٩م). انظر: المستشرقون، مرجع سابق، جـ الأول، ص٦٠.

٣٣٢- أحمد زويل: عالم مصري مسلم ولد في ٢٦ فبراير١٩٤٦ بمدينة دمنهور، حصل على درجة البكالوريوس في الكيمياء عام ١٩٦٧، حصل على الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا بأمريكا عام ١٩٧٣م، وعين بجامعة بيركلي لمدة سنتين، ثم عين بعدها في جامعة كالتك في ولاية كاليفورنيا التي كرمته ومنحته درجة أستاذ كرسي الكيمياء أي أستاذاً فيها لمدى الحياة، وذلك بعد مرور سنتين فقط من تعيينه، على الرغم من أن القانون ينص على ضرورة مرور خمس سنوات على التعيين كي يمنح صاحبها هذه الدرجة. ولأول مرة في التاريخ توصل زويل إلى رؤية الجزيئات وهي تتفاعل وتتحد وتنفصل من خلال كاميرا اخترعها من الليزر نال عليها جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩م. منار الإسلام، عدد٨، سنة٢٦، نوفمبر ٢٠٠٠، ص٥٨، بتصرف.

أخوض في الثوابت المعروفة هناك"[٣٣٣].

ولم يقف خطر المؤسسات التنصيرية التعليمية عند هذا الحد بل إنها تعمل جاهدةً لإضعاف المؤسسات العلمية والتعليمية في البلاد العربية والإسلامية، وعلى حد قول «راطسون» – مدير الجامعة الأمريكية الأسبق بالقاهرة –: "إننا نراقب سير القرآن في المدارس الإسلامية، ونجد فيه الخطر الداهم، فالقرآن، وتاريخ الإسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير المسيحية"[٣٣٤].

"ومن المؤسسات التي تعرضت لحملات متتابعة الأزهر جامعاً وجامعة فمنذ أن أقر مؤتمر القاهرة التنصيري عام ١٩٠٦م، اقتراحاً يراد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في الدنيا على اختلاف مذاهبها، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية، ويتابع قائلاً وفى الإمكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة وهى أن نقوم أولاً بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية مسيحية، ليتمكن هؤلاء من القيام بخدمة جليلة في تنصير المسلمين الآخرين"[٣٣٥]. فكانت "الجامعة الأمريكية بالقاهرة التي قصد من إنشائها أن تكون قريبة من المركز الإسلامي الكبير وهو الجامع الأزهر"[٣٣٦].

"كما لجاءوا أيضا إلى التنفير والسخرية بطالب الأزهر وبأستاذه، كما قاموا كذلك بالتفرقة بين أستاذ الدين الإسلامي والمواد الأخرى في كل شئ تفرقة مقصودة مرسومة للتنفير من الدين وتشجيع الإقبال على غير الدين"[٣٣٧]"وسموا أصحابها الرجعيين"[٣٣٨].

---

[٣٣٣]– منار الإسلام، عدد٨، سنة٢٦، نوفمبر ٢٠٠٠، ص٥٨.

[٣٣٤]– قوى الشر المتحالفة، محمد النهان ، ص٩٧، مرجع سابق. نقلاً عن: الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، أنور الجندي، ص٥٣.

[٣٣٥]– الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتليه، ت: محب الدين الخطيب، مساعد اليافي، و نشرت في جريدة المؤيد ١٣٣٠هـ.

[٣٣٦]– أخطار التبشير في ديار المسلمين، محمد عبد الرحمن عوض، ص١٨، مرجع سابق.

[٣٣٧]– التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير، محمد رشدي أبو شبانه، ص٦٦، مرجع سابق.

[٣٣٨]– الإسلام والأمن الثقافي، توفيق محمد السبع، الوعي الإسلامي، عدد٢٨٢، سنة٢٤، فبراير١٩٨٨، ص٣٧.

ليرددها من بعدهم أنصاف المتعلمين والحاقدين على الإسلام وأهله، مما كان له أثر في ابتعاد بعض من المسلمين عن تلقين أبنائهم علوم الدين، بعد أن "كان الانتساب إلى الأزهر فيما مضى شرفاً تتسابق إليه الأسر وكانت الأسرة التي تحوي ضمن أفرادها عالماً دينياً تصبح محط الأنظار سواء في العاصمة أو في الأقاليم، وينظر إليها الناس بالتبجيل والإكبار، لأن العلم في حس الناس هو علم الدين، الذي هو خير الدنيا والآخرة، وفى المقابل كانوا ينظرون إلى التعليم في المدارس التنصيرية على أساس من الاحتقار لأنها لا تعلم القرآن"[٣٣٩].

وما حدث في الجامع الأزهر حدث مثيله في المؤسسات التعليمية في البلدان العربية والإسلامية كجامعة القرويين بالمغرب الأقصى والزيتونة بتونس. والإسلام لا يقف حائلاً ضد العلم والتعليم، وكما قال شيخ الأزهر السابق «محمد مصطفى المراغي» – رحمه الله–: "تعلموا واعملوا، تعلموا فروع العلم جميعها لتنالوا الفخار والمجد، ولتكونوا أعزة، وأقيموا أساس الحضارة على العلم والدين والأخلاق"[٣٤٠].

وما زال للتنصير نشاطاً واسعاً في إنشاء المؤسسات التعليمية في البلدان العربية وإدارتها، "ومن أحدث المؤسسات التنصيرية في مصر جامعة (سان جور) أو(الجامعة الفرنسية الدولية للتنمية الأفريقية)، وقد تأسست بقرار جمهوري عام ١٩٨٩م، وهى لا تخضع في مناهجها وإدارتها لإشراف وزارة التربية والمجلس الأعلى للجامعات، وما هي إلا وسيلة من وسائل تنفيذ وصية «لويس التاسع» بعد حملته على مصر وأسره في المنصورة وليس أدل على ذلك من اختيار المؤسس لها يوم ٥ يونية عام ١٩٨٩م لافتتاحها، لأن ٥ يونيه من عام ١٢٤٩م هو اليوم الذي كان فيه الغزو الفرنسي لمصر أي الحملة السابعة بقيادة «لويس التاسع» حيث استولى على دمياط يوم ٥ يونيه، فليس من قبيل المصادفة أن

---

[٣٣٩]– واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص٢١٦:٢١٨ بتصرف.

[٣٤٠]– قوى الشر المتحالفة، محمد الدهان ، ص١٤٥، مرجع سابق.

يكون هذا التاريخ هو تاريخ إنشاء الجامعة، وأن يحضر رئيس فرنسا بنفسه خصيصاً من أجل ذلك. إنما هو الغزو والاحتلال من طريق آخر"[٣٤١].

"وفي الإمارات العربية نجد أن "الراهبات الكلدان يَقُمنَّ بإدارة مدارس روضة[٣٤٢] وابتدائية وثانوية، حيث يتجاوز عدد الطلاب في كل مدرسة الألف طالب، والراهبات يقمن فيهن بالتثقيف المسيحي كما صرحت بذلك الأم الرئيسية/ «مباركة كرمو» حيث قالت: مما لا شك فيه أن قطاع التربية والتعليم قد نال القسط الأوفر من جهد الراهبات، بل كان الحقل الأول الذي حرثته منذ البدايات الأولى لا سيما في القرى والأرياف. وقد خَرَّجت الراهبات أجيالاً لا تزال تلهج لهن بالثناء من مسيحيين ومسلمين أيضا"[٣٤٣].

ولمزيد من الاهتمام بمجال التعليم بصفة عامة نجد المكتب الدولي للتعليم الكاثوليكي (أويك OIEC)[٣٤٤] الذي يضم (٨٧) فرعاً في أفريقيا ومدغشقر وأمريكا وآسيا وأوربا والشرق الأوسط، تمثل مرافق التعليم الكاثوليكي والجمعيات الرهبانية التي تهتم بالتعليم، ويقدر عدد الطلبة الذين يتوجه إليهم المكتب بـ(٤٠) مليون شاب وفتاة، كما يهتم المكتب بكل ما يمت بصلة إلى شؤون التعليم في المؤسسات الكاثوليكية في العالم من طريق تبادل الخبرات التربوية، وتنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية ويصدر المكتب نشرة فصلية.

وبالنسبة للتعليم الجامعي: فهناك الاتحاد الدولي للجامعات الكاثوليكية (فيوك FIUC) الذي تأسس عام ١٩٤٩م، وقد أنشئ لتعزيز التعاون بين الجامعات

---

[٣٤١]- جريدة الشعب ٦ - ٣ - ١٩٩٠.

[٣٤٢]- الروضة: هي مرحلة من مراحل التعليم وتكون قبل المرحلة الابتدائية ومدة الدراسة فيها تكون غالبا عامين.

[٣٤٣]- راهبات القدسية كاترينة، نجيب قافو، الفكر المسيحي، عدد٢٧٦- ٢٧٥، ١٩٩٤، ص١٢٤.

[٣٤٤]- أويك: عضو استشاري لدى اليونسكو واليونيسيف والمجلس الأوربي ويتعاون مع منظمة الفاو والمكتب الدولي للتربية، وله علاقات مع منظمة الوحدة الأفريقية، ومنظمة دول أميركا، أما مقره الرئيسي فهو بروكسل (بلجيكا).

المسيحية الأعضاء ومع بعض المنظمات الجامعية الدولية، وهو يحقق حضوراً مسيحياً متميزاً في الأوساط الفكرية العالمية[٣٤٥].

المطلب الثاني

وسائل الإعلام

أولا: الوسائل السمعية البصرية: (السينما والتلفزيون والمسرح).

اهتمت السينما منذ نشأها الأولى، بالأفلام الدينية، فجاء فيلم آلام السيد المسيح، في باريس عام١٨٩٧م الذي صنعه الأخوة/ «لوميير»، فكانوا السبَّاقين إلى طرح مثل هذه المواضيع لعدة أسباب أهمها: الجانب المادي في تمويل تلك الصناعة الوليدة، إضافة إلى الحصول على مباركة الكنيسة والفاتيكان، عندما لا تتجاوز السينما خطوطاً حمراء تستهدفها أو تمس بعقيدها"[٣٤٦]، "وبعد أن رضي المبشرون أن يجعلوا الدين آلة في يد الدول، انتهزت الدول هذه الفرصة سعياً لبسط نفوذها السياسي وإشباع الجانب المادي لدى أفرادها"[٣٤٧].

واستمراراً لهذه السياسية، ولكون "السينما هي فن العصر، وهي أخطر وسائل التعبير، وأشرس أدوات الإعلام والدعاية، قام الرئيس الأمريكي/ «روزفلت» في ثلاثينيات القرن العشرين بزيارة استوديوهات السينما في هوليود، واجتمع بصناعها، وقال لهم: إذا أردتم لأمريكا الرفعة والمجد فإهتموا بالفيلم الأمريكي"[٣٤٨].

فقامت"شركات الإنتاج التليفزيوني في الولايات المتحدة بعد أن استهلكت الهنود الحمر، والآسيويين، وعوالم أمريكا اللاتينية، والعصابات الإيطالية قامت بملاحقة العرب

---

[٣٤٥]– انظر: المنظمات الكاثوليكية الدولية، الأب/ جرجس القس موسى، الفكر المسيحي، عدد٢٤١، ١٩٨٩، ص١٣.

[٣٤٦]– الفن السابع: القديسة جان دارك بين الأسطورة والسينما، وليم يلدا، الفكر المسيحي، عدد٣٥٨– ٣٥٧، سنة٣٦، ٢٠٠٠، ص١٩٢: ١٩٤بتصرف.

[٣٤٧]– التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص١١٥، مرجع سابق.

[٣٤٨]– السينما الإسلامية، محمود حنفي كساب، الأمة، عدد ٣٥، سنة٣، أغسطس١٩٨٣، ص٧٦– ٧٧ بتصرف.

والمسلمين"[٣٤٩].

"ففي٢٧ يونيو عام ١٩٥٤م، أذاعت محطة الإذاعة البريطانية عبر شاشة التلفزيون هذه الترنيمة،التي رددها كنيسة الأرواح في قُدَّاس أقيم بها تقول:

دع الأغنية تدور حول الأرض.

Let the song go round the earth

فوق بلاد فيها سيطرة الإسلام.

s way'Over lands where Islam

ترقد بظلماتها فوق كل موطن وبيت

Darkly broods up home and hearth

اضربوا بعهودهم عرض الحائط .

Cast their bonds away

فهذه الترنيمة تمثل الحقد والغضب في أقبح صوره"[٣٥٠].

"وفى أواخر الثمانينات، بدأت عمليات التحضير-المنظمة- لإبراز صورة العدو الإسلامي بوصفه بديلاً للشيوعية المحتضرة فكانت أفلام **the delta force**، والمنتقم عام١٩٨٦م، والموت قبل العار١٩٨٧م، وسرقة السماء عام ١٩٨٨م، حيث يأتي العدو العربي الإسلامي الخارق ممتلكاً أسلحة تدميرية شاملة، يهدد بها الأبرياء فيتدخل الغربي الطيب المدافع عن حقوق الإنسان لتخليص البشرية من شرور أولئك العرب الغلاظ. وبعد حادث تفجير مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٢م، أنتجت هوليود فيلم أكاذيب حقيقية، من بطولة «أرنولد شوارزينجر»، والذي يتحدث عن إحدى الميليشيات العربية الموجودة داخل الولايات المتحدة، التي تتخذ من كلمة الحرية

---

[٣٤٩]- أبو جهل يظهر في بلاد العرب، د. عبد الودود شلبي، ص٨٢، مرجع سابق.

[٣٥٠]- الفكر الاستشراقي بعد الحرب العالمية الثانية، د. محمد الدسوقي، الوعي الإسلامي، عدد٢٩٢، سنة٢٥ نوفمبر١٩٨٨، ص٢٠-٢١.

الإسلامية شعاراً لها، تخطط له من خلال طائرة مخطوفة، وقنبلة شديدة الانفجار لإلقائها وسط نيويورك، لإحداث الدمار في أهم المنشآت الأمريكية المحيطة بمركز التجارة العالمي، ولكن مخرج الفيلم جعل البطل ضابط المخابرات الأمريكية وزوجته ينقذان نيويورك، بإجبار قائد الطائرة المسلم أن يصطدم بطائرته في أحد المباني بعد إبطال مفعول القنبلة، وكذلك فيلم اختطاف طائرة الرئيس الأمريكي بطولة «هادسون فورد»، وفيلم الحصار عام ١٩٩٩ الذي تدور أحداثه حول تعرض أمريكا المسالمة لإرهاب المسلمين، حيث يبدأ بتفجير جراج مركز التجارة العالمي. ذلك الحدث الذي أفقد أمريكا براءتها وشفافيتها وفتح أعينها على الإرهاب القادم من الشرق الأوسط، لتأتي أحداث ١١ سبتمبر وقد كُرِّست صورة نمطية لدى ملايين المشاهدين على مستوى العالم مفادها أن: الإسلام يساوي الإرهاب"[٣٥١]، خاصة بعد أن "قامت بعض أجهزة الإعلام العربي – مدفوعة من بعض الدول الغربية- بالسخرية من علماء الدين من طريق الأفلام والمسرحيات التي أظهرتهم في صورة رثة مضحكة"[٣٥٢].

وتعدى الأمر إلى المسلمين الأوائل فقدمتهم بصورة وكأن الإسلام قد منعهم تماماً عن ممارسة الحياة، فمثلاً إذا تحدثت الشخصيات فلا بد أن تكون جهيرة الصوت متخذة الخطابة وسيلة للحوار، لكأنه كتب على المتحدثين بالعربية الفصحى في السينما أن يخطبوا كأنهم في مؤتمرات أو قاعات للدروس، رغم أن لغتنا الجميلة سهلة ومنطقية، ويمكن الهمس بها.

إن معنى انفصال السينما عن حياة الناس أنها سينما مزيفة متهتكة، ينبغي أن تحرق أفلامها في الميادين العامة، ذلك أن السينما هي فن رؤية الحياة بالفوتوغرافيا، فينبغي أن

---

[٣٥١]- جناية هوليود على العرب والمسلمين!!، د. على بن محمد العجلة، منار الإسلام، عدد١١، سنة٢٧، يناير- فبراير ٢٠٠٢، ص٦:٨ بتصرف.

[٣٥٢]- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص٥٣، مرجع سابق.

تكون مطابقة لواقع من تعرض عليهم[353].

هذا جانب الهدم للإسلام، أما عن جانب التشييد للنصرانية:

"ففي مهرجان القاهرة الدولي لسينما الأطفال، وفي محاولة للوقوف على هذه الأفلام وتقييمها من خلال متابعة أفلام المهرجان تكشفت لدينا مؤامرة عالمية خبيثة تستهدف أطفال المسلمين بهدف زعزعة مفاهيمهم وتقاليدهم ، فقد تم عرض فيلم في قالب ضاحك جذاب يصلي فيه الممثلون صلاة النصارى في أوقات الشدة والعسر وكيف أن البطل صلى صلاقم ونجا"[354].

ويقول «بسيوني الحلواني» في بحث له مقدم بهذا الخصوص:

"وقد أجمع المفكرون المسلمون وخبراء التربية في مجتمعاتنا الإسلامية على أن معظم المواد التلفازية الأجنبية والموجهة لأطفالنا -بصفة خاصة- سواء المترجم منها أو غير المترجم، لا تتبنى ما يهمنا أن ننميه في أطفالنا، ولا تؤكد على المعلومات والقيم والمفاهيم التي لا بد للطفل المسلم أن يُعايشها، ولا تساهم في تحقيق الأمن الثقافي الذي ننشده لأطفالنا، هذا فضلاً عن أنها تؤدى إلى تثبيت قيم ومفاهيم خاطئة بل ضارة بعقول أبنائنا، فالإنتاج الأجنبي كثيراً ما يكون مفعماً بالأفكار الشاذة، والآراء الهدامة، والمعتقدات الباطلة وأساليب السلوك المنحرف"[355]، وهذه البرامج تباع للتلفزيون الحكومي والمحطات التليفزيونية الأهلية الأخرى بسعر زهيد، لتجد طريقها إلى البث

---

[353]- السينما الإسلامية، محمود حنفي كساب، الأمة، عدد ٣٥، سنة٣، أغسطس١٩٨٣، ص٧٦-٧٧ بتصرف.

[354]- إنهم يسرقون أطفالنا: التعليم وضياع الهوية، خالد محمد خلاوي، منار الإسلام، عدد٦، سنة١٨، ديسمبر١٩٩٢ ، ص٩٨.

[355]- أطفالنا وبرامج التلفاز الأجنبية، بسيوني الحلواني، منار الإسلام، عدد١١، سنة١٣، يونيو١٩٨٨، ص١٠٨.

عبر هذه الوسيلة التلفزيونية الخطيرة ليتلقاها ملايين المشاهدين[٣٥٦].

ولقد زاد من خطورة العمل التنصيري في هذه السنوات الأخيرة استخدامه للأقمار الصناعية لبث برامجه التنصيرية عبر بعض قنواتها، وأذكر منها على وجه الخصوص: قناة سات٧ (SAT٧)[٣٥٧] وتي. بي. إن (T. B. N). فبالنسبة للقناة سات، قامت جمعية أتباع الإنجيل العالمية بعقد اتفاق معها يقضي بتقديم البرامج والكتاب المقدس للجمهور في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وتفعيلا لهذا الاتفاق وتحت رعاية برنامج يسمى (نُسخ الكتاب المقدس المرئية والمسموعة للعالم العربي) قامت جمعية الإنجيل بالعمل مع القناة المسيحية القبطية بتطوير وعرض مادة مرئية تناسب المشاهد العربي.

ومن البرامج التي تقدمها المحطة للأطفال برنامج قصص الإنجيل بالرسوم المتحركة، وهو حلقات

٣٥٦- التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص١٠٩، مرجع سابق.

٣٥٧- SAT٧: أنشئت في عام ١٩٩٥م بهدف تقوية ودعم موقف الكنيسة والتنصير في الدول العربية. حيث جاء في العدد الأول من جريدة (الأقباط والشرق الأوسط) ما نصه: نداء إلى كل مسيحيي الشرق الأوسط في العالم بعد التحية، حيث أن الإعلام يعتبر أهم وسيلة فعّالة في دعم كيان الشعوب، وبسبب هيمنة الكلمة المكتوبة والبث الإذاعي والتلفزيوني في التعرف على تراث ومشاكل الشعوب وأخبارهم، فلقد قمنا بإنشاء مؤسسة إعلامية في هذا الوقت العصيب الذي تمر به كنيستنا القبطية بل وكل المسيحيين بظروف صعبة -من المعروف أن أوقاف الكنيسة القبطية قد أعيدت إليها من قبل الحكومة في مصر، بينما لا تزال الأوقاف الإسلامية التي من المفترض أن تكون تابعة للأزهر لا تزال في أيدي الحكومة- إن لم يكن في العالم كله فعلى الأقل في الشرق الأوسط وأفريقيا. ولما كان الأقباط يتزايدون كثيرا في بلاد المهجر -بدأت هجرة المصريين عموما تتسع مع بدايات حركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٢م حيث كان النزوح الأول لعدد كبير من المصريين، وهؤلاء انقسموا إلى فئتين: فئة هاربة بدينها من الاضطهاد حيث شُنت حملة لا هوادة فيها على بعض المسلمين. والفئة الأخرى كانت من الرأسماليين وأصحاب الأراضي الذين أخذت أموالهم بدعوى توزيعها على الفقراء، واستقر هؤلاء في أوروبا وأمريكا، وكان فيهم عدد كبير من الأقباط حيث أنهم كانوا يمتلكون حوالي ١٥% من ثروة مصر. ومع بداية الستينيات كان النزوح الثاني والذي استمر إلى يومنا هذا واختلف النزوح الثاني عن الأول في كون الأول كان يتمثل في خروج الأغنياء، والثاني خروج للبحث عن هوية مفتقدة أو بطالة لا تفي بمتطلبات العيش وأعباء الحياة. موقع/ نسيج، نصارى المهجر المخطط والدور، حسن الرشيدي - في الوقت الذي يزداد فيه الاضطهاد ضد إخوتنا الذين يعيشون عل أرض مصر- وهذا إدعاء بلا دليل- رأينا أنه من الواجب بل ومن الضروري أن نقوم بعمل إعلامي ضخم يتناسب مع حجم الأقباط وحجم المشكلة القبطية. ولما أبدى إخوتنا المسيحيون في بلاد المهجر الذين يمثلون بلاد الشرق الأوسط والبلاد الأفريقية رغبتهم في المشاركة في هذا العمل، رأينا أن نستجيب لشعورهم النبيل لأننا جميعا أعضاء في جسد المسيح الواحد، ولذلك قررنا إنشاء صرح إعلامي ضخم نتمنى أن نصل به إلى معظم آمالنا الإعلامية. ولقد رأينا أن هذا العمل يحتم بالضرورة إشراك كل الطاقات المسيحية في انسجام وتآلف للوصول إلى الهدف المنشود، الذي هو: الدفاع عن المسيحية والمسيحيين المضطهدين.

مسلسلة تسرد الأحداث الرئيسية عن حياة المسيح في سياق قصة مغامرة حدثت في روما.

كما تقوم المحطة بإذاعة حلقات مسلسلة عن حياة الأنبياء والرسل كما وردت، في التوراة، ويقوم بأدائها بعض الممثلين العرب. وفكرهم المبثوثة من خلال هذه الحلقات هي كون رسالات الأنبياء والرسل جميعهم محصورة في كونها مجرد منبئة بقدوم عيسى عليه السلام لتخليص البشر من خطيئة آدم عليه السلام. والجدير بالذكر أن هذه القناة تبث إرسالها عبر قمرين اصطناعيين لضمان تغطية كل منطقة العالم العربي ومعظم أوروبا حيث يوجد العديد من الجماعات المهاجرة التي تتكلم العربية.

"وبالنسبة للمسرح فقد ولِد في البدء دينياً، وعرف في أمتنا بالسخرية من هذا الدين! وتلك ولادة غير شرعية. ازدهر لفترة في مصر وسائر بلدان أمتنا، ولكن حقائق عدة غابت عن ذهن المتفرج، فكثيراً مما رآه واسماه مسرحا، قمامة لندن وباريس! وخير الأعمال المعروضة بضاعة مستوردة وأغلب جوانبه الفكرية! إسقاطات! أيديولوجية وسموم عقائدية، والأبواب مفتوحة لكل راغب عن الدعوة الإسلامية أو مزج لعادات وتقاليد الجاهلية"[٣٥٨]، "حيث تتولى السينما العالمية جعله بطلاً من لا شئ وتروج لهم بالدعاية ثم تستغلهم لخدمة قضايا أيديولوجية واقتصادية ومذهبية، وينتج عن ذلك تناقض خطير بين الحلم والواقع"[٣٥٩].

ولما كان جانب العمل التنصيري بين المسلمين قد وضحه «زويمر» بقوله:

"إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد، ومزية هدم، أو بالحري مزيتي تحليل وتركيب"[٣٦٠]، وبالإضافة إلى إشارة البابا/ «يوحنا بولس الثاني» بقوله: "يمكن لوسائل الإعلام ويجب أن تكون أدوات في يد الكنيسة للتبشير من جديد ولتبشير

---

[٣٥٨]– القرآن والمسرح، د. محمد الظواهري، عرض/ أبو علي حسن، الأمة، عدد٢٦، سنة٣، ديسمبر١٩٨٢، ص ٢٤.

[٣٥٩]– وسائل الإعلام، التحرير، المختار الإسلامي، عدد٥، سنة١، نوفمبر١٩٧٩، ص٦٨.

[٣٦٠]– الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتليه، ص٨، مرجع سابق.

جديد في العالم المعاصر، وفي سبيل التبشير الجديد لا بد من التركيز على وسائل الإعلام السمعية البصرية لما فيها من تأثير، عملاً بالقول المأثور (انظر، احكم، اعمل)، فلا بد للتبشير بالإنجيل من أن يجني ثماراً من حضور الكنيسة الفاعل والمنفتح في عالم وسائل الإعلام"[٣٦١].

قام التنصير باعتماد خطة التشييد من خلال ترسيخ المفاهيم المسيحية.

"فعندما سئل «عوني كرومي»[٣٦٢] ماذا يعنى المسرح بالنسبة لك؟ أجاب: هو وسيلة من وسائل الوصول للحقيقة، كما أنه الطريق إلى الخلاص والحب، لقد سمعت يوماً أن إحدى الممثلات أجابت عن معنى التمثيل بالنسبة لها كونه الطريق للوصول إلى الله، وأنا أضيف بأن المسرح بالنسبة لي هو الطريق للوصول إلى الحقيقة. ووجه إليه سؤالا آخر مفاده:

شخصية المسيح ماثلة، برموزها وسلوكها وكينونتها، في الكثير من أعمالك المسرحية مثل (عند الصليب، المسيح يصلب من جديد، المحرقة السعيدة، ترنيمة الكرسي الهزاز ...الخ) فماذا تعنى لك هذه الشخصية؟ أجاب: صلب المسيح وموته يعنى تكامل الجانب الإنساني في شخصيته، كما أننا نكتشف أنه يعيش القيامة في داخل الحياة وليس ما بعدها. وأخيراً فالمسيح يمثل لي الحب المطلق والدائم في العطاء"[٣٦٣].

هذا من جانب التشييد، أما عن جانب الهدم فيتمثل في:

١ - "إعطاء صورة غير صحيحة عن الإسلام والمسلمين"[٣٦٤].

ولنأخذ مثالاً على ذلك «شكسبير» "ففي مسرحياته (ريتشارد الثاني، هنري

---

[٣٦١]- وثائق فاتيكانية: إرشاد رعوي، يوحنا بولس الثاني، ص٢٢ - ٢٣ بتصرف.

[٣٦٢]- هو المخرج المسرحي/ عوني أفرام كرومي، مسيحي كاثوليكي من أصل عراقي حصل على دكتوراه عام ١٩٧٦ من جامعة هبولدت ببرلين الشرقية في علوم المسرح أخرج أكثر من ٦٠ مسرحية كما ألف العديد من الكتب المسرحية باللغتين الألمانية والعربية، حاز على جائزة التكامل الكبرى عام ١٩٨٨ في تونس عن مسرحية ترنيمة الكرسي الهزاز وهى المسرحية التي شارك بها احتفالات مجلة الفكر المسيحي بيوبيلها الفضي. الفكر المسيحي، عدد٢٥٦، سنة٢٦، ١٩٩٥، ص٢٢٢.

[٣٦٣]- لقاء مع الدكتور/عوني كرومي، ص٢٢٢-٢٢٣ بتصرف، المرجع السابق نفسه.

[٣٦٤]- حقيقة الاستشراق وخطورة التبشير، د. محمد محمد عبد العال الحناوي ، ص٢٠، مرجع سابق.

السادس، روميو وجوليت، هنري الرابع)[٣٦٥] يتبين إدراك «شكسبير» واستعداده للتشوهات التي تعرضت لها شخصية الرسول في عصر النهضة، ومن بينها وصفه له بأنه كاذب وشيطان ودجال وشبق، ومزاعم أخرى تدعو إلى السخرية، وعلى سبيل المثال ففي مسرحية روميو وجوليت يشير إلى كلمة مامتس **Mametis** بمعنى الوثن"[٣٦٦].

٢- "إشاعة التحلل والإباحية والإغراء بالجريمة وإفساد الشباب المسلم فيترتب على ذلك خلخلة العقيدة وتحطيم الأخلاق والقيم، وأقل ما في هذه الوسائل من خطورة أنها تعلم الناس توافه الأمور"[٣٦٧].

"وفي لقاء البابا/ «يوحنا بولس الثاني» مع الفنانين والفنانات يوم السابع من مايو عام ١٩٦٤م، قال: والكنيسة تحافظ على تقدير كبير للفن حتى في ما يتخطى أشكاله الدينية، ولأن الفن هو بحث عن الجمال، وثمرة مخيلة تتخطى الواقع اليومي، فإنه بطبيعته، نوع من الدعوة إلى السر الخلاصي... حتى عندما يتقصى الفنان أحلك بواطن الروح أو أكدر مظاهر الشر، فإنه يجعل نفسه، نوعاً ما، صوت ارتقاب للفداء ارتقاباً عميقاً، لذلك نفهم لماذا تتمسك الكنيسة تمسكاً خاصاً بالحوار مع الفن"[٣٦٨].

"ترسيخ عبارات عامة في أذهان الناس يرددونها في حياتهم دون تدبر معانيها لإحداث بلبلة في عقول الناس عن الإسلام والمسلمين"[٣٦٩]، "كمصطلح (التطرف الديني) الذي شاع استخدامه في وسائل الإعلام، وعلى ألسنة الناس، وكثيرًا ما يستخدم بهدف إيجاد حالة من الرعب والإرهاب الفكري لشل حركة الدعوة إلى الله التي تخضع لمعايير منضبطة مشروعة من الله ﷻ لا يد للإنسان فيها، والأمر المستغرب

---

[٣٦٥]- انظر: فكر التنصير في مسرحيات شكسبير.

[٣٦٦]- إشارات إلى النبي محمد ﷺ في شكسبير، د. مفيد الحوامدة، مجلة جامعة دمشق، جـ ٤، عدد ١٣، مارس ١٩٨٨. ص١١٧.

[٣٦٧]- التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص ١٠٩، مرجع سابق.

[٣٦٨]- رسالة من البابا يوحنا الثاني إلى أهل الفن، ص٢٤ - ٢٥.

[٣٦٩]- حقيقة الاستشراق وخطورة التبشير، د. محمد محمد عبد العال الحناوي ، ص٣٧، مرجع سابق.

حقاً أن هذا الاصطلاح استعمل أول ما استعمل في فلسطين المحتلة عندما بدأ الشباب المسلم يدافع عن أرضه المحتلة ويعي ذاته"[٣٧٠].

ثانيا: الوسائل المقروءة:

١ - القصة.

"كان من المقرر لحدوث النهضة في العالم العربي أن يبدأ الأمر بترجمة الكتب العلمية التي تسد حاجة الشعوب الإسلامية في ميادين العلم والتكنولوجيا لكي تستطيع بناء قوتها العسكرية والنهوض من تخلفها وكبوتها، ولكن الأمور قدر لها أن تسير في الجانب الأخر"[٣٧١]، "فقد ترجمت المئات من القصص والمسرحيات والكتب التي تحمل الفكر الغربي الإلحادي المناوئ للدين والجاحد له، مع عناية خاصة بنشر أفكار «دارون» و«هيجل» و«دور كاييم»[٣٧٢] و«سارتر»[٣٧٣] و«فرويد»، الذين اعترف علماء الغرب أنفسهم بأنهم لم يقدموا علوما صالحة للمجتمعات الإنسانية وإنما قدموا أهواء نفوسهم"[٣٧٤] "بالإضافة إلى ترجمة قصص الجنس والإباحية"[٣٧٥].

ولا ريب "أن القصة من أهم الوسائل المؤثرة التي تتغلغل إلى القلوب مباشرة"[٣٧٦] "فقد يقرأ الإنسان كتاباً أدبيا في عدة أيام، ولكنه يقرأ القصة في يوم واحد وإن

---

[٣٧٠]- التراجع إلى مواقع الفكر الدفاعي، التحرير، الأمة، عدد١٨، سنة٢، إبريل ١٩٨٢، ص٧ بتصرف.

[٣٧١]- خاصة بعد أن خرج من ينادي قائلاً ما للغة العربية وعلوم الطب والهندسة والصيدلة؟ إن تعريب العلوم مستحيل، نادى بذلك على الرغم من أن اليهود نقلوا العلوم الحديثة إلى العبرية وهي لغة ميتة، وكذلك فعل الصينيون واليابانيون وغيرهم، فهل تعجز لغة حية، لغة الوحي عما حققته العبرية، ولكنها الحرب على لغة القرآن. الحق المر، محمد الغزالي، جـ٣، ص١٨٥.

[٣٧٢]- التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير،د. محمد رشدي أبو شبانة، ص٨١، مرجع سابق.

[٣٧٣]- يُذكر أن سارتر في وقت الاحتضار تلفت حوله في قلق وحيرة، قالوا له: أتريد شيئا؟ وفغروا أفواههم دهشة عندما سمعوه يقول: أريد قسيساً، انزعجت رفيقته الشهيرة (سيمون دي بوفوار) وقالت: معنى ذلك أنك تدمر فلسفتك. لم يلتفت إلى قولها، ولكنه استطرد: لا أريده من باريس، بل من القرية، أتفهمون. مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، كتاب الأمة،ص٧٢.

[٣٧٤]- أبعاد المؤامرة التغريبية، أنور الجندي، منار الإسلام، عدد ٨، سنة١٨، فبراير١٩٩٣، ص٧٣.

[٣٧٥]- التنصير في البلاد الإسلامية، أحمد محمود أبو زيد، الوعي الإسلامي، عدد٣٥٠، سنة٣١، مارس١٩٩٥، ص٤٨.

[٣٧٦]- القصة في القرآن، محمد قطب عبد العال، شركة الأمل للطباعة والنشر - القاهرة، ص٧.

كانت تشغل حيزاً كثيراً من الصفحات، لأن حلاوة السرد، وروعة الأحداث، ورقة التحليل يجذب القارئ فيدفعه دفعاً إلى القراءة دون انتظار، وهذا ما حدا بالمنصرين إلى استغلال القصة في عملهم التنصيري، لإفساد الأخلاق الإسلامية وتشويه صورة الإسلام"[٣٧٧]، "فكان انتشار القصة قبل الحرب العالمية الثانية من جهة، وذيوع القصة القصيرة بعد الحرب من جهة أخرى، وما صاحبها من دعاوي ماكرة كالعبث واللامعقول والحرية الزائفة لتحقيق الوجود وغيرها من المذاهب التي ينأى الأدب في نظريته الأساسية عن هذه الأمراض النفسية، كان كل ذلك من أكبر معابر السموم إلى العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري – النصف الثاني من القرن العشرين –، فالخطيئة، والرموز النصرانية، والصلب، والوثنيات، وصراع الآلهة، والكشف والإباحة، والإلحاد والكفر هي أعمدة فن القصة الغربية، وكان للترجمة التي اختيرت لأسوأ ما قرىء من قصص الغرب الرخيصة المبتذلة دور بارز في هذا السياق، فباسم الواقعية حيناً وباسم التحليل النفسي حيناً آخر، وباسم الحرية الفكرية للأديب ثالثة، وعدم الالتزام رابعة، كانت كل هذه الأسماء خناجر تشرع في وجه كل عقل مثقف في العالم الإسلامي متناسيين أن التزام الشيطان بشيطانيته والملحد بإلحاده في العمل الأدبي هو أول ما يفسد حرية الأديب ويجعله أسير شهوته لا مستنيراً بهدي بارئ الكون فتتسع رؤيته، ويرق حسه، ويعلو تصوره!!"[٣٧٨].

"وسواء تم هذا الأمر بعلم المترجمين أو باستغفالهم، المهم أن التبشير أتقن الوسيلة لتحطيم التقاليد الإسلامية التي تمنع الاختلاط، وتنفر من الفاحشة والانحلال الخلقي فقد كانت هذه التقاليد عقبة

---

[٣٧٧]– القصص التبشيري، د/محمد رجب البيومي، منار الإسلام، عدد٥، سنة١٧، نوفمبر١٩٩١، ص١٣.

[٣٧٨]– الأدب الإسلامي بين أوهام القرن الرابع عشر وآلامه وحقائق القرن الخامس عشر وآماله، أبو علي حسن، الأمة، عدد١٩، سنة٢، مايو١٩٨٢، ص٧٥ – ٧٦.

كئود في وجه الإفساد الخلقي الذي يهدف الغرب إلى إحداثه في المجتمع الإسلامي"[٣٧٩].

"ومنذ أن اقتحمت مذاهب الأدب الغربي ساحتنا، تباينت ردود الفعل بين مرحب ومتردد ومستنكر وكان معظمها عصبياً في قبوله أو رفضه، ينطلق من أحكام متعجلة أو من خوف صادق يحول دون التصرف بروية، أو من تردد يتجاوزه الزمن"[٣٨٠].

"ثم أعقب ذلك مرحلة الاعتزاز بالإسلام، والاستعلاء بالإيمان، وتبدلت المواقع، وانتقل المسلمون من مرحلة الدفاع هذه إلى مرحلة التحدي"[٣٨١].

"فأصبح الأدب الإسلامي يضرب بموجاته المتلاحقة ذات اليمين وذات الشمال، فيدخل المؤسسات التعليمية والجامعية، ويفرض نفسه في ساحات الثقافة والإعلام ويقنع من لم يكونوا مقتنعين إلى وقت قريب، بأن هنالك حقاً أدباً إسلامياً"[٣٨٢].

"وخرج الإسلام منتصراً لتدخل الحضارة الأوربية قفص الاتهام، حيث بَدَا سقوطها، وظهر زيفها، وباتت عاجزة عن تحقيق إنسانية الإنسان"[٣٨٣].

وذلك لأن الأدب الذي يطلق العنان للجانب البهيمي الذي يساكن الإنسان في جسد واحد وذلك بإثارة غرائزه وتحريض شهواته سينتهي أمره لا محالة إلى أن يصير آفة تتقى وجرثومة تحارب، لأن في ابن آدم محكمة داخلية نسميها الضمير إذا تعطلت حيناً فلن تتعطل أبد الدهور"[٣٨٤].

"وإذا كانت دواعي أدب المجون -في المجتمع العربي والإسلامي- التنفيس عن رغبة

---

[٣٧٩]- التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير، د. محمد رشدي أبو شبانة، ص٨١، مرجع سابق.

[٣٨٠]- نحن ومذاهب الأدب الغربي، د. عبد الباسط بدر، الأمة، عدد١٩، سنة٢، سبتمبر١٩٨٢، ص٢٤.

[٣٨١]- التراجع إلى مواقع الفكر الدفاعي، التحرير، الأمة، عدد٢٣، سنة٢، سبتمبر١٩٨٢، ص٦.

[٣٨٢]- إنهم لا يطرقون الأبواب، د. عماد الدين خليل، الأمة، عدد ٦٣، سنة٦، نوفمبر ١٩٨٥، ص١٣.

[٣٨٣]- التراجع إلى مواقع الفكر الدفاعي، ص٦.

[٣٨٤]- أدب اللذة والمجون، أحمد حسن الزيات، الرسالة، عدد٨٨٥، سنة١٢، الاثنين١٩ يونية ١٩٥٠، ص٦٨٠.

مكظومة أو التعبير عن عاطفة جائشة، والتحرر من التزامات مقيدة"[٣٨٥]، فإن دواعيه في المجتمع الغربي المسيحي –للأسف– كانت نابعة من دينه، فنجد أن الغالب عليه "إذا تحدث عن بداية الخلق أعاد مقالات سفر التكوين، وإذا تحدث عن هابيل وقابيل وإبراهيم وإسماعيل وبقية الأنبياء الماضين فإنما يقدمها في إطار رؤية الكتاب المقدس أو في إطار أسطوري لا حقيقة له"[٣٨٦]، ونحن إنما ننكر ذلك لا لشيء إلا لكون الكتاب المقدس "يزخر بين ثناياه بقصص الدعارة وخاصة قصص زنا المحارم، ويضعها في قالب محبب فمثلاً (ابنتا لوط عليه السلام تزنيان بأبيهما بعد أن تسقياه خمراً، وتفعلان ذلك بدعوى حفظ النسل)[٣٨٧]، (ويهوذا– النبي– يزني بزوجة ابنه وتحمل فارص وزارح)[٣٨٨]، كما

---

[٣٨٥]– أدب اللذة والمجون، أحمد حسن الزيات، الرسالة، عدد٨٨٣، سنة١٨، الاثنين٥ يونية ١٩٥٠، ص٦٢٤.

[٣٨٦]– محاولة الملحدين فصل الأدب عن الدين، أحمد محمد محمد عبد العظيم، الوعي الإسلامي، عدد٣٤٨ س٣١ يناير١٩٩٥، ص٤٨. نقلا عن: الأدب الإسلامي ضرورة، أحمد محمد علي.

[٣٨٧]– والنص كما في الكتاب المقدس: وَغَادَرَ لُوطٌ وَابْنَتَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ صُوغَرَ، وَاسْتَقَرُّوا فِي الْجَبَلِ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَلَجَأَ هُوَ وَابْنَتَاهُ إِلَى كَهْفٍ هُنَاكَ. فَقَالَتْ الابْنَةُ الْبِكْرُ لأُخْتِهَا الصَّغِيرَةِ: إِنَّ أَبَانَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ ليدخل علينا كَعَادَةِ كُلِّ النَّاسِ. فَتَعَالَيْ نَسْقِيهِ خَمْراً وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ فَلاَ تَنْقَطِعُ ذُرِّيَّةُ أَبِينَا. فَسَقَتَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبَاهُمَا خَمْراً، وَأَقْبَلَتْ الابْنَةُ الْكُبْرَى وَضَاجَعَتْ أَبَاهَا فَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا .وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَالَتْ الابْنَةُ الْبِكْرُ لأُخْتِهَا الصَّغِيرَةِ : إِنِّي قَد اضْطَجَعْتُ مَعَ أَبِي لَيْلَةَ أَمْسِ، فَتَعَالَيْ نَسْقِيهِ اللَّيْلَةَ أَيْضاً خَمْراً ثُمَّ ادْخُلِي وَاضْطَجِعِي مَعَهُ فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضاً وَأَقْبَلَتْ الابْنَةُ الصَّغِيرَةُ وَضَاجَعَتْ أَبَاهَا. فَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا .وَهَكَذَا حَمَلَتْ الابْنَتَانِ كِلْتَاهُمَا مِنْ أَبِيهِمَا. سفر التكوين، إصحاح ١٩ فقرات ٣٠ : ٣٨ . وهذا افتراء شنيع على لوط عليه السلام وابنتيه لأنه كما أورد القرآن الكريم خرج هروباً من الفاحشة التي انتشرت في قومه.

[٣٨٨]– والنص كما في الكتاب المقدس: فَقِيلَ لِثَامَارَ: «هُوَذَا حَمُوكِ قَادِمٌ لِتِمْنَةَ لِجَزِّ غَنَمِهِ». فَنَزَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَبَرْقَعَتْ وَتَلَفَّعَتْ وَجَلَسَتْ عِنْدَ مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، فَعِنْدَمَا رَآهَا يَهُوذَا ظَنَّهَا زَانِيَةً لأَنَّهَا كَانَتْ مُحَجَّبَةً، فَمَالَ نَحْوَهَا إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هاتي أدخل عليك ». وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تُعَاشِرَنِي؟» فَقَالَ:» أَبْعَثُ إِلَيْكِ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْقَطِيعِ». فَقَالَتْ: «أَتُعْطِينِي رَهْناً حَتَّى تَبْعَثَ بِهِ؟» فَسَأَلَهَا: «أَيُّ رَهْنٍ أُعْطِيكِ؟» فَأَجَابَتْهُ: «خَاتَمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ». فَأَعْطَاهَا مَا طَلَبَتْ، وَعَاشَرَهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ. ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ، وَخَلَعَتْ بُرْقُعَهَا وَارْتَدَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا.وَعِنْدَمَا أَرْسَلَ الْجَدْيَ مَعَ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَمِيِّ لِيَسْتَرِدَّ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ فَلَمْ يَجِدْهَا. فَسَأَلَ أَهْلَ الْمَكَانِ: «أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَى الطَّرِيقِ فِي عَيْنَايِمَ؟» فَقَالُوا: «لَمْ تَكُنْ فِي هَذَا الْمَكَانِ زَانِيَةٌ»، وَبَعْدَ مُضِيِّ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ قِيلَ لِيَهُوذَا: «ثَامَارُ كَنَّتُكَ زَنَتْ، وَحَبِلَتْ مِنْ زِنَاهَا. سفر التكوين: ٣٨ (١ : ٣٠).

أن عير وأونان – النبيين – يرتكبان الخطايا، وهؤلاء يصبحون فيما بعد أجداداً وأمهات أجداد ابن الله الوحيد، وفى (نشيد الأنشاد لسليمان عليه السلام)[389] به غزل تسمع صراخ الشهوة في ثناياه، ونداء الرغبة المجنونة إلى الضم والتقبيل، وأشياء أخرى"[390]!!

"وقد حملت هذه القصص والنصوص الأديب/ «جورج برناردشو» إلى وصف الكتاب المقدس بأنه من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض، فقال: احفظوه في خزانة مغلقة بالمفتاح، احفظوه بعيداً عن متناول الأطفال.

وقد علقت جريدة (الحقيقة المجردة) على هذه القصص بقولها: إن قراءة الكتاب

---

[389]– وهذه مقتطفات من نشيد الأنشاد كما في الكتاب المقدس:

(الْمَحْبُوبَةُ): طُوَالَ اللَّيْلِ عَلَى مَضْجَعِي طَلَبْتُ بِشَوْقٍ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، فَمَا وَجَدْتُهُ. ٢سَأَنْهَضُ الآنَ أَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ وَأَتَجَوَّلُ فِي شَوَارِعِهَا وَسَاحَاتِهَا، أَلْتَمِسُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. وَهَكَذَا رُحْتُ أَلْتَمِسُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. ٣وَعَثَرَ عَلَيَّ الْحُرَّاسُ الْمُتَجَوِّلُونَ فِي الْمَدِينَةِ، فَسَأَلْتُ: أَشَاهَدْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟ ٤وَمَا كِدْتُ أَتَجَاوَزُهُمْ حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. فَتَشَبَّثْتُ بِهِ وَلَمْ أُطْلِقْهُ حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْتَ أُمِّي وَمُخْدَعَ مَنْ حَمَلَتْ بِي. ٥استَحْلِفُكُنَّ يَابَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِظِبَاءِ الصَّحْرَاءِ وَأَيَائِلِهَا أَلاَّ تُوقِظْنَ أَوْ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ. نشيد الأنشاد: ٣ (١: ٥).

وجاء فيه أيضا:(الْمُحِبُّ): لَشَدَّ مَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَاحَبِيبَتِي. لَشَدَّ مَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ! عَيْنَاكِ مِنْ وَرَاءِ نَقَابِكِ كَحَمَامَتَيْنِ، وَشَعْرُكِ لِسَوَادِهِ كَقَطِيعِ مِعْزٍ مُنْحَدِرٍ مِنْ جَبَلِ جِلْعَادَ. ٢أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ مَجْزُوزٍ خَارِجٍ مِنَ الاغْتِسَالِ، كُلٌّ وَاحِدَةٍ ذَاتُ تَوْأَمٍ، وَمَا فِيهَا عَقِيمٌ. ٣شَفَتَاكِ كَخَيْطٍ مِنَ الْقِرْمِزِ، وَحَدِيثُ فَمِكِ عَذْبٌ، وَخَدَّاكِ كَفِلْقَتَيْ رُمَّانَةٍ خَلْفَ نَقَابِكِ. ٤عُنُقُكِ مُمَاثِلٌ لِبُرْجِ دَاوُدَ الْمُشَيَّدِ لِيَكُونَ قَلْعَةً لِلسِّلاَحِ، حَيْثُ عُلِّقَ فِيهِ أَلْفُ تُرْسٍ مِنْ تُرُوسِ الْمُحَارِبِينَ الصَّنَادِيدِ. ٥نَهْدَاكِ كَخِشْفَتَيْ ظَبْيَةٍ تَوْأَمَيْنِ يَرْعَيَانِ بَيْنَ السُّوْسَنِ. ٦وَمَا يَكَادُ يَتَنَفَّسُ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمُ الظِّلاَلُ حَتَّى أَنْطَلِقَ إِلَى جَبَلِ الْمُرِّ وَإِلَى تَلِّ اللُّبَانِ. ٧كُلُّكِ جَمِيلَةٌ يَاحَبِيبَتِي وَلاَ عَيْبَ فِيكِ. ٨تَعَالَيْ مَعِي مِنْ لُبْنَانَ يَاعَرُوسِي. تَعَالَيْ مَعِي مِنْ لُبْنَانَ! انظري مِنْ قِمَّةِ جَبَلِ أَمَانَةَ، مِنْ رَأْسِ سَنِيرَ وَحَرْمُونَ، فِي عَرِينِ الأُسُودِ، مِنْ جِبَالِ النُّمُورِ. ٩قَدْ سَلَبْتِ قَلْبِي، يا أختي يا عروسي! قَدْ سَلَبْتِ قَلْبِي بِنَظْرَةِ عَيْنَيْكِ وَقِلاَدَةِ عُنُقِكِ. ١٠مَا أَعْذَبَ حُبَّكِ يا أختي يا عروسي! لَكَمْ حُبُّكِ أَلَذُّ مِنَ الْخَمْرِ، وَأَرِيجُ أَطْيَابِكِ أَزْكَى مِنْ كُلِّ الْعُطُورِ. ١١شَفَتَاكِ تَقْطُرَانِ شَهْداً أَيَّتُهَا الْعَرُوسُ، وَتَحْتَ لِسَانِكِ عَسَلٌ وَلَبَنٌ، وَرَائِحَةُ ثِيَابِكِ كَشَذَى لُبْنَانَ. ١٢أَنْتِ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ يا أختي الْعَرُوسَ. أَنْتِ عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ وَيَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ! ١٣أَغْرَاسُكِ فِرْدَوْسُ رُمَّانٍ مَعَ خِيرَةِ الأَثْمَارِ وَالْحِنَّاءِ وَالنَّارِدِينِ. ١٤نَارِدِينٌ وَزَعْفَرَانٌ، قَصَبُ الذَّرِيرَةِ وَقِرْفَةٍ مَعَ كُلِّ أَصْنَافِ اللُّبَانِ وَالْمُرِّ وَالْعُودِ مَعَ أَفْخَرِ الْعُطُورِ. ١٥أَنْتِ يَنْبُوعُ جَنَّاتٍ وَبِئْرُ مِيَاهٍ حَيَّةٍ وَجَدَاوِلُ دَافِقَةٌ مِنْ لُبْنَانَ. نشيد الأنشاد: ٤ (١: ١٦). ويعلق على ذلك الشيخ محمد الغزالي قائلاً: إن كاتب هذه الكلمات يحتاج إلى من يؤدبه ويوقظه من سَكْرَة اللذة التي استولت عليه، ويعرفه كيف يؤمن بالله الواحد، وكيف يستعد للقائه بالعمل الصالح. صيحة تحذير من دعاة التنصير، ص٥٠.

[390]– صيحة تحذير من دعاة التنصير، محمد الغزالي، ص٤٩، مرجع سابق.

المقدس إذا لم يهذب وينقح قد تعتبره الرقابة صالحاً للكبار فقط لمن جاوزوا الثامنة عشرة من العمر"[٣٩١].

ويقول «محمد الغزالي»:

"وإننا نجزم أن الذين صنعوا الحضارة الحديثة التي تسود العالم بكشوفها العلمية الرائعة وما زالوا يحملون لواءها هم رجال من طراز «برناردشو»"[٣٩٢]

فهذه هي الخلفية الرئيسية فيما نراه اليوم من كِتابات وفلسفات وقصص مترجمة عن بعض كُتاب المجتمع الغربي.

ولما كان هدف المنصرين هدم الأخلاق الإسلامية، "فقد عمدت الكنيسة في السنوات الأخيرة إلى القيام بنشاط ضخم في مجال التبشير وتوزيع المطبوعات وإقامة معارض الكتب المسيحية وبأسعار رمزية في الجامعات وعلى البواخر التي تقوم برحلات نيلية، كما عمدت إلى تجنيد أعداد كبيرة من أبناء المناطق المختلفة، ويقوم هذا النفر بتوزيع هذه الكتب أحياناً بالمجان التي منها أدب الأطفال والقصص وقصص الأنبياء كما وردت في أناجيلهم بالإضافة إلى الكتب الفكرية التي تحارب الإسلام وتشكك في عقائده وتسب النبي ﷺ"[٣٩٣].

و أن المنصرين يحرصون كل الحرص على أن يتولى كتابة الموضوعات التي تسئ للإسلام، أو ترجمتها أشخاص وطنيون لا منصرون أجانب أو أشخاص صبئوا إلى النصرانية حديثاً، لأن هؤلاء يكونون أقدر على فهم عقلية جماهيرهم، وعلى عرض تلك الموضوعات على شكل يقرب من فهم تلك الجماهير، كما أنهم يكونون في مأمن من

---

[٣٩١]- التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، عبد العزيز الكحلوت، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – ليبيا، ط الثانية ١٩٩٢، ص٦١ – ٦٢. نقلاً عن: هل الكتاب المقدس كلام الله؟، أحمد ديدات، ص٦٢ – ٦٣.

[٣٩٢]- صيحة تحذير من دعاة التنصير، محمد الغزالي، ص١٤، مرجع سابق.

[٣٩٣]- حقيقة الاستشراق وخطورة التبشير، د. محمد محمد عبد العال الحناوي ، ص٤٥ – ٤٦، مرجع سابق.

النقد والتجريح.

فيقول المنصر/ «ريموند جويس»: "وتوجد مشكلة أخرى هي ندرة الكُتاب الوطنيين أو المغتربين الأكفاء والمهتمين بدرجة كافية بالكتابة بصورة مؤَثِّرة للمسلمين. وربما كان هذا القول مضللاً لأنه يوجد عدد متزايد من الحالات الاستثنائية"[٣٩٤].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فالعمل التنصيري الظاهر فيه الوجه الاستعماري يحاول وكما يقول «إبراهيم خليل أحمد»:

"أن يسير في أي قطر متأثرًا بالناحية السياسة تأثراً كبيراً ففي البلاد المتمتعة بحريتها أو استقلالها يسير العمل التبشيري في أسلوب الدهاء باستخدام تلاميذ المبشرين والمستشرقين من الوطنيين حتى لا يصطدموا بقوانين البلاد، فيكرهوا على الرحيل الفوري"[٣٩٥].

ولكن في رأي هيهات أن يكتب لهؤلاء الكُتاب الذين اجتذبهم المنصرون النجاح بسبب أن معظم هؤلاء الأشخاص قد أصبحت نفوسهم حائرة مفتقرة إلى العقيدة الثابتة واليقين الراسخ، وحتما سينطبع هذا على إفرازهم فيأتي بدوره حائراً مضطرباً وضالاً. ويمكننا أن نأخذ مثالا على ذلك «عمر الخيام» في مجال الأدب، فهذا الأخير تصور الكون كتاباً لا ينفذ العلم البشري إلى واحد من سطوره، وغيباً مجهولاً يطرقه الإنسان دون جدوى، فكيف كان شعره!! وكيف كان تفاعله مع الذات والموضوع!! وماذا أضافت تجربته لروح الأدب الإنساني؟ لقد جاء شعره موغلاً في الضياع والعبث والسلبية، ولأجل التخفيف من الألم والتساؤل انغمس في اللذة بأشكالها وصنوفها جميعاً"[٣٩٦].

٣٩٤- التنصير خطة لغزو العالم، بحث بعنوان: الوضع الحالي للمطبوعات ووسائل الإعلام الأخرى الموجهة للمسلمين، ريموند جويس، ص٥٢٠.

٣٩٥- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد ، ص٥٢، مرجع سابق.

٣٩٦- حضور الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، الأمة، عدد٦٦، سنة٦، فبراير١٩٨٦، ص٤٧ – ٤٨.

وللأسف فإن كثيراً ممن كنا نعدهم أعلاماً للأدب العربي الحديث أصبحنا بعد أن انكشف زيفهم نتحرج من ذكر اسمهم أو الاستشهاد بهم لئلا نتهم في ديننا بعد أن انكشفوا على الساحة الإسلامية، والسبب في ذلك من وجهة نظري هو ما ذهبنا إليه من كون البعض منهم يروجون أفكارا تنصيرية.

"فإذا كان المنشئ لأدب المجون قد رضي لنفسه أن يهبط إلى حضيض القوادين الذين يزينون الفحش، والمطاردين الذين يروجون الحشيش، فإنه ما زال عند القارئ كرامة يقويها الدين القويم والحس اللطيف والطبع الشريف ليتنزه عن سماع الهجر ورؤية المنكر"[٣٩٧]، ووجهة النظر الإسلامية في هذا النوع من الفلسفات واضحه وهي الرفض، ولا يمكن قبول رأى الذين يرون أن هذه المذاهب حيادية أو يمكن الانتفاع بها في الشكل دون المضمون[٣٩٨].

والسبب في ذلك يوضحه «محمد قطب» بقوله: "إن القصة فيها سحر يسحر النفوس: أي سحر هو وكيف يؤثر على النفوس؟ لا يدري أحد على وجه التحديد! أهو انبعاث الخيال يتابع مشاهد القصة ويتعقبها من موقف إلى موقف، ومن تصرف إلى شعور؟ أهو المشاركة الوجدانية لأشخاص القصة وما تثيره في النفس من مشاعر تتفجر وتفيض؟ أهو انفعال النفس بالمواقف حتى يتخيل الإنسان نفسه داخل الحوادث، أياً كان الأمر فسحر القصة قديم قدم البشرية، وسيظل معها حياتها كلها على الأرض لا يزول"[٣٩٩].

ولذلك فإنه يخرج من مجال الفن الإنساني "كل القصص الجنسية التي لا تهدف إلى

---

[٣٩٧]- انظر: أدب اللذة وأدب المجون، أحمد حسن الزيات، الرسالة، عدد٨٨٤، سنة١٨، ١٢يونية ١٩٥٠، ص٦٥٢ بتصرف.

[٣٩٨]- نظرية الأدب الإسلامي، أنور الجندي، عدد٨، سنة١١، إبريل١٩٨٦، ص٧١.

[٣٩٩]- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، جـ١، ص١٩٢- ١٩٣.

شئ سوى إثارة الغريزة، التي تصور الحياة كلها كأنها لحظة جنس مسعور فليس ذلك حقيقة، وكذلك كل القصص التي تزين الفاحشة أية فاحشة: نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو خلقية وتبينها في صورة جميلة فليس ذلك حقيقة، وأيضا كل القصص التي تعرض نقائص الإنسان في صورة علمية باهرة على أنها هي وحدها حقيقة الإنسان! الأصيلة العميقة فليس ذلك حقيقة، وكل القصص التي تقلب القيم فتصور انتصار الشر على الخير على أنه سنة كونية فليس ذلك حقيقة"[٤٠٠].

ومما يتصل بالتنصير الفني وإن لم يكن من صميم الفن الروائي ما يقوم به بعض الزائرين لبلاد الإسلام من عشاق الرحلات حين يكتبون مذكرات متصلة عن مشاهدتهم المتعددة في أسلوب أدبي شائق، فإن أكثرهم يرى بعض مناظر النقص الخلقي مما ينكره الإسلام ويدعو إلى استئصاله، ويعاقب عليه أشد العقاب، ولكنه يدون ما يراه في هذا المنحى على أنه صدى حقيقي لتعاليم الإسلام، واذكر على سبيل المثال ما ذكره الرحالة/ «جيمز موير» في كتابه (حاجي بابا) فإن ما ذكره من الغرائب المنكرة عن بعض من ينتسبون إلى الإسلام قد ساقه مساق الحقائق المؤكدة، وهكذا أصبح جيمز موير من أعلام التنصير، شاء أم لم يشأ، وكم له من أمثال!

لقد كَلَّتْ الأقلام من التحذير غاية التحذير من بحوث الاستشراق، وها نحن أولاء نلفت الأنظار إلى ما ينحو منحى هذه البحوث المغرضة من قصص الفن وأدب الرحلات[٤٠١].

وبذلك "فإن الحركة التنصيرية تضع الأدب وفنونه في المكان الصحيح فهي تخطط له وترصد له الإمكانات المادية الكافية، وتهتم بترجمته إلى العديد من اللغات حتى يؤتي أُكُلَه في كثير من مناطق العالم، وتتكفل بحملات إعلان عنه، وتوعز إلى النقاد بتناوله بالتقييم والتقديم، وترصد له الجوائز العالمية الكبيرة، وتجعل منه مصدراً لأعمال

---

[٤٠٠]- منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص١٥٧.

[٤٠١]- القصص التبشيري، أ.د/ محمد رجب البيومي، منار الإسلام، عدده، سنة١٧، نوفمبر١٩٩١، ص١٧.

سينمائية وتلفزيونية ومسرحية، وتستنهض همم كبار الكُتاب للمشاركة فيه وتنعم عليهم بأرفع الأوسمة، وتعرضه بأسعار رمزية وبشتى الوسائل"[٤٠٢].

٢- الصحافــة.

"الصحافة لا توجه الرأي العام فقط أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه، بل هي تخلق الرأي العام"[٤٠٣]، "ولقد قام المبشرون باستغلال الصحافة بشكل واسع"[٤٠٤]، ويقرر ذلك المنصر/ «جب» بقوله: "إن الصحافة هي أقوى أدوات الدول الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي"[٤٠٥].

"ولقد بدأ الاهتمام بالكلمة المنشورة في المنطقة العربية منذ عام ١٨٢٢م، إذ اتخذ الأمريكيون من جزيرة مالطة قاعدة لنشاطهم في الشرق الأوسط، وأسسوا فيها مطبعة تعنى بنشر الكتب والكراسات للتبشير بدين المسيح عليه السلام حسب المذهب البروتستانتي... ثم نقل القسم العربي إلى بيروت عام ١٨٣٤وأسس الكاثوليك بعد ذلك مطبعة في بيروت ليواجهوا منافسيهم البروتستانت منشورات بمنشورات... فالكلمة المنشورة في الوطن العربي بدأت تبشيرية دينية، ثم توسعت اهتماماتها وشملت الجوانب الإجتماعية والسياسية"[٤٠٦].

ولأهمية الصحافة "كانت الاتحادات الدولية للصحافيين والإعلاميين. التي ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية، ومن هذه الاتحادات، الاتحاد الدولي للصحافة (أوسيب **ucip**)، الذي تأسس في بروكسل عام ١٩٢٧م باسم (المكتب الدولي للصحافيين الكاثوليك) قبل أن يتخذ اسمه الحالي عام ١٩٦٥م. ويضم هذا الاتحاد (أوسيب) أربعة

---

[٤٠٢]- الأدب التنصيري، د. نجيب الكيلاني، الأمة، عدد٤٦، سنة٤، يولية ١٩٨٤.

[٤٠٣]- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص٢٠٧، مرجع سابق. نقلاً عن: **c f.Cash ٨٩**

[٤٠٤]- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص١٦٧، مرجع سابق.

[٤٠٥]- التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص١٠٢، مرجع سابق.

[٤٠٦]- عصر النهضة بين الحقيقة والوهم، ص١٤٤ بتصرف، نقلا عن: الفكر التربوي العربي الحديث، سعيد إسماعيل، ص٥١.

اتحادات فرعية هي:

- الاتحاد الدولي لوكالات الأنباء الكاثوليكية (fiac - ١٩٥٤م)، المتكون من (١٥) وكالة فرعية.
- الجمعية الكاثوليكية الدولية للمدرسين والباحثين العلميين والتقنيين الإعلاميين (ACIESTI – ١٩٦٨م)، التي تملك (٣٥) مدرسة صحافية.
- الاتحاد الدولي لجمعيات الكنيسة (FIAPE – ١٩٧٤م).
- اتحاد الصحافيين والصحف اليومية والدورية الكاثوليكية.

وتتلخص أهمية (أوسيب) في كونه المرجع المسيحي العالمي للعمل الإعلامي والصحفي لتطوير الإعلام المسيحي والدفاع عن حقوق الإعلام وحرية الرأي والنزاهة في نقل الخبر في الأوساط الإعلامية العالمية وضمن الكنيسة نفسها، وذلك بوحي من الأخلاق المسيحية"[٤٠٧].

ثالثا: الوسائل السمعية: الإذاعة.

"لقد أصبحت الإذاعة –في العصر الحديث– سلاحاً قوياً لمن يجيد استخدامه، لتكوين الرأي العام والتأثير عليه بصرف النظر عن الحواجز الجغرافية والزمنية، فالإذاعة تصل لكافة طبقات الشعوب من مثقفين وعمال وفلاحين وبسطاء وأيضا الكبار والصغار على السواء"[٤٠٨].

وإن المنصرين قد أدركوا أهمية الإذاعات في الوصول إلى أسماع العالم. فيقول المنصر/ «فريد د. أكورود»: "يبدو أن الإذاعة اليوم هي إحدى الوسائل الرئيسية التي يمكن بواسطتها الوصول إلى المسلمين في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا المغلقة، حيث أن الإذاعة يمكنها كما نعلم أن تخترق الحواجز الحدودية وأن تعبر البحار وتقفز الصحاري وأن تنفذ إلى مجتمعات المسلمين المغلقة والذين لم تسنح الفرصة لأغلبيتهم

---

[٤٠٧]- الفكر المسيحي، المنظمات الكاثوليكية في العالم، ص١٤، مرجع سابق.

[٤٠٨]- الرأي العام مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، د. سعيد سراج، ص١٧٥.

لأن تسمع عن رحمة التخليص التي أودعها الرب في يسوع المسيح"[409].

فأنشأ المنصرون الإذاعات الخاصة بالتنصير، التي تبث إلى مختلف البلاد العربية والإسلامية وهي "أكثر من خمس وثلاثين محطة إذاعة منتشرة حول العالم، ومنها إذاعة الفاتيكان التي تبث إرسالها بأكثر من سبع وأربعين لغة، أربع وثلاثون أساسية، وثلاث عشرة لغة تستخدم في مناسبات خاصة، ويزيد عدد الساعات المبثوثة باللغة العربية على ألف وخمسمائة ساعة في الأسبوع، أي ما يقرب من ثمانين ألف ساعة في السنة"[410]، "وإذاعة مونت كارلو، التي يبدو أنها بعد أن تأكدت من نجاحها في جذب وكسب عدد كبير من المستمعين العرب والمسلمين، أخذت تكشف عن هويتها الكنسية وحقيقتها التبشيرية، فهي لم تكتف بما تقدمه من خلال أخبارها المسمومة الموجهة لضرب الإسلام وإضعافه، بل ذهبت إلى تقديم برامج تبشيرية صريحة، تُعَدّ في الكنيسة وتقدم من خلال الإذاعة، وبرنامج (مدرسة الإذاعة الكتابية) أوضح دليل على ذلك، ويهدف البرنامج إلى مساعدة الطلاب المنتسبين إلى المدرسة على دراسة حياة يسوع المسيح وتعليم الكتاب المقدس، ويذاع البرنامج، على مدار ثلاثين دقيقة يومياً ما عدا الأحد، ويقدم في نهاية كل برنامج عنوان كتاب هدية للمستمعين لكل طالب منتسب، وترسل المحاضرات أو الدروس مكتوبة بأي لغة يختارها وتجدر الإشارة إلى أنه لا توجد رسوم تسجيل أو أي رسوم أخرى، كل شيء مجاناً"[411].

"فلم يكتف المنصرون بنشر برامجهم عبر محطات الإذاعة في دولهم وما أكثرها- (حيث يوجد في الولايات المتحدة، الدولة العلمانية التي ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة (١٤٠٠) محطة دينية يعمل فيها (٨٠ ألف) قسيس إنجيلي، أكثريتهم الساحقة من أتباع المدرسة التي تعتبر إسرائيل تجلياً إلهياً وتجسيداً لنعمه من أجل خلاص

---

[409]- التنصير خطة لغزو العالم، بحث بعنوان: الإرسال الإذاعي الموجه إلى المسلمين، فريد د.اكورود، ص٥٦٣.

[410]- الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، د. أكرم شلبي، ص٧١.

[411]- محاولات تنصير المسلمين، التحرير، الأمة، عدد١٥، سنة٢، يناير١٩٨٢، ص٥٩.

بنى البشر)[٤١٢]– فلجأوا إلى محطات الإذاعة في دول آسيا وأفريقيا واستحوذوا على العديد منها شراء أو استئجاراً نظير منافع مادية"[٤١٣].

ومن هذه الإذاعات:

– "إذاعة ساعة الإصلاح التي تبث برامجها من الخرطوم باللغة العربية لتغطي مناطق واسعة من العالم العربي والإسلامي بالإضافة إلى السودان.

– إذاعة المحبة والوفاء من بيروت. – إذاعة المركز المعمداني من بيروت"[٤١٤].

– "وهناك اتحاد إذاعات وسط أفريقيا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا وتذيع بخمس عشرة لغة أفريقية عدا الإنجليزية والفرنسية والعربية"[٤١٥].

وعلى الرغم من كثرة هذه الإذاعات يشكو المنصرون من قلة تأثيرها في المسلمين، فيقول المنصر/ «فريد د. أكور ود»: "إن حوالي ٩٥% من البرامج النصرانية الموجهة إلى المسلمين لا تجد قبولاً لدى أغلبية المستمعين في هذه البلدان"[٤١٦].

---

[٤١٢]– المسيحية الصهيونية في أمريكا، محمد السماك، مجلة الكتب وجهات نظر، عدد٤١، سنة٤، يونية٢٠٠٢، ص٣٠ .

[٤١٣]– محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، د. محمد زين العابدين الطشو، ص١٢٩، مرجع سابق.

[٤١٤]– التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص١٠٧، مرجع سابق.

[٤١٥]– أخطار التبشير في ديار المسلمين، محمد عبد الرحمن عوض، ص٢٢، مرجع سابق.

[٤١٦]– التنصير خطة لغزو العالم، بحث بعنوان: الإرسال الإذاعي الموجه إلى المسلمين، فريد د.اكورود، ص٥٦٥.

المبحث الثاني
المنطلقات السياسيـة

بأن النشاط التنصيري يزداد إلى حد كبير في مختلف بلاد العرب والمسلمين في ظل الأزمات السياسية والاقتصادية والكوارث الطبيعية على أمل الاستفادة من هذه الظروف، فإذا خيمت أية أزمة على قطر منها، أو اضطرب الوضع السياسي فيه أو حَلَّ به القحط والمجاعة، بدأت جموع المنصرين تتوافد إليه، حيث ينشطون في تقديم مختلف أنواع الخدمات إلى أهله محاولين جعل تلك الخدمات أشبه بطعم لاصطيادهم وجذهم للمسيحية.

وهذا ما حدث بالفعل في حرب أمريكا الأخيرة على العراق عام ٢٠٠٣م: فقد "نشرت النيويورك تايمز موضوع (جماعات تبشيرية تنتظر على حدود بغداد)، ونقلته جريدة الأخبار المصرية في عددها الصادر بتاريخ ٦/٤/٢٠٠٣م وجاء فيه:

تقف اثنتان من المنظمات المسيحية البروتستانتية[٤١٧] التي هاجم زعماؤها الدين الإسلامي صراحة من قبل، بين الجماعات التي يطلق عليها جماعات الإغاثة، التي تنتظر على حدود العراق لتقديم مساعدات، ووسائل تبشير إلى دولة العراق التي يدين معظم سكانها بالإسلام.

-ويشير الخبر إلى أن- موقف هذه الجماعات يمثل مشكلة لحكومة الرئيس/ «بوش» التي لا تريد أن تبعد عن العراق الجماعات المسيحية البروتستانتية ولكنها في نفس الوقت لا تريد أن يفهم العالم أن الحرب على العراق حملة صليبية الهدف منها تنصير شعب مسلم"[٤١٨].

٤١٧- هاتين الجماعتين هما: مؤتمر المعمداني الجنوبي، وكنيسة السامري، وهما من اكبر الجماعات المؤيدي لسياسات الرئيس/ «بوش»، حيث أن القائم بإدارتهما هو «فرانكلين جرهام» ابن المبشر البروتستانتي/ «بيلي جرهام»، الذي تلى التعويذات الدينية للرئيس/ «بوش» في حفلة تنصيبه. وقد تطوع منذ بداية حرب أمريكا على العراق وحتى هذا التاريخ حوالي (٨٠٠) منصر لتقديم مساعدات روحية ونفسية للجماعات العراقية.

٤١٨- بين الصحف والمجلات، إعداد محمود الفشني، الأزهر جـ٣، سنة٧٦، مايو٢٠٠٣، ص٤٩٣-٤٩٤.

المطلب الأول

تحريف الدعوة للقومية العربية والوطنية الإقليمية

بداية نقرر حقيقة وردت على لسان «محمد الغزالي» وهى أن: "العناية بوطننا القريب في هذا الوادي، والعناية بوطننا الكبير في أرض العروبة كلها، والعناية بوطننا الأكبر في الدائرة الفسيحة التي تضم المسلمين جميعاً، تلك أصول نتقيد بها ونحن نفكر بعقولنا أو نحس بأفئدتنا، وهي مصادر لا يمكن التقليل من شأنها في تكوين الناشئة الحديثة، وأي تثقيف يتجه لواحد منها فقط فهو خليق بأن نتوجس منه خيفة"[٤١٩].

فكَون الإسلام دين الجماعة ورسالة الأمة، لا يعنى التجاهل ولا الإلغاء لذاتية الفرد أو الأسرة أو القبيلة أو العشيرة أو الشعب، وإنكار ما لهذه الكيانات الجزئية والداخلية من خصوصيات وتمايزات، إنما يعنى توظيف كل هذه الوحدات في إطار البناء الأعم والأشمل، بناء الأمة والجماعة، بحيث يكونوا لبنات متسقة في البنيان الواحد[٤٢٠].

فالوطنية الإقليمية، والقومية العربية، والوحدة الإسلامية من وجهة نظري لآلئ تضيء في حد ذاتها ولكنها لا ينتفع بها ولا يظهر للعيان جمالها إلا إذا تراصت في عُقدٍ واحدٍ، فإذا قام شخص وانتزع منه لؤلؤة أعجبته انفرط العقد فذهب جماله، وأصبح عديم المنفعة، وقليل القيمة.

"ومن هنا فوحدة الأمة الإسلامية لا تصادم أية خصائص يميز بها كل شعب من شعوب الأمة الإسلامية، ما دامت في الإطار المشروع، وما دام الجميع ملتزمين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٤١٩- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، ص٢٨٨.

٤٢٠- انظر: الإسلام والانتماء الوطني والقومي، د. محمد عمارة، منبر الإسلام، عدد٧، سنة٦٠، سبتمبر- أكتوبر٢٠٠١، ص٦٦.

ويؤكد «جمال الدين الأفغاني» على هذه النقطة قائلاً: لا ألتمس بقولي هذا –في الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية– أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما كان عسيراً، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه"[٤٢١].

وبالنظر في تاريخ العرب بصفة خاصة، قبل الإسلام وبعده، علم المنصرون أن الوحدة الإسلامية هي أكبر لؤلؤة في هذا العقد، حيث أن الإسلام هو الذي وحد الدول العربية وغيرها تحت رايته، وبالإسلام بزغت شمس العرب، وللإسلام صار العرب قادة وفاتحين. ومن ثم حاول المنصرون بشتى الطرق والوسائل أن يكسروها، أو على أضعف تقدير أن يوهموا المسلمين بأنه لا قيمة لها، بمحاولة إلقاء الضوء على اللؤلؤتين الأخريتين، حتى يتوهم الناظر أن الوحدة الإسلامية لا قيمة لها ولا فائدة منها، فيقوم بمساعدة المنصرين بانتزاعها فينفرط العقد، ليأتي بعد ذلك الاستعمار الغربي ويسيطر على البلدان العربية والإسلامية، بعد أن رضي أصحابها أن يتخلوا عن سبب عزهم وكرامتهم ومجدهم وحضارهم.

"فالوحدة الإسلامية كما يقول القس/ «سيمون»: هي التي تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التخلص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية"[٤٢٢].

وكان سبيلهم إلى ذلك:

أولاً: الدعوة للقومية العربية.

---

[٤٢١]- هموم الأمة الإسلامية، د. محمود حمدي زقزوق، ص٧٦ – ٧٧.

[٤٢٢]- قادة الغرب يقولون، جلال العالم ، ص٦٨– ٦٩، مرجع سابق.

ثانيا: الدعوة للوطنية الإقليمية.

وهما وإن كانتا دعوتين صحيحتين فإن المنصرين أرادوا من خلالهما فرض السيطرة الاستعمارية الغربية. كما سنبين إن شاء الله.

أولا: القوميـــــة العربيـــة.

"القومية العربية التي أراداها الغرب في أبسط معانيها تعني: أن أبناء اللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم، دون اعتبار للدين الإسلامي وهنا تكمن الخطورة.

"وفكرة القومية نبتت -أولاً- في الغرب، وتمكنت القوة الغربية[٤٢٣] من جذب مجموعة من شباب الإسلام -ومن المسيحية- إليها فأفرغت عقولهم من تعاليم الإسلام، وملأتها بالأفكار الهدامة، بدعوى التقدم"[٤٢٤].

"وظهرت هذه الدعوة للمرة الأولى في العالم العربي على يد (الجمعية السوريـــة عام١٨٤٧م)[٤٢٥]، "وهي جمعية أنشئت بتوجيه وحماية إرساليات التبشير الأمريكي، ثم تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة للقومية العربية"[٤٢٦] في بيروت عام ١٨٧٥م[٤٢٧].

---

[٤٢٣]- وتأكيدا لهذه الفكرة فإن أول مؤتمر للقوميين العرب عقد في باريس بتاريخ ١٨ يونيو ١٩١٣م، وكان نصف أعضائه تقريبا من المسيحيين والنصف الآخر من المسلمين والعجيب في الأمر أن مداولات المؤتمر كانت باللغة الفرنسية. انظر: يقظة العرب، جورج أنطونيوس، ص ١٩١-١٩٢، مرجع سابق.

[٤٢٤]- محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، د. محمد زين العابدين الطشو، ص ٨٣، مرجع سابق.

[٤٢٥]- وهي: جمعية العلوم والفنون. (وقد ذكرها جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب تحت اسم جمعية الآداب والفنون)، التي ضمت في عضويتها نصيف اليازجي وبطرس البستاني و ايلي سميث وكورنيليوس فاندامك والكولونيل الإنجليزي تشرشل وكثيرا من الأمريكيين، حيث بلغ عدد أعضائها خمسين عضوا. وفي عام ١٨٥٠م أسس اليسوعيون جمعية مماثلة باسم: الجمعية الشرقية. وفي عام ١٨٥٧م نشئت الجمعية العلمية السوريا لتحل محل الجمعيتين السابقتين، وهذه الأخيرة اشترك في عضويتها بعض المسلمين والدروز. علامات استفهام حول دعاوي القومية والقوميين، طارق عبد المنعم محمد، منار الإسلام، عدد١٠، سنة٨، يوليو-أغسطس١٩٨٣، ص٢٣. وأيضا: يقظة العرب، جورج أنطونيوس، ص١١٧، مرجع سابق.

[٤٢٦]- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص١٥٣، مرجع سابق.

"وكان للمنصرين الأمريكيين الأثر في انتشار هذه القومية، واعتمد هؤلاء الأمريكيون على اثنين من العرب «نصيف اليازجي» و«بطرس البستاني»، فألفوا كُتباً مدرسية خرجت عدداً من الطلاب، و«اليازجي» نصراني درس علم النفس واشتغل مع رجال الدين الكنسي"[٤٢٨].

"ومن اللافت للانتباه أن المثقفين من المسيحيين الشوام كانوا[٤٢٩] الأسبق في تقديم

---

[٤٢٧]- التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، د. نجاح البياع، ص٣٦، مرجع سابق.

[٤٢٨]- علامات استفهام حول دعاوي القومية والقوميين، طارق عبد المنعم محمد، منار الإسلام، عدد١٠، سنة٨، يوليو-أغسطس١٩٨٣، ص٢١.

[٤٢٩]- حيث بدأت القومية العربية في شكل نهضة أدبية وفكرية عامة في بلاد الشام لا سيما سوريا. وكانت تهدف إلى إحياء اللغة العربية وبعث التراث العربي والوحدة العربية، حتى يتسنى لدعاتها الانفصال عن الدولة العثمانية.وحينما قام السلطان/ عبد الحميد بملاحقتهم في بلاد الشام فتحت بريطانيا أبواب مصر لهم وسمحت لهم بتأسيس الصحف والمجلات التي اهتمت بنشر الفكر القومي والترويج له. كما أخذت تشجع الحركة الطورانية التي ظهرت في تركيا للتحرك ضد السلطان/ عبد الحميد والعمل على إسقاط حكمه. ثم تطورت بعد ذلك لتدخل مرحلة المواجهة المسلحة مع الدولة العثمانية، التي قادها الشريف حسين بن علي الهاشمي عام ١٩١٦م. وخلاصة هذه المرحلة: عندما انحازت الدولة العثمانية لألمانيا في الحرب العالمية الأولى وأعلنت الجهاد ضد الحلفاء، وطالبت كافة المسلمين، لا سيما العرب، بالاستجابة لذلك النداء، ولما كانت بريطانيا تدرك أبعاد هذه الخطوة ومدى خطورتها على مصالحها في البلاد الإسلامية، قامت بمحاولة منها للتخفيف من خطر إعلان الجهاد في البلاد الإسلامية بالتعاون مع الشريف حسين وبعض زعماء القومية العربية الآخرين، لتحقيق هذه الغاية. حيث أشار كتشنر الذي أصبح وزيرا للحربية البريطانية آنذاك لخلفه السير/ ماكمهون مندوب بريطانيا في مصر بمعاودة الاتصال بالشريف حسين، والذي كتب إليه كتشنر شخصيا خطابا في أواخر أكتوبر من عام ١٩١٤م حيث أعطاه وعدا بأنه إذا تحالف مع بريطانيا وانحاز إلى جانبها هو وأتباعه ضد تركيا، فإن الحكومة البريطانية تضمن له بقاءه في منصب شريف مكة مع احتفاظه بجميع حقوق هذا المنصب وامتيازاته، وحمايته من كل اعتداء خارجي، ووعده كذلك بضمان مساعدة بريطانيا للعرب في محاولتهم الرامية إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية. واختتم كتشنر رسالته للشريف بتلميح واضح بإمكانية اعتراف بريطانيا به خليفة للمسلمين في حالة مبايعته بالخلافة، كما تلقى الشريف حسين تشجيعا من مصدر بريطاني آخر هو السير/ ريجنالد ونجت، حاكم عام المستعمرة السودانية. ولقد نجحت بريطانيا في ذلك بحيث امتنع الشريف حسين عن الاستجابة لحركة الجهاد التي دعا إليها السلطان العثماني، ولقد أثار امتناعه غضب الأتراك، فقام الشريف في محاولة منه لتهدئة الأتراك بإرسال ابنه الأمير فيصل إلى الآستانة لعرض وجهة نظره للمسؤولين الأتراك، وكلفه سرا بالاتصال بزعماء الجمعيات القومية في بلاد الشام وهو في طريقه إلى الآستانة، وبالفعل وصل الأمير/ فيصل إلى دمشق في أواخر مارس من عام ١٩١٥م، والتقى هناك برواد القومية العربية حيث تمخضت اجتماعاتهم عن برتوكول دمشق، الذي يتلخص في البنود الآتية: ١- اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من جبال طوروس شمالا حتى المحيط الهندي جنوبا باستثناء عدن، التي كانت واقعة تحت الحماية البريطانية. ٢- إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية في البلاد العربية. ٣- عقد تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة. ٤- منح بريطانيا الأفضلية في المعاملات الاقتصادية. وطلب المجتمعون من الأمير/ فيصل عرض هذا الميثاق على والده كأساس للعمل المشترك مع بريطانيا.

وفي تلك الأثناء تبادل الشريف حسين والسير/ هنري ماكمهون رسائلهما التسع المشهورة التي عرفت بمراسلات حسين – ماكمهون (يوليو ١٩١٥: مارس ١٩١٦م). التي كان يسميها الشريف حسين مقررات النهضة. لتضمنها الأسس التي قامت عليها الثورة العربية. وتعتبر المذكرة الأولى التي بعث بها الحسين إلى ماكمهون، من أهم تلك المراسلات –حيث أنها شكلت الأساس الذي قامت عليه المكاتبات والمفاوضات بين الطرفين–. وبنيت المذكرة على بروتوكول دمشق مع إضافة شرط خاص بالخلافة ينص على أنه إذا بويع الحسين بالخلافة، فإن على بريطانيا أن تعترف به.

ويمكن تلخيص رد السير/ ماكمهون المتحدث باسم حكومة بريطانيا بأن بريطانيا تتعهد بالاعتراف باستقلال العرب في المنطقة التي حددها الشريف حسين باستثناء ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية من ولايات دمشق وحمص وحماة وحلب، التي لا يمكن أن يقال أنها عربية خالصة –على حد تعبيره، بسبب وجود طوائف نصرانية بها ذات أغلبية نسبية–. وأوضح أنه بهذا التعديل وبدون الإخلال بالمعاهدات المعقودة بين بريطانيا وبعض رؤساء العرب، وعدم المساس بمصالح حليفتهم فرنسا، فإنه مفوض من قبل الحكومة البريطانية بالاعتراف باستقلال العرب وتأييد هذا الاستقلال في جميع الحدود التي اقترحها شريف مكة، وضمان حماية الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي، ومساعدتها للعرب، عندما تسمح الظروف، بإيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة، مع التأكيد للعرب بضرورة الاعتراف بأن لبريطانيا مصالح خاصة في ولايتي بغداد والبصرة تقتضيان منها اتخاذ تدابير إدارية خاصة لحمايتها من أي اعتداء أجنبي، وحماية المصالح الاقتصادية المشتركة. ووافق الحسين على استثناء مرسين واسكندرونة. ولكنه رفض الموافقة على استثناء المناطق الواقعة غرب دمشق وحمص وحماه وحلب، معللا ذلك بأنه لا فرق بين العربي المسلم والمسيحي لأنهما أبناء وطن واحد.

واستمرت المراسلات بين الطرفين، دون الوصول إلى أي اتفاق حاسم إذ ظل هذا الأخير يكرر طلباته وظل ماكمهون متمسكا على بعضها.

وبالرغم من عدم حسم المباحثات الدائرة بين الطرفين حول الدولة العربية المستقلة وحدودها النهائية، فقد أعلن الشريف حسين ثورته على الأتراك في يونيو عام ١٩١٦م في مكة. وأصدر بيانا مطولا دعا فيه العرب إلى شد أزر الثورة العربية التي وصفها بأنها واجب ديني وقومي وفرصة قيضها الله للعرب لتحقيق الاستقلال. ودخل بجيشه الذي كان على قيادته ابنيه الأمير/ عبد الله والأمير/ فيصل مع الحلفاء. وأحدثت تحركات جيش الثورة وجيوش الحلفاء ارتباكا في صفوف القيادة التركية والألمانية في الشام. واستطاعت جيوش الحلفاء بقيادة اللنبي أن تدخل القدس في ديسمبر عام ١٩١٧م –ومما يذكر أن اللنبي حينما دخل القدس ذهب إلى قبر صلاح الدين وخاطبه قائلا قولته التي عرفت عنه وعرف منها أن الحروب الصليبية والحقد الصليبي ما زال كامنا في صدور نفر من الغرب هاقد عدنا يا صلاح الدين–.

وما أن أيقنت بريطانيا من نجاح مخططها في القضاء على الوحدة الإسلامية حتى واصلت سعيها للقضاء على الوحدة العربية التي رأت فيها خطرا يهدد مصالحها الاستعمارية في المستقبل. وأخذت تتصل بحليفتيها فرنسا وروسيا للتفاوض بغرض تجزئة وتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بما فيها البلاد العربية. وبدأت المفاوضات سرا في لندن بين بريطانيا ويمثلها مارك سايكس –خبير بريطاني في شؤون الشرق الأوسط–، وبين فرنسا ويمثلها نظيره الفرنسي جورج بيكو في مارس عام ١٩١٦م. التي تتلخص أهم بنودها في الآتي: ١– حصول روسيا على القسطنطينية والأراضي الواقعة على جانبي البسفور وجزء كبير من شرق الأناضول يضم أربعة ولايات كاملة بجوار الحدود الروسية – التركية. ٢– حصول فرنسا على معظم بلاد الشام ومنطقة الموصل في العراق. ٣– حصول بريطانيا على الجزء الجنوبي من سوريا والعراق، وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا. ٤– وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية.

وظلت اتفاقية سايكس – بيكو سرا مغلقا، ولم يعلم الشريف حسين ولا زعماء القومية العربية إلا في أواخر عام ١٩١٧م بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا. فحتى يدعموا حركتهم ويبينوا للعالم فساد حكومة القيصر السابقة وخداعها للشعوب وخاصة حلفاءها العرب، قام البلاشفة بنشر نصوص بعض الاتفاقات السرية التي عثروا عليها في سجلات وزارة الخارجية الروسية ومنها هذه الاتفاقية. وبادر الأتراك

الإسهامات الأولى للفكر القومي العربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومنهم «بطرس» و«سليم البستاني» و«إبراهيم» و«نصيف اليازجي»[٤٣٠].

وقد لفت هذا الأمر نظر «محمد محمود الصواف»، فتساءل قائلا: "هل يا ترى جاءت هذه الموافقة من قبيل الصدفة؟ وهى أن تجد غالبية زعماء هذه الدعوة من غير

بالاتصال بالشريف حسين ليكشفوا له خداع الإنجليز ويعدوه بمنح العرب الحكم الذاتي إن عاد إلى ولاية الدولة العثمانية. فأرسل الشريف حسين نسخة من هذه الرسالة إلى المندوب البريطاني في القاهرة طالبا منه توضيح الأمر. فأحال الأخير الأمر برمته إلى الحكومة البريطانية، التي بدورها أكدت له بأنها وحلفاءها مصممون على الوقوف إلى جانب الشعوب العربية في سبيل نيل استقلالها عن الدولة العثمانية. وادعت بأن ما نشره البلاشفه ليس اتفاقا نهائيا بل محاورات ومحادثات مؤقتة في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الأتراك. مؤكدين له أن الخطاب الذي وصله من الأتراك ما هو إلا خدعة منهم. وتقبل الشريف حسين الموقف واقتنع بتلك التبريرات واستمر في مجاراته للسياسة البريطانية. ولكن غدر بريطانيا لم يقف عند هذا الحد إذ إنها أصدرت في نوفمبر عام ١٩١٧م، تصريح بلفور، الذي وعدت فيه الصهاينة بتحقيق أمانيهم القومية في بناء وطن قومي لليهود في فلسطين. فبادر الشريف حسين بإرسال طلب يستفسر فيه عن معنى هذا الوعد ومداه. فما كان من بريطانيا فإن قامت بإرسال اللورد/ هوجارث –رئيس المكتب العربي بالقاهرة– إليه ليطمئنه على حسن نوايا بريطانيا تجاه العرب، موضحا له بأن الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحا به إلا بقدر ما يتفق ذلك مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية. ويعلق على ذلك حلمي محروس بقوله: ولكن بريطانيا خدعت الشريف حسين وزعماء العرب، عندما طمأنتهم بأن توطين اليهود في فلسطين لن يتعارض مع استقلالهم العربي بها. ولم يكتف الشريف حسين بموافقته على ذلك. بل أرسل إلى أتباعه في مصر وإلى قواته المشتركة في القتال يحثهم على الاستمرار في الثقة بوعود بريطانيا، والعمل على التقليل من المخاوف التي أثارها تصريح بلفور بين العرب، ولفت نظر الشعب الفلسطيني بأن كتبهم المقدسة وتقاليدهم توصيهم بواجبات الضيافة والتسامح والكرم، وحثهم على الترحيب باليهود والتعاون معهم من أجل الصالح المشترك.

وانتصر الحلفاء في الحرب، وابتهج العرب وقادة الثورة العربية بذلك الانتصار حيث قاموا بالدور المطلوب منهم على أتم وجه، واتجهت أنظارهم إلى الحلفاء عامة وبريطانيا العظمى خاصة لتحقيق الوعود التي دخل العرب بمقتضاها الحرب. ولكن اتضح للعرب أن اتفاقية سايكس – بيكو لم تكن خدعة ابتدعها الأتراك، وإنما هي اتفاقية دولية بين الحلفاء حيث تم تنفيذها بعد هزيمة الدولة العثمانية. ولم تكتف الدول الاستعمارية باقتطاع البلاد العربية الإسلامية من صلب دولة الخلافة الإسلامية وتوزيعها إلى مناطق نفوذ لها بل قسمتها إلى كيانات إقليمية قومية صغيرة وغرست في وسطها الحركة الصهيونية التي تشكل أكبر التحديات التي تجابه الأمة العربية والإسلامية في وقتها الحاضر. وهكذا دفع الثوار العرب الثمن غاليا بتعاونهم مع النصارى ضد الأتراك إخوانهم في الإسلام، وتخلصوا من سيد مسلم ليجدوا أنفسهم تحت قبضة أسياد نصارى يحقدون على العرب والإسلام والمسلمين. انظر: يقظة العرب، جورج أنطونيوس، ص٢٢٠: ٤٢٨، مرجع سابق. وأيضا: انظر: تاريخ العرب الحديث (١٧٩٨– ١٩٢٠م): دراسة في التنافس الأوروبي الاستعماري على البلاد العربية، د. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، صص ٣٥٥، ٣٨٤. وأيضا: تاريخ العرب الحديث: من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، د. حلمي محروس إسماعيل، ص٤٧٧: ٥٥٤. وأيضا: حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، محمود صالح منسي.

[٤٣٠]– الإنجيليون والعمل القومي، أديب نجيب سلامه، ص٣٩.

المسلمين، وهم يدعون إليها المسلمين، وفى بلاد الإسلام ومجد الإسلام، وبلاد الخلافة الإسلامية العباسية والأموية وغيرها، فزعيم حزب البعث العربي الاشتراكي «ميشيل عفلق» وهو غير مسلم، وزعيم حزب القوميين السوريين «أنطون سعاده» وهو غير مسلم، وزعيم القوميين العرب «جورج حبش» وهو غير مسلم، و«قسطنطين زريق» زعيم فريق آخر من القوميين وهو غير مسلم أيضا"[٤٣١]، وإنه لمن المؤلم حقاً أن يطاع دعاة القومية، وجلهم من المسيحيين الذين يحملون الكيد للإسلام، ويصنعون الخطط لسحق المسلمين ويعملون جهدهم لإيقاع العداوة بين صفوفهم والله ﷻ يحذرنا من أن نستجيب لكيدهم"[٤٣٢]، فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[٤٣٣].

"والشيء الذي يكشف بعض دعاة القومية العربية، أنهم شاءت الظروف أن يقوموا بالتدريس في بعض الجامعات العربية، فلم يخرجوا لنا إلا أجيالاً تجيد لغات متعددة إلا لغة العروبة، وبالتالي يحتفي بكل تقليد إلا تقاليد الإسلام"[٤٣٤].

وعلى حد تعبير «مصطفى صادق الرافعي» حيث يقول:

"أين الخلق وأين العزة القومية وأين العصبية الشرقية، وهذه مفاسد أوربا كلها تنصب في أخلاق الشرقيين كما تنصب أقذار مدينة كبيرة في نهر صغير عذب، فلا الدين بقى فينا أخلاقاً، ولا الأخلاق بقيت فينا ديناً، وأصبحت الميزة الشرقية فاسدة من كل وجوهها في الروح والذوق، ولم يعد لنا من شيء يمكن أن يسمى المدنية الشرقية،

---

[٤٣١]- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، ص٤٧.

[٤٣٢]- الإسلام والتحرر الأفريقي، عدد٢٧، سنة٣، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، ط ١٩٦٣، ص١٦.

[٤٣٣]- سورة آل عمران، ١٠٠.

[٤٣٤]- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، ص٢٨٨.

وأخذ الحمقى والضعفاء منا يحاولون في إصلاحهم أن يؤلفوا الأمة على خلق جديد ينتزعونه من المدنية الغربية، ولا يعلمون أن الخلق الطارئ لا يرسخ إلا بمقدار ما يفسد من الأخلاق الراسخة، وهم يغتبطون إذا قيل لهم مثلا: إن مصر قطعة من أوربا، ولا يعلمون ما تحت هذه الكلمة من تعطيل المدنية الشرقية، والذهاب بها، وإفسادها، وتعريضها للذم، وتسليط البلاء عليها، مما لا حاجة بنا إلى التبسط في شرحه"[٤٣٥].

ولقد "تبنى المنصرون شعار القومية العربية لتمزيق دولة الخلافة حتى تصير دويلات مغلوبة على أمرها بل والدويلة الواحدة تحولت إلى دولتين لكل منها حدود وإدارة مما جعل دولة الإسلام في شتات وفرقة لا يعرفها منطق الإسلام ولا تلتقي مع منهجه أبداً، وإذا كانت الدعوة إلى قومية عربية دعوة صحيحة غايتها كما قيل توحيد البلاد العربية واستقلالها فلماذا نجد في البلاد العربية نحو عشرين دولة، قَلَّ أن تجد دولتين على وفاق"[٤٣٦].

والعجيب أن النصارى الذين شجعوا المسلمين إلى نبذ الوحدة الإسلامية في سبيل قومية عربية يَدْعُون أنفسهم إلى الوحدة على أساس الديانة النصرانية فيقول الأب/ «جان كور بون»: "وليس لكنائسنا أن تذوب في كنيسة جديدة تسمى كنيسة العرب فالتاريخ يعاكس هذا الاتجاه، والظرف الحاضر لا يطالب بأمثاله، والقاعدة الواحدة للاتحاد هي الشركة بين الكنائس لأن الكنائس إذا لم تصل إلى الشركة فقدت هويتها، أما إذا تجاوزتها فليس للمحبة حدود، ولن يحدث سوى ازدياد الشركة وتعميمها على الجميع"[٤٣٧].

ويقول القس/ «رياض جر جور»:

---

[٤٣٥]- وحي القلم، ص١٥٢.

[٤٣٦]- د. عمر فروخ، الأمة، عدد٥١، سنة٥، ديسمبر١٩٨٤، ص٦٤.

[٤٣٧]- كنيسة المشرق العربي، الأب جان كوربون، ت: المطران/ أغناطيوس، ص١٥٢.

"النصف الثاني من القرن العشرين كان مميزاً في دفع مسيرة الوحدة إلى الأمام، من خلال المؤسسات التي نشأت بغاية السعي نحو الوحدة كمجلس الكنائس العالمي، وأمانة سر وحدة المسيحيين الفاتيكانية، ومجلس كنائس الشرق الأوسط الذي تأسس عام ١٩٧٤م، ودخلت العائلة الكاثوليكية في عضويته في العام ١٩٩٠م"[٤٣٨].

"فالمسيحية بمذاهبها المختلفة من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية قد أجمعت كلمتها للقضاء على الإسلام والمسلمين"[٤٣٩]، "فإلى متى يظل مفهوم العروبة معزولاً عن الإسلام في بعض الأقطار، وعوضاً عن الإسلام في أقطار أخرى ؟"[٤٤٠].

ثانيا: الدعوة للوطنية الإقليمية

جاء الإسلام والعالم في حالة تمزق لا تربطه إلا العصبيات القومية، والنزاعات القبلية، وما أن ظهر الإسلام حتى نادى في الناس قائلاً:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤٤١].

"ولأن الإسلام رسالة عالمية. فلا يمكن أن يفرق بين شعب وشعب، ولا بين جنس وجنس، ومن هنا صهر الأمم في أمة واحدة ومعسكر واحد، هو معسكر الإيمان بالله ورسوله. فخاطبهم بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٤٤٢]، وقد

٤٣٨- المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مرجع سابق، بحث للقس/ رياض جرجور، ص٩٠٠ -٩٠١ بتصرف.

٤٣٩- قوى الشر المتحالفة، محمد الدهان ، ص١١٦، مرجع سابق.

٤٤٠- الحق المر، محمد الغزالي، جـ٦، ص٣٤.

٤٤١- سورة الحجرات، ١٣.

٤٤٢- سورة الأنبياء، ٩٢.

استطاعت هذه الأجناس كلها أن تصنع حضارة عظيمة هي الحضارة الإسلامية"[٤٤٣].

والاستعمار الغربي حينما جاء إلى الشرق الإسلامي، ورأى الوحدة الإسلامية قد جمعت شعوباً مختلفة الجنسيات وصهرتها في بوتقة الإسلام في ظل الخلافة الإسلامية، عَمدَ إلى محاربة الوحدة الإسلامية باعتبارها القوة الدافعة، "فأوعز إلى المنصرين فأكثروا الحديث عن الدعوات الإقليمية، وقالوا عنها إنها تقضى على الوحدة الإسلامية شيئاً فشيئاً"[٤٤٤].

يقول «مصطفى الطحان» في بحثه المقدم إلى المجلس الإسلامي الأوربي:

"عندما خضع المسلمون للاستعمار الصليبي، كان يعرف مقتل هذه الأمة، فسارع إلى تقسيمها، وأعطى لكل قسم اسماً، وأوجد من عندياته لكل قسم حضارة مستقلة وتاريخاً مغايراً، فضرب العرب بالأتراك فأنهى الدولة العثمانية الإسلامية، وضرب الفرس- إيران - بالعرب، والعرب بالأكراد، والبربر بالعرب"[٤٤٥]، وبذلك أوجد تقسيماً سياسياً، هو الذي أشار إليه المنصر/ «أ ل. شاتليه» حينما قال: "التقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبيل لأعمال المدنية الأوروبية إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية، وسوف لا يمضي غير زمن قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدنية محاطة بالأسلاك الأوروبية"[٤٤٦].

ولمثل هذا الهدف" قال المنصر/ «لورانس» في كتابه الثورة العربية:

وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا -كبلد عربي إسلامي- وفى الحج -كوحدة إسلامية- وأتساءل هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية وهل يغلب

---

[٤٤٣]- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص١٤٦، مرجع سابق.

[٤٤٤]- التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، ص١٠٨.

[٤٤٥]- الإسلام دعوة تحرير، المجلس الإسلامي الأوروبي، بحث الأستاذ: مصطفى الطحان، ص١٦١.

[٤٤٦]- الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتليه، ص٩ — ١٠، مرجع سابق.

الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني، وبمعنى أوضح هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني"[٤٤٧].

ولأجل ذلك، وجد على سبيل المثال أن «انطون سعادة»، وهو أرثوذكسي شرقي قد قام عام ١٩٣٨م بتبني هذا الفكر الغربي حيث نشر في (بيروت) كتاباً تحت عنوان (نشوء الأمم) قال فيه: "يجب أن تكون (سوريا) للسوريين وإن السوريين هم أمة ذات كيان مستقل وإنهم لم يكونوا عربا وإنما سلالات شعب كان موطنه الطبيعي منذ أزمنة ما قبل التاريخ سوريا، (فالأمة السوريا)[٤٤٨] ينظر إليها على أنها خليط من (الكنعانيين والأكاديين والكلدانيين والآشوريين والآراميين والحيثيين والميتانيين)، وعلى هذا الأساس يجب عزل سوريا عن الأمة العربية"[٤٤٩].

"وهكذا عبأت قضية البناء القومي هذه، رجالاً سياسيين يعتبرون أنفسهم وطنيين، لكنهم لا يرتبطون بالقومية العربية، والتفريق مهم لأن قضية الوطنية هذه (لبنانية، سوريا، عراقية، أردنية، مصرية...إلخ) سرعان ما ظهرت لأعين القوميين العرب دعاة الوحدة العربية كتعبير جديد لمشروع أقلية"[٤٥٠].

"والمنصرون ما زالوا يجتهدون في إحياء الوطنية الإقليمية بين الدول الشرقية: كالفرعونية في مصر، والآشورية في العراق، والبربرية في شمال أفريقيا، والفينيقية على ساحل فلسطين

---

[٤٤٧]– جند الله، سعيد حوى، ص٢٠، مرجع سابق.

[٤٤٨]– الأمة السورية في نظره كانت تشمل لبنان وشرق الأردن، وقد حوكم في لبنان أمام محكمة عسكرية وأعدم عام ١٩٤٩ متهماً بالتآمر على الدولة.

[٤٤٩]– سياسة وأقليات في الشرق الأدنى، آني شابري، لورانت شابري، ت: الدكتور: ذوقان قرقوط، ص٢١٣ –٢١٧ بتصرف.

[٤٥٠]– المرجع السابق، ص٧١.

ولبنان"[451]، "ثم ربطها بالغرب وحضارة الغرب ولغته وبطولاته وأمجاده"[452].

ولنأخذ البربر في شمال إفريقيا، والأكراد في العراق، والفرعونية في مصر، كأمثلة لصحة ما ذهبنا إليه.

فبالنسبة للبربر: يحاول المنصرون "إنتاج ثقافة خاصة بهم بالحرف اللاتيني، لفصلهم عن العرب والمسلمين في الجزائر، وهي عملية لا تزال مستمرة، حيث يصدر حالياً في فرنسا دائرة معارف البربر، وصدر منها حتى عام ٢٠٠٢م قرابة عشرين جزءاً"[453].

وبالنسبة للعراق: "فإن داخل كردستان العراق توجد إحدى وثلاثون منظمة صليبية وماسونية يعملون في الساحة الكردية بجد ونشاط، دون كَلَل ولا مَلَل، وبإمكانية مالية ضخمة تتجاوز ميزانية كل منها مئات الملايين من الدولارات، حتى وصل الحال ببعض هذه المؤسسات إلى أن تعرض على أهل بعض القرى أن تبني لهم مساجدهم ولكن بشرط أن يكتب على المسجد: (بنته المؤسسة الصليبية الفلانية...!!) وقد وزعت المنظمات الصليبية نشرة بكمية هائلة في كردستان تحمل الدعوة إلى الجنوح نحو المسيحية، وهي صورة مزورة لسيدنا المسيح عليه السلام وله جناحان من النور، وهو ينادي:

نحن نحبكم أيها الأكراد، نحن نحس بمصائبكم ومآسيكم، وما حلَّ بكم، ونحن معكم، والعذراء أيضا معكم، فكر أيها الأخ الكردي الحبيب فيما حدث لك... من الذي أخرجك من ديارك؟ من الذي قتل أباك، وأمك، أو أخوانك، أو أخوتك؟ من الذي شردك من قريتك الجميلة الخضراء؟ من الذي حرمك من حقوقك؟ من الذي اغتصب

---

[451]- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد ، ص٥١، مرجع سابق.

[452]- أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي، ص٩٧.

[453]- ندوة حول التحول في الفكر الاستشراقي المعاصر، توفيق حوري، منار الإسلام، عدد٣، سنة٢٨، مايو- يونيو٢٠٠٢، ص٧٣

دارك وأرضك؟ من الذي استعمل الكيماويات وغازات الأعصاب والخردل في حلبجة وغيرها؟ ألست معي في أن الفاعل لكل ذلك هو ما تسميه: أخاك العربي المسلم؟ تعالى يا أخانا الكردي الحبيب إلى جناح المحبة والسلام، تعالى جرب ما عندنا ولو مرة"[٤٥٤].

وفي مصر: "قدم «ركفلر الكبير» عشرة ملايين دولار أمريكي لإنشاء متحف الآثار الفرعونية في مصر، يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن، واشترط أن يوضع المتحف والمعهد تحت إشراف لجنة مكونة من ثمانية أعضاء وليس فيها إلا عضوان مصريان، واشترط أن تظل هذه اللجنة هي المشرفة المسئولة عن إدارة المتحف ثلاثاً وثلاثين سنة حتى يضمن تخريج جيل من المتعصبين للفرعونية ثقافياً وسياسياً"[٤٥٥].

كذلك "حاول أعداء الإسلام فتح باب الأساطير بعد أن جاء الإسلام ليحرر البشرية من ضلالها، ويقدم للإنسانية منهجاً كاملاً لما وراء الغيب لا يحتاج معه الإنسان إلى مزيد من البيان الصادق، وقد كانت الأساطير تصور بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة والعادات الاجتماعية فجاء الإسلام ليقدم الحقائق. ولكن الغزاة استطاعوا أن ينقلوا إلى أفق الفكر الإسلامي أساطير الأمم الوثنية الضائع، فرعونية وفارسية وهندية بما يسمى الميثولوجيا وما يتصل بها من آلهة الإغريق، ترجمها نفر من قومنا بتحريض من المستشرقين والمنصرين في محاولة لإدخال مفاهيم ضالة مسمومة، اختلطت بالشعر والمسرحيات وبالأدب، فهذه الأساطير تمثل ركام الفكر البشري القائم على أهواء النفوس والمشبع بالإباحية والمادية وفساد الذوق وتصورات الطفولة البشرية"[٤٥٦].

---

[٤٥٤]- حملات التنصير تستهدف الأكراد، د. على القرداغي، الوعي الإسلامي، عدد٣٢٤، سنة٣٠، فبراير١٩٩٣، ص٨: ١٠ بتصرف.

[٤٥٥]- الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر، محمد محمد حسين، جـ٢، ص١٣٩.

[٤٥٦]- رياح السموم، أنور الجندي، ص٩ – ١٠ بتصرف.

"وهي ترمي في مجموعها إلى تهيئة النفس والعقل الإسلاميين لتقبل تعدد الآلهة والأصنام"[457]، "وهو الأمر الذي يمكن للنفوذ الاستعماري في البلاد الآسيوية والأفريقية تمكيناً سياسياً واقتصادياً حيث يجعل تلك الشعوب تؤمن إيماناً راسخاً أن لا حياة لها ولا وجود لها إلا بمساندة الدول الاستعمارية"[458]

والإسلام لا يمنع المسلم من النظر في تاريخ الأمم السابقة عليه ولكن بعين الاعتبار لا بعين القداسة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[459]، وذلك باعتبار أن الحضارات السابقة على الإسلام وافقت الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها في بعض جوانبها فكتب لها الاستمرارية بالقدر الذي وافقت فيه الفطرة حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[460]، ولكن أراد الله للدين الإسلامي المتمثل في رسالة النبي محمد ﷺ أن تأتي موافقة للفطرة في كل جوانبها فكتب لها بذلك الاستمرارية مدى الحياة، فما أن تغيب شمس الإسلام في بقعة من الأرض حتى يأذن الله بظهورها في بقعة أخرى. هذه هي سنة الله ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[461].

المطلب الثاني

مساعدة الحركات الانفصالية

فكرة الجهاد عند المسلمين هي التي تدفع المسلم بأن يضحي بنفسه في سبيل نُصرَةً الإسلام، وهذه مشكلة في رأي تواجه المنصرين دائماً.

---

[457]- الوثنية، أنور الجندي، منار الإسلام، عدد٤، سنة١٢، ديسمبر١٩٨٦، ص٩٦.

[458]- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد ، ص٣٠، مرجع سابق.

[459]- سورة يوسف، ١١١.

[460]- سورة فاطر، ٢٤.

[461]- سورة الفتح، ٢٣.

"فرأوا أن يحولوا فكرة الجهاد من جهاد خارجي إلى جهاد داخلي، لا بمعنى أن المسلم يجاهد نفسه وشهواته في هذه المرة، وإنما يجاهد الحكومات والأنظمة التي تحكمه، ثم عملوا على دعم موقف هذه الحكومات في حربها ضد الخارجين عليها فأصبحت شبه حرب أهلية في البلاد الإسلامية"[٤٦٢]. عرفت في الأوساط العالمية باسم الإرهاب.

ولذلك وكما يقول «محمود حمدي زقزوق»:

"إن ما يطلقه الإرهابيون من شعارات إسلامية لا يمكن أن تخدع عاقلاً لأن الأديان كلها، والإسلام بصفة خاصة، ترفض العنف والقتل والتخريب، وتدعوا إلى المحبة والأُخوة والسلام، والإسلام إذ يرفض العدوان رفضاً قاطعاً فإنه يعتبر قتل نفس واحدة بغير حق، كأنه قتل للإنسانية كلها يقول تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٤٦٣]، والإسلام بريء من فريقين ينتسبون إليه. الفريق الأول: أولئك الذين يرون فيه ديناً جامداً منغلقاً متقوقعاً لا يقوى على مسايرة الزمن، ولا يرعى متغيرات الحياة. والفريق الثاني: الذين يدَّعون شذوذاً أنهم يقتلون ويخربون دفاعاً عنه... ومما لا شك فيه أن الإرهاب في العالم الإسلامي يتلقى الدعم والتخطيط من رءوس الإرهاب في الخارج وبخاصة في الدول الأوربية التي توفر الملاذ وحرية الحركة لهؤلاء تحت مظلة الحماية المزعومة لحقوق الإنسان"[٤٦٤].

"وكشف اللواء/ «محمود شيت» لمجلة الأزهر، قيام بعض الإرساليات التنصيرية بتدريب المرتزقة من الرجال على فنون القتال، بحجة حماية تلك الإرساليات محلياً، وعلق

٤٦٢- التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، ص٥٤، مرجع سابق.

٤٦٣- سورة المائدة، ٣٢.

٤٦٤- هموم الأمة الإسلامية، د. محمود حمدي زقزوق، ص٣٧- ٣٩ بتصرف، مرجع سابق.

بقوله: وليس لذلك أي معنى إلا العمل على الانفصال"[٤٦٥].

"ويؤكد ذلك أن المؤازرة الصليبية هي التي تقف وراء الحركة الانفصالية في جنوب السودان، وكل الحركات المضادة للإسلام في المنطقة كما صرح بذلك المرتزق الألماني بعد أن قبضت عليه الحكومة السودانية عام١٩٧١م، حيث اعترف على مرأى ومسمع من العالم، أن إسرائيل هي التي دربته مع المتمردين، وأمدهم بالسلاح، وأن الفاتيكان، التي تمثل القيادة الروحية للمبشرين في أفريقيا هي التي قامت بدفع بعض تكاليف المتمردين"[٤٦٦].

"والدكتور/«ليوبولد ليدل» يصرح بتورط الفاتيكان في صفقات الأسلحة وتجارة الموت فيقول: بدأت الفضائح تتوالى عندما أمسكت ببداية الخيط أكبر المجلات الكاثوليكية الإيطالية التي دقت ناقوس الخطر، واعترفت في صدر إحدى مقالاتها عام ١٩٨٥م بمقولتهم: (إن أسلحتنا تقتل الناس في مختلف أنحاء العالم): لقد بلغت قيمة الصادرات العسكرية الإيطالية من مختلف أنواع الأسلحة (٤٤٠٠ مليار ليرة) في عام ١٩٨٣م، وحصلت بلدان العالم الثالث على نسبة ٩٥% من هذه الصادرات. ويواصل «ليدل» اعترافاته الموثقة فيقول: هذه الأرقام ليست رسمية لأن القانون الملكي الذي صدر عام ١٩٤١م ما زال معمولاً به، وهو يقضي بإحاطة تجارة الأسلحة بالسرية التامة، ويتم تصنيفها في خانة الأسرار العسكرية، لكن الصحافيين توصلوا إلى هذه المعلومات عبر السياسيين الثرثارين"[٤٦٧].

---

[٤٦٥]- حاضر المسلمين ومستقبلهم بين الآلام والآمال، لواء ركن/ محمود شيت خطاب، الأزهر، جـ ٨، عدد شوال/ ذو القعدة س١٣٩٧هـ - أكتوبر/ نوفمبر١٩٧٧، سنة٤٩.

[٤٦٦]- منار الإسلام، التحرير، عدد٨، سنة٦، يونيو١٩٨١، ص٥٤.

[٤٦٧]- على عتبات الفاتيكان، محمد عيسى داود، ص٣٠، مرجع سابق.

[٤٦٧]- الأمة، التحرير، عدد٧٧، سنة٦ أغسطس١٩٨٦، ص٣١.

ولقد" جاء في نشرة (إسلام توداي) الكندية، عدد يناير ١٩٩٣م، أن هناك إحصائية نشرت حديثاً تقول أن الدول الخمس، دائمة العضوية في مجلس الأمن، تقوم بتصدير ٩٥% من إجمالي مبيعات الأسلحة في العالم، وأن هذه الدول تقوم بتصدير الأسلحة بصورة مباشرة أو عبر وسطاء وسماسرة إلى المسلمين حينما ينشب خلاف بينهم، كما حدث في حرب إيران والعراق وفي الصومال والسودان وغيرهما، أما حينما يتعرض المسلمون للعدوان ولحرب إبادة فإن هذه الدول تطبق الحظر على المسلمين عن عَمْد للقضاء عليهم"[٤٦٨].

ويؤكد «د. كورت فالدهايم»: "بأن الولايات المتحدة - بصفة خاصة- هي العقبة التي أفشلت كل محاولات الأمم المتحدة للعب دور مؤثر في حل قضايا النزاع في العالم والشرق الأوسط"[٤٦٩].

كما أن "المخابرات المركزية الأمريكية (C. I. A) كانت وراء أكثر الحوادث والانقلابات والاغتيالات التي شهدها العالم الإسلامي على مدار نصف قرن من الزمن... ووصل عدد عملاء هذه الوكالة عام ١٩٦٤م حوالي مائتي ألف شخص وهؤلاء العملاء كانوا مندسين في أجهزة الدول الرسمية كالسفارات ومكاتب التنمية الدولية ومكاتب الإعلام"[٤٧٠].

"وذلك لأن الغرب ما كان باستطاعته أن يحكم قبضته على بلاد العرب والمسلمين إلا من خلال العنف العسكري بداية، ثم إحكام السيطرة السياسية والاقتصادية"[٤٧١].

---

[٤٦٨]- منار الإسلام. التحرير، عدد٨، سنة١٨، فبراير١٩٩٣، ص١٢٨.

[٤٦٩]- الأمة، التحرير، عدد٧٧، سنة٦، أغسطس١٩٨٦، ص٣١.

[٤٧٠]- العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، فتحي يكن، ص١٢٨.

[٤٧١] - الفكر الإسلامي ومشكلة الهوية، محمد بن علي جبرة، الوعي الإسلامي، عدد٢٧٩، س ٢٤، نوفمبر١٩٨٧.

فمثلاً عندما تحتم خروج فرنسا من الشام أرادوا ألا يخرجوا إلا بعد أن يورثوا البلاد لكتل سياسية تمشي على خططهم، واختاروا أحد أذكياء الطلاب السوريين وهو«ميشيل عفلق» الذي رُبيَّ وأنضج في الكنيسة تحت إشراف البابوية في روما من أجل إعداده كقائد للتنصير بشكل يختلف عن كل تنصير ولإبقاء سوريا في حالة ارتباط بالاستعمار. وفى زيارة لــ«ميشيل عفلق» قام بها للفاتيكان وقف البابا أمامه باحترام وتقدير وقال له: لقد فعلت في العرب أكثر مما فعلناه"[٤٧٢].

وأخيراً: "فإن الإسلام دين التوسط والاعتدال، ولا شك عندنا أن الغلو والتطرف أمر مرفوض شرعاً، ومهما كانت المبررات والأسباب"[٤٧٣].

المطلب الثالث

الفتنة الطائفية

"إننا نشكو اليوم على النطاق العربي والإسلامي من اختراق الغرب لأمننا الوطني والقومي والحضاري من خلال ثغرات الأقليات الدينية والقومية ومحاولاته تحويل هذه الأقليات إلى أوراق ضغط على الحكومات الوطنية وإلى عقبات أمام مشاريع التغيير والنهوض، القومية منها والإسلامية بل والوطنية أحيانا"[٤٧٤].

ويقول «محمد الغزالي»: "من سماحة الإسلام أنه لا يعرف تعبير أقلية، فهو اصطلاح ظهر في السنوات الأخيرة"[٤٧٥].

---

[٤٧٢]- حزب البعث ودوره في الشرق العربي، التحرير، الدعوة، عدد٦، سنة٢٥، ص٣.

[٤٧٣] - التراجع إلى مواقع الفكر الدفاعي، التحرير، عدد٨١، سنة٢، إبريل١٩٨٢، ص٧.

[٤٧٤]- الاحتفال بالاحتلال أم بالاستقلال، د/ محمد عمارة، منبر الإسلام، عدد٩، سنة٦١، نوفمبر ٢٠٠٢، ص١٠٦.

[٤٧٥]- مواجهة صريحة لأسباب الفتنة الطائفية، محمد الغزالي، الدعوة، عدد٦٤، سنة١٩٨١،٣١، ص٤٨، تحقيق : محمد عبد القدوس.

ولذلك فقد خلت مسيرة حضارتنا، تقريبا من الاضطهادات الراجعة إلى اختلاف اللغات والأقوام والأعراق، لأن الإسلام قد جعل عصبية الدم والعرق والنسب جاهلية، دعا رسول الله ﷺ إلى تجاوزها، فقال: (دعوها فإنها منتنة)، وما عرف عن اضطهاد بعض اليهود والنصارى، لفترات محدودة، وفي بعض الدول، في تاريخنا الحضاري، كان في أحيان كثيرة ردود أفعال لتدخلات خارجية واستعمارية – صليبية، وتترية، وإمبريالية – استخدمت نفراً من أبناء هذه الملل ضد أمن الوطن والدولة والأمة والحضارة.

فالإسلام ليس فيه إجبار لأحد على الدخول فيه يقول تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٤٧٦]، ولا ترويع لمن لم يؤمن بالإسلام ما دام ملتزماً بقواعد الأمن والسلام ممن يعيشون معهم في المجتمع الإقليمي أو في المجتمع الإسلامي يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤٧٧]، بل إن الإسلام يأمر المسلمين باحترام العقائد الأخرى يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤٧٨]، وأمرهم بأن يتركوا كلاً على دينه، وإن اختلف في أسسه وتعاليمه مع الإسلام يقول تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٤٧٩]. فالمجتمع المسلم لا يخص المسلمين وحدهم، إنما هو يشمل كل من يوجد فيه من بني الإنسان، فهو بالنسبة للمسلمين– أي الإسلام– عقيدة، وبالنسبة لغيرهم نظام يعيشون في ظله آمنين صاعدين، وهم في نجوة بعقيدتهم الخاصة لا يمسها مساس"[٤٨٠].

---

[٤٧٦]– سورة البقرة، ٢٥٦.

[٤٧٧]– سورة الأنفال، ٦١.

[٤٧٨]– سورة الأنعام. ١٠٨.

[٤٧٩]– سورة الكافرون، ٦.

[٤٨٠]– معركة التقاليد، محمد قطب، ص١٦٥.

"لكن الروح الصليبية التي لم تتخل عنها أوروبا المسيحية"[481]، "والتي يحاولون من خلالها إشعال نار الفتنة الطائفية، بتلقين غير المسلمين دروس التميز عن المجتمع الشرقي بدعوى انتسابهم إلى الحضارة الغربية وانفصالهم عن خلفياتهم العربية الأصلية، وتعاليهم على مواطنيهم من المسلمين" [482]، "وإثارة النعرة الطائفية فيهم لتوجيههم إلى التعاون لضرب الإسلام، لاعتقادهم أن المسيحية إذا كانت قد ماتت في الغرب فإنها لا تزال حية في نفوس أهلها في الشرق وخاصة في البلاد الإسلامية، ذلك أن مسيحيي الشرق الإسلامي عاشوا في بيئة إسلامية تهتم بالقيم والأخلاقيات وتحل الدين من نفوس أهلها مكانة عليا، فانعكس هذا الانطباع الإسلامي على المسيحيين فتمسكوا بدينهم ولم يتحللوا منه كما فعل الغرب، وكان لهذا الأمر أثره في معاونة عمليات التبشير بين المسلمين. ذلك أن مبشري الغرب راحوا يستثيرون نخوة الحماسة الدينية في نفوس المسيحيين في الشرق حتى أقنعوا بعضاً منهم بالعمل معهم"[483].

يقول «حسن الرشيدي»: "في كل مؤتمر سياسي سواء للحزب الديمقراطي أو الجمهوري في غرب الولايات المتحدة أو شرقها تقف فتاة وتقول: أنا مصرية مضطهدة في بلادي، إنهم ينظرون إلي بازدراء، لأن على صدري صليباً، الأقباط في مصر مطاردون ومقتولون ومعذبون، ولا بد أن تتحرك أمريكا لوقف هذه الفظائع"[484].

"وفى نشرة عام ١٩٧٨م من أقباط المهجر في أمريكا، خاصة الجمعية القبطية الأمريكية جاء فيها: إن أكثر من نصف مليون قبطي مصري هاجروا من مصر، بسبب الاضطهاد

---

[481]- تركيا المسلمة بين الأمس واليوم، التحرير، الوعي الإسلامي، عدد١٢٨، سنة١١، أغسطس ١٩٧٥، ص٧٨.

[482]- النشاط التنصيري في مجال التربية، د.نبيل صبحي، الأمة، عدد٥٠، سنة٥، نوفمبر١٩٨٤، ص٣٠.

[483]- حقائق عن التبشير، عماد شرف، ص ١٣، مرجع سابق.

[484]- موقع/ نسيج، نصارى المهجر المخطط والدور، حسن الرشيدي.

والعنصرية، وإن حرية العبادة غير مكفولة وحق التعليم والعمل غير متوفرين"[٤٨٥].

و «و.ب سيجابات» في كتابه (تبشيرنا في أند ونسيا اليوم) يقول:

كثيراً ما تنعمت أندونسيا بروح الألفة التي تربط بين المسيحيين وبين المسلمين، لكنهم بالرغم من ذلك يعيشون معيشة محزنة لأن هذا الوئام يشل قواهم، ويخدع أنظارهم، فلا يؤدون واجبهم التنصيري، تجاه إخوانهم المسلمين، فنأمل أن تتمكن كنائس البروتستانت في أندونسيا من التغلب على جميع المصاعب المُرة التي لا بد أن يلاقوها في ميدان التنصير"[٤٨٦].

فهذه الخطابات يفهم منها أنها تنادي بحرب ضروس تأكل الأخضر واليابس كتلك التي نادى بها من وجهة نظري في بداية القرن الحادي عشر البابا/ «أوربان الثاني» في خطابه عام ١٠٩٥م الذي توجه به إلى أوربا قائلاً: "لقد كنتم تحاولون من غير جدوى، إثارة نيران الحروب والفتن فيما بينكم، فاستيقظوا الآن لأنكم وجدتم داعياً حقيقياً إليها، لقد كنتم سبب إزعاج مواطنيكم وقتاً ما، فاذهبوا الآن وأزعجوا المسلمين، اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار، أيها الجند... أنتم الذين كنتم سلع الشرور والفتن، هبوا اليوم وقدموا قواكم وسواعدكم ثمناً لإيمانكم، وتسلحوا بسلاح الدين والتقوى، فإنكم بذلك تنالون الجزاء الأوفى والنعيم الدائم"[٤٨٧].

وبذلك حاول ويحاول الغرب إدخال المسلمين في صراع دائم مع النصارى المقيمين في العالم العربي والإسلامي، والذين تمتعوا بحقوقهم التي كفلها لهم الإسلام[٤٨٨].

---

[٤٨٥]- التبشير يتطاول على الإسلام والمسلمين، الدعوة، عدد٢٧، سنة٢٧، ص ٦٤.

[٤٨٦]- على عتبات الفاتيكان، محمد عيسى داود، ص٧٣، مرجع سابق.

[٤٨٧]- صلاح الدين الأيوبي، قدري قلعجي، ص٣٤.

[٤٨٨]- كان من ضمن قرارات في مؤتمر نيودلهي الذي عقد عام١٩٦١م: بأن الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة، في أي وطن وتحت أي نظام سياسي. التبشير والاستشراق أحقاد وحملات، محمد الطهطاوي، ص٩٧، مرجع سابق.

"فاستطاع الغرب بفضل الوفود من المرسلين والمستشرقين أن يثيروا فتناً في البلاد"[489].

"فلا شك أن الإرساليات التنصيرية كان لها الأثر الكبير في إذكاء الخلاف الطائفي بين المسلمين والمسيحيين في كثير من البلاد الإسلامية والعربية"[490]. فما دار في لبنان من حرب أهلية، إنه وبدون شك نتج عن إثارة الفتنة الطائفية التي استخدمها أعداء الإسلام جميعاً وفى مقدمتهم المبشرون في هذا البلد التي كادت الفتن الطائفية أن تقضي عليه قضاءً كاملاً[491].

ولقد بلغ الأمر حداً من الخطورة عندما وزعت إحدى المنظمات الإسلامية في الأردن منشوراً تضمنت افتتاحيته شرحاً لنوايا نصارى الأردن إقامة دولة صليبية ترتبط بتوثيق الأواصر مع لبنان من جهة، ومع الدولة الصليبية التي يخطط لإنشائها في مصر، وتكون عاصمتها أسيوط وتشكل معها حزام أمن بإسرائيل لحمايتها من الدول العربية بعد طرد المسلمين من جميع البلاد المحيطة بإسرائيل وتحويلهم إلى لاجئين[492].

وهذا يعني أن كل من يتشيع للغرب النصراني من المسلمين وإن تركت له مساحة لأداء الشعائر الإسلامية سيكون مصيره الطرد أو الإبادة إن تحققت هذه الأُمنية الصليبية، ونفس المصير سيكون من نصيب نصارى الشرق أيضا إذا سيطر الغرب على بلاد الشرق والتاريخ يشهد بذلك حيث يقرر «جيبون» قائلاً: "إن الحملة الصليبية الأولى تركت في التاريخ أثراً مؤلماً يدل على أقسى ما عرف من التعصب، لا ضد المسلمين فحسب بل وضد مسيحيي الشرق. إذ إنه بمجرد استقرار الأمر للصليبيين بادروا باتهام مسيحيي الشرق بالإلحاد والتمرد على سلطة الكنيسة الشرعية يقصدون

---

[489]– الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد ، ص٦٢، مرجع سابق.

[490]– التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، د. نجاح الباع، ص٣٩.

[491]– التبشير والاستشراق خططاً ومنهجاً وتطبيقاً، عبد الله عبد الحي محمد، ص١٩٠–١٩١ بتصرف.

[492]– ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، إبراهيم السليمان الجبهان، ص٣٠–٣١.

بها سلطة البابا في الفاتيكان فاضطهدوهم وحاربوهم في أرزاقهم وطردوهم من أعمالهم ويضيف إن مسيحيي الشرق لاقوا من أولئك الذين جاءوا لإنقاذهم من حكم المسلمين ما جعلهم يقارنون بحسرة بين سماحة الحكام المسلمين وبين ما لاقوه من التنكيل والعذاب على أيدي حكام الغرب، ولقد بلغت القسوة بـــ«رينو دي شاتيون» حاكم أنطاكية بالقبض على الأسقف الكاثوليكي «أميري دي ليموج» وجلده بالسوط، وأمر بأن تطلى جروحه بالعسل، وأن يلقى تحت وهج الشمس للذباب، إمعاناً في تعذيب ضحيته، وبذلك حظي بتأييد الكنيسة الغربية لتنكيله بالمسلمين والمسيحيين في الشرق، ولنقض المواثيق، والتحلل من أي ارتباط أو التزام"[٤٩٣].

فعجباً لمن "يثيرون الفتن الطائفية من خلال الأقليات، وكأن تلك الأقليات نبتت اللحظة ولم تَعِشْ أربعة عشر قرناً عيشة كريمة في ظلال ذلك الوطن، فلا يوجد وطن مثله يحرس أقليته ويرعاها إنما هي الفتنة يريدون إثارتها في ذلك الوطن الآمن، الذي لا يعرف التعصب الذميم. ليس اليوم فقط، ولكن في كل تاريخه، وبخاصة عندما كانت الشريعة الإسلامية وحدها هي التي تحكمه من أقصاه إلى أقصاه إنها لحجة واهية، لا تقف أمام منطق التاريخ، ومقتضيات العصر"[٤٩٤].

---

[٤٩٣]– حقائق عن التبشير، عماد شرف، ص٢٧، مرجع سابق.

[٤٩٤]– دراسات إسلامية، سيد قطب، ص١٠٥.

المبحث الثالث

المنطلقات الاجتماعية

"التغير الاجتماعي يعتبر غاية في ذاتـه، فالمعروف أن المجتمعات الإنسانية دائمة (التحول)[٤٩٥] و(التطور)[٤٩٦] و(التقدم)[٤٩٧]، وهذه المصطلحات الثلاثة هي ما نعنيه بالتغير الاجتماعي"[٤٩٨].

في حين أن "(التخطيط الاجتماعي)[٤٩٩] ما هو إلا أسلوب وأداة لتوجيه التغيير على وفق إرادة المخطط"[٥٠٠]، "ويعتبر التخطيط اليوم من سمات العصر الحديث"[٥٠١].

وبالنظر للمجتمع أي مجتمع نجد أنه في حاجة إلى الخدمات الاجتماعية، وهذا الأمر يحتاج إلى أجهزة تنظيم المجتمع، تلك الأجهزة التي تمارس نشاطها مع هيئات ومؤسسات وجمعيات تقوم بتقديم خدمات لسكان المجتمع في مجالات الرعاية الاجتماعية[٥٠٢].

ولهذا فإنه من الخطورة بمكان أن يسند هذا الأمر إلى مؤسسات أجنبية يقوم أساسها على المذاهب الوضعية، المادية، النفعية. وذلك تحاشيا لما قد يحدث من قيام هذه المؤسسات ببلورة القضايا وطرحها على وفق مفهومها المادي النفعي، المؤدي إلى

٤٩٥- التحول : نوع من التغيير المستمر في حركة المجتمع في اتجاه واحد قد يكون إلى الأمام أو إلى الخلف.

٤٩٦- التطور: نوع أخر من التغير يأخذ صورة النمو في شكل بسيط إلى شكل أكثر تعقيداً.

٤٩٧- التقدم: نوع ثالث من التغيير الذي يتجه إلى الأمام دائما للوصول إلى هدف مثالي يتخذه المجتمع.

٤٩٨- السياسة الاجتماعية والتخطيط الاجتماعي، د. عبد العزيز غنيم وآخرون، ط ٢٠٠٢ ص١٣.

٤٩٩- التخطيط الاجتماعي: هو الأسلوب العلمي الذي يتضمن مجموعة منظمة من الخطوات المتتالية تتابعاً منطقياً تؤدى إلى تشخيص سليم للموقف الاجتماعي المطلوب التخطيط له، ثم الوصول إلى البرامج والإجراءات المناسبة المحققة للتغيير الاجتماعي المطلوب في المجتمع.

٥٠٠- المرجع السابق نفسه، ص١٣.

٥٠١- المرجع السابق نفسه، ص١٨.

٥٠٢- تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، د. محمد أحمد عبد الهادي، د. السعيد مغازي أحمد سعيد، ص٥٣.

مصلحتها، دون أدنى اعتبار لمصلحة المجتمع التي تؤدى فيه هذه الخدمة.

ويمكننا الاستشهاد على ذلك بما حدث من بعض الأفراد في بعض المؤسسات النصرانية: "فحينما قرر المجلس –مجلس الكنائس العالمي– والفاتيكان وهيئات التبشير الأخرى الإسهام في أعمال التنمية ومشاريعها في الأقطار النامية تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمعات)، وتأسست هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية المختلفة كإنشاء القرى الزراعية، وعقد الدورات التدريبية لمختلف التخصصات التقنية والفنية، وتقديم القروض المباشرة للفلاحين، قام بعض من المنصرين بتقديم هذه الخدمات على أنها نعمة من المسيح عليه السلام سواء كان هذا الإيحاء واضحاً بالرموز والشعارات، أو بطريق خفي يصلون إليه بحذر خوفاً من الابتعاد عنهم"[٥٠٣]، فمثلاً "في السودان أكثر من ثلاثين هيئة ومؤسسة كنسية تعمل في مجال الإغاثة وغطت هذه المؤسسات الكَنَسِيَة مساحات واسعة بالشباب النصراني والغربي ذكوراً وإناثاً، ليقوموا بتوزيع الغذاء والدواء والكساء لمتضرري المجاعات باسم الكنيسة، رافعين شعار: اخلع عنك رداء الإسلام، نخلع عنك الجوع والعطش"[٥٠٤].

إذا "فهم يقدمون العون في مقابل تنازل المسلم عن دينه، وهذا يعتبر لون من سرقة العقائد"[٥٠٥].

ونكون في حيرة من أمرنا[٥٠٦] حينما نجد أن رجلا مثل المنصر/ «زويمر» يؤكد على

٥٠٣– العالم الإسلامي والمكائد الدولية، فتحي يكن، ص٦٤، مرجع سابق. وأيضا: التنصير مفهومه، وأهدافه، ووسائله،وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، ص٤٩، مرجع سابق.

٥٠٤– التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص٩٠، مرجع سابق. وأيضا: الأطفال في العالم، منار الإسلام، عدد٨، سنة١١، إبريل١٩٨٦، ص٦١.

٥٠٥– حوار مع الشيخ محمد الغزالي، منار الإســـلام، عدد٨، سنة٦، يونيو١٩٨١، ص٢٣.

٥٠٦– وسبب هذه الحيرة: حينما نجد أن بعض أقوال المنصرين قديما تطبق الآن من بعض النصارى حديثا، ثم تصدر منهم تصريحات بأن العمل التنصيري قد انتهى عهده. فهذا أمين مجلس كنائس الشرق الأوسط القس/ جرجور يجيب على سؤال وجهته إليه جريدة الرأي العام

هذا العمل ويقره منذ عدة عقود، ثم نجد من يقره عليه في الوقت الحاضر، ليس قولا فقط، بل على أرض الواقع أيضا فـ«زويمر» يقول:

"إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة، كانت لاهوتية دينية محضة، أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية، وكان ينظر في سابق الأيام إلى المبشرين نظرة قوم يشنون حرباً صليبية ترمى إلى التنصير فقط، فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تكشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعي"[٥٠٧].

ويقر ذلك البابا/ «يوحنا بولس الثاني» بقوله:

"جمعيات الشبان التي تتكاثر وتزدهر وكأنها في ربيع، في بعض المناطق بأسماء وأشكال مختلفة وغايتها دائماً واحدة وهى العمل على التعريف بالمسيح والحياة وفقاً للإنجيل وتشمل كذلك جمعيات العمل الخيري، وهذه الجمعيات هي مبعث أمل كبير لكنيسة الغد"[٥٠٨].

ويقول الأنبا/ «يوحنا قلته»: "إن الأنشطة الاجتماعية كالمراكز الصحية من مستشفيات، ومستوصفات، ومن مراكز رعاية الطفولة والأمومة، والأندية الرياضية، ومراكز محو الأمية، وبيوت المعوقين والمسنين، تلك أمور جديدة على المجتمع العربي، وتعد جسوراً قوية بين المسلمين والمسيحيين، ولذلك فالكنيسة ملتزمة بالشهادة المسيحية، من خلال أنشطتها الاجتماعية"[٥٠٩]. وعلى حد تعبير القس/ «فايز فارس»: "الخدمة تقدم للجميع والهدف هو الكرازة للجميع"[٥١٠].

عن التنصير فيقول: لقد انتهى عهد التبشير، هذا أكيد، ما نريده مع المسلمين هو حوار الحياة وليس حوارا عقديا. انظر: موقع/ جريدة الرأي العام، ٢٠٠٢/١١/٥.

٥٠٧– الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتلية، ص٩١ – ٩٢، مرجع سابق.

٥٠٨– إرشاد رسولي في واجب تلقين التعليم، يوحنا بولس الثاني، ص٦٥.

٥٠٩– المسيحية والألف الثالثة، الأنبا/ يوحنا قلته، دار مصر المحروسة – القاهرة، ط أولى ٢٠٠٢، ص١٩٤ – ١٩٥ بتصرف.

٥١٠– المسيحي ومشكلات الحياة المعاصرة، القس/ فايز فارس، ص٣٧.

وعلى أرض الواقع وفى الحبشة مثلاً: كانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم"[٥١١].

"ونحن المسلمين لا يحزننا أن يتعاون العالم في مجال الخدمة الاجتماعية لصالح الإنسانية، ولكن يحزننا استغلال الحاجة الإنسانية، والتستر بالدين لأهداف أخرى"[٥١٢]، فلقد صرح «ليوبولد ليدل» قائلاً: "لقد تكشفت الأوراق والوثائق التي أفادت أن إيطاليا باعت الفاتيكان (٦٥،٨ طناً) من الزبدة بأسعار زهيدة بخسة، ليوزعها الفاتيكان على بيوت الأيتام، والمستشفيات، ودور العجزة، بأسعار باهضة في السوق السوداء الإيطالية، كما أن الأب اليسوعي/ «ماريو شوننبرج»، الذي عمل مساعداً لرئيس اليسوعيين/ «بيدروا أروب»، له ملف أسود في الاتجار بمأكولات الأيتام والعجزة، فقد اكتشف أن الألمان يجلسون فوق جبل من الزبدة وأن عملية تخزينها تكلف ألمانيا (٥،٧ مليون مارك ألماني)، ففاوضهم بالنيابة عن شركة (**Humanitus**) التي قررت مساعدة فقراء العالم الثالث الذين يعضهم الجوع، وقال إنها على استعداد لشراء (٢٠٠٠ طن) من الزبدة وطالب بعمولة قيمتها بالضبط

(٥،٧ مليون مارك) سيدفعها الألمان على أي حال لتخزين الزبدة. لكن يكفى أنهم سيكسبون ثواب الله، ومزيداً من السمعة الطيبة للألمان في ملكوت السماء، وملكوت الأرض، لكن المفاجأة أن «شوننبرج» اختفى تماماً هو والـ(٥،٧ مليون مارك) وكميات الزبد بعد أن كان قد اشترط سرية الأمور والأرقام"[٥١٣] !!

---

[٥١١]- التبشير في البلاد العربية والإسلامية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص٥٦، مرجع سابق. نقلا عن: **Milligan, ١٠١**.

[٥١٢]- العالم الإسلامي والمكائد الدولية، فتحي يكن، ص٦٤، مرجع سابق.

[٥١٣] على عتبات الفاتيكان، محمد عيسى داود، ص٢٧ – ٢٨ بتصرف، مرجع سابق.

و أن ما قاله «مصطفى فالسان» ـــ قنصل رومانيا في باريس– وقد اعتنق الإسلام! يصلح لأن يكون تعليقا على ذلك حيث قال: "إن لكل أمة خلقاً تعرف به، ومن أبرز أخلاق الغربيين النفاق في ادعاء الرحمة"[٥١٤].

"فهم لا ينفقون ولا ينفعون إلا بمقدار ما ينتظرون من فوائد عاجلة، ومن أجل ذلك ألف جماعة من المبشرين كتاباً اسمه (أسس جديدة للتبشير) قالوا فيه: أعمال الخير يجب أن تستعمل بحكمة فلا تنفق الأموال في غير سبيلها فيجب أن تعطى الأموال أولاً للأباعد، ثم يقل دفعها تدريجيـــاً كلما زاد اقترابهم للكنيسة، فإذا ما دخلوها منعت عنهم أعمال الخير، ثم يجب ألا يبالغ في الناحية الخيريـــة على كل حال"[٥١٥].

فما تقدم الكنيسة للمنكوب من مواد إغاثة، يكون بالقدر الذي يسد رمقه، وإبقائه على قيد الحياة ليواصل الصراخ والعويل، وتأتي الكنيسة للتسكين، ومباشرة أعمالها، ولذلك تحاول الكنيسة إيجاد صور متأزمة دائماً للرأي العام، لتحظى بالسند والتأييد[٥١٦].

"فالقارة الأفريقية – على سبيل المثال– لم تكن قد شهدت أي نقص في الغذاء قبل مجيء المنصرين والمستعمرين، بل سجلت التقارير تفوقاً غذائياً، ولم يستطع باحث واحد –مثلاً– أن يعثر على حالة واحدة لتلف الأسنان من بين ست مجموعات (أثنية) في كينيا، ولكن بعد مجيء الاستعمار سجلت حالات كثيرة، وانتشرت أمراض كثيرة، بسبب نقص الغذاء"[٥١٧].

ولما نشطت بعض الهيئات والمنظمات والوكالات الإسلامية في مجالات إقامة المشروعات التنموية، والعلاجية، والتعليمية في المناطق التي تتهددها المجاعات وحملات التنصير في آسيا

---

[٥١٤]– قبس من حضارتنا، د. إبراهيم اليوسف، منار الإسلام، عدد٢، سنة١٩، يوليو١٩٩٣، ص٣٢.

[٥١٥]– التبشير في البلاد العربية والإسلامية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص١٩١–١٩٢، مرجع سابق.

[٥١٦]– التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص٩٣، مرجع سابق.

[٥١٧]– التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، عبد العزيز الكحلوت، ص٨٦، مرجع سابق. نقلاً عن: أوربا والتخلف في أفريقيا، ص٣٤٩.

وأفريقيا، جن جنون المؤسسات التنصيرية، وما تركت سبيلاً إلا وسلكته لمحاصرة تلك الهيئات وإيقاف نشاطها الذي وجد قبولاً وترك أثراً حيثما مورس، وبلغت أساليب المحاصرة حد الوحشية واللاإنسانية، وتفيد تقارير واردة من جنوب السودان، -حيث يدور الصراع بين الإسلام وبين أعدائه من صليبيين وغيرهم- أن بعثة طبية من مستشفى الصباح تشرف على إدارتها منظمة الدعوة الإسلامية بمدينة (جوبا)، تعرضت في العاشر من رمضان الماضي لهجوم مسلح انتهى باستشهاد أفراد البعثة وهم خمسة أفراد بينهم طبيبان وفني أشعة وسائق وحارس، ويصف التقرير العملية بالبشاعة، فبعد أن قبض عليهم، جردوا من ملابسهم وعذبوا وأهينوا ثم أطلق عليهم الرصاص وألقيت جثثهم في سيارتهم قبل اشعال النيران فيها. وتقول صحيفة (الشرق الأوسط) في عددها الصادر (١-٦ - ١٩٨٦م)، أنها وصحيفة (المسلمون) حصلتا على وثيقة تثبت تورط مجلس الكنائس العالمي في محاربة العمل الإنساني الإسلامي بعد أن أثبت فاعليته وتأثيره، مما حدا بالمجلس أن يحث حاكم مدينة (جوبا) للتعاون مع المنصرين لمحاربة العمل الإسلامي، وتشير الصحيفة إلى أن رئيس أساقفة الكنيسة الأسقفية البروتستانتية السودانية ورئيس الأساقفة الكاثوليك بالكنيسة الأرثوذكسية، طلباً من حاكم (جوبا) عقد اجتماع لوضع خطة لمواجهة الخطط الإسلامية والنشاط المتنامي لمنظمة الدعوة الإسلامية ووكالتها[٥١٨].

إن بعضاً من المنصرين الذين قاموا بإنشاء ملاجئ للأيتام ومراكز رعاية اجتماعية للفقراء والمحتاجين، التي كان من المفروض فيها أن تكون لوجه الله كما كانوا يدَّعون، سريعاً ما كشفوا عن أهدافهم المغرضة.

"فقد جاء في تصريح للكولونيل/ «باتريك مونتجمرى»: أنه بينما كان يشغل منصب الأمين العام لجمعية مناهضة الرق ومقرها لندن ما بين عامي ١٩٦٣- ١٩٨٥م تلقى دليلاً على أن الدبلوماسيين الأجانب يحتفظون بعبيد في (واشنطن ونيويورك وجنيف)،

---

[٥١٨]- الأمة، التحرير، عدد٧١، سنة٦، يوليو ١٩٨٦، ص٨٦.

وأشار في خطاب نشرته صحيفة (تايمز) إلى أن الرق كان قد ألغي رسمياً في بريطانيا عام ١٧٧٢م، ولكني حصلت على معلومات موثقة في الأعوام الأخيرة عن امتلاك عبيد، من قبل أشخاص ذوي وضع دبلوماسي يعيشون في (لندن)"[٥١٩].

وذكرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (C. I. A) في إبريل ٢٠٠٠م: "أن حوالي (٥٠ ألف) امرأة وطفل كل عام، يدخلون الولايات المتحدة ليستخدموا كعبيد"[٥٢٠]

فيأيها المنصرون: لقد انكشفت خططكم لتنصير المسلمين وافتضحت أساليبكم للعمل بينهم، وإذا كان رق الجسد شيئاً بغيضاً فإن رق الروح لأشد بغضاً وأكبر مقتاً، إنكم تمارسون رق الروح حين تقدمون مساعدتكم المادية لفقراء المسلمين وذلك بشرط قبول المسيحية التي تفرضونها عليهم، لقد قتلتم بهذا أول (حقوق الإنسان)[٥٢١] إذ حرمتموه حرية الاختيار[٥٢٢].

ومن أبرز وسائلهم المستخدمة للسيطرة الاجتماعية التركيز على موضوع المرأة على اعتبار أنها عنصر فعَّال في بناء المجتمع، وكذلك الخدمات الطبية باعتبار حاجة الأفراد الماسة للعلاج.

المطلب الأول

قضية المرأة

"اهتم التنصير بالمرأة المسلمة اهتماماً بالغاً وقالوا: أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها – ذكوراً وإناثاً – حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أنَّ النساء هنَّ العنصر

---

[٥١٩]– امتلاك العبيد في الغرب، شريف عبد المولى، الأمة، عدد٣٦، سنة٣ سبتمبر١٩٨٣، ص٦٥.

[٥٢٠]– رسالة اليونسكو، ٢ يونيو٢٠٠١، ص٣٨.

[٥٢١]– كانت الكنيسة حتى عهد البابا يوحنا ٢٣ في القرن الماضي تدين فكرة حقوق الإنسان وتصفها بالعلمانية، وتلصق بها الكثير من الصفات السلبية. ولم تجد حقوق الإنسان طريقا إلى الفاتيكان إلا في إبريل عام ١٩٦٣ عندما أصدر الفاتيكان المنشور البابوي باسم (السلام في الأرض). الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، د. مراد هوفمان، ص٩٣.

[٥٢٢]– مناظرة بين علماء الإسلام والنصرانية، ص١٦٨.

المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير المسلمين"[٥٢٣].

"فكانت الشعارات التي رفعها المبشرون، والمستشرقون، ومن تأثر بهم من أبناء ديننا لينفذوا من خلالها إلى تشويه هذا الدين وإفساد الأخلاق من طريق التستر تحت شعارات جوفاء باسم المرأة:

شعار تحريرها وكأنها أمة مسترقة.

شعار تكريمها وكأنها مهانة مرذولة.

شعار المطالبة بحقوقها وكأن حقوقها منفية مهدورة.

شعار مساواتها بالرجل وكأنها دونه في الإنسانية والكرامة"[٥٢٤].

"والذين نادوا بذلك إنما هم تلامذة المستشرقين، وبعض المستشرقين كانوا في الأصل مبشرين، وقد ترجمت دراساتهم وأبحاثهم، وتربى عليها قادة التنوير"[٥٢٥].

ولقد صرح بعضهم قبل وفاته بعامين[٥٢٦] لجريدة (الطاهر) في أكتوبر١٩٠٦م قائلاً:

---

[٥٢٣]- التبشير والاستعمار في البلاد العربية والإسلامية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص١٩٧، مرجع سابق.

[٥٢٤]- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص١٦.

[٥٢٥]- التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، ص٨٨، مرجع سابق.

[٥٢٦] – قاسم أمين: (١٨٦٥–١٩٠٨) ولد من أصل كردى ببلدة طرة من ضواحي القاهرة ونشأ بالإسكندرية وتعلم في مدارسها ثم حضر إلى القاهرة والتحق بالأزهر، ثم سافر إلى فرنسا حيث درس القانون في جامعة مونبليه وحصل منها على شهادة البكالوريوس. وفى أثناء حياته في فرنسا تأثر بما رآه هناك من حرية المرأة –على حد زعمهم–، ومشاركتها الرجل في الحياة العامة، فلما عاد إلى مصر اضطلع بالدفاع عن قضية المرأة العربية، فدعا في كتابه الأول تحرير المرأة ١٨٩٩ف إلى سفورها، ونيلها حظها من التعليم، ومشاركتها الرجل في الحياة العامة.وما أن صدر الكتاب حتى قوبل بعاصفة شديدة من النقد والتجريح والاستهجان من الذين يرون في دعوته معاول هدم يقوض من خلالها أركان البيت المصري. فانبرى قاسم أمين للرد عليهم في كتابه الثاني المرأة الجديدة ١٩٠٦، فأثارت آراؤه التقدمية جدلاً عنيفاً. انظر: أعلام الفكر العربي، سعيد جودة السحار، جـ الأول، مكتبة مصر، ص١٨. واعتذر عنها في جريدة الطاهر، ونشر أيضا في المجلة العربية عدد١٣٧. وهذا الاعتذار ليس غريباً على رجل ألف كتاباً قبل سفره إلى فرنسا للرد على المستشرق الدوق/ داركور)الذي ألف كتاباً هجا فيه المصريين ونال من دينهم، وسفه أحلامهم، وخص النساء بأكبر قسط منه، إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتهن في المجتمع

لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الإفرنج في تحرير نسائهم، وغاليت في هذا المعنى حتى دعوهم إلى تمزيق الحجاب وإشراك المرأة في كل أعمالهم ومآدهم وولائمهم، ولكن أدركت خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فقد تتبعت خطوات النساء من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهنَّ وماذا يكون شأنهم معهنَّ إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال وأخلاقهن، بكل أسف، ما جعلني أحمد الله أن خذل دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي، لقد رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا عليها بألسنة البذاءة، وما وجدت زحاماً فمرت به امرأة إلا تعرضوا لها بالأيدي والألسن"[٥٢٧].

وبتراجع بعض قادة التنوير في ذاك الحين عن آرائهم الغربية، تعالت صيحات المنصرين بأن "هناك صعوبات تقف في سبيل التبشير، وهذه الصعوبات هي التي جعلت مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م- كما يقول القس/ «فيلمنغ»- يترك المذاكرة في بادئ الأمر بمسألة التنصير، وخاض في البحث عن الوسائل التي يكون لها تأثير ولو قليلاً على الناشئة الإسلامية"[٥٢٨].

فقرر المنصر/ «زويمر» في هذا المؤتمر: "أن الغرض من التبشير ليس التنصير فقط، ولكن ما يجب على المبشر عمله هو تفريغ القلب المسلم من الإيمان بالله، وأشار إلى أن أقصر طريق لذلك هو، اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسنا، بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه"[٥٢٩]، وأبعدت

فرد على ذلك قاسم أمين حيث رفع من شأن الحجاب وعده دليلاً على كمال المرأة، وندد بالدعيات إلى السفور واشتراك المرأة في الأعمال العامة. انظر: جيل العمالقة، أنور الجندي، دار الاعتصام، ص١٣٨.

[٥٢٧]- موقع/ الها أون لاين، قاسم أمين النادم على ما اقترفت يداه، على محمد الغريب.

[٥٢٨]- الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتلية، ص٢١، مرجع سابق.

[٥٢٩]- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٧٤، مرجع سابق.

دراسة الدين الإسلامي أو أسيء إليها في بعض المقررات، وتعلمت المرأة ولكنها لم تتعلم إلا على النظام الغربي، ففقدت الهُوية الإسلامية، وأصبحت الكثيرات منهن يتطلعن إلى حياة كلها لهو ومتعة تتقلب فيها من لذة إلى مرح، ومن لهو إلى عبث، وأبعد ما يفكرن فيه أن يصبحن أمهات صالحات قانتات لله رب العالمين[٥٣٠]، إلا من رحم الله.

ويعطينا مثالا على ذلك «محمد قطب» فيقول:

"في مظاهرة النسوة في (ميدان قصر النيل)[٥٣١]، أمام ثكنات الجيش الإنجليزي ١٩١٩م، تجمع النسوة أمام ثكنات قصر النيل، وهتفن ضد الاحتلال وبدون مقدمات ظاهرة، خلعن الحجاب وألقين به على الأرض، وسكبن عليه البترول، وأشعلن فيه النار وتحررت المرأة"[٥٣٢]، ورد فعل التنصير على حركة تحرير المرأة وصفه كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية فقال: "وصفق المبشرون باليدين لأن المرأة المسلمة قد تخطت عتبة دارها، لقد خرجت إلى الهواء الطلق لقد نزعت عنها حجابها، ولكنهم لا يصفقون لأن المرأة المسلمة قد فعلت ذلك بل لأن فعلها هذا يتيح للمنصرين أن يتغلغلوا عن طريقها في الأسرة المسلمة بتعاليمهم التبشيرية"[٥٣٣].

"ودخل موضوع تحرير المرأة مرحلة جديدة منظمة بتشكيل اللجان النسائية بعد اجتماع للسيدات في الكنيسة المرقسية ٨ يناير ١٩٢٠م"[٥٣٤].

"لتقوم الاتحادات الدولية النسوية بتنسيق جهودها مع هذه اللجان. ففي عام

٥٣٠- التبشير وقوى الاستـــنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، ص٧٢، مرجع سابق.

٥٣١- ميدان التحرير حالياً بالقاهرة والذي به مقر الجامعة الأمريكية.

٥٣٢- واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص٢٥٨، مرجع سابق.

٥٣٣- التبشير والاستعمار في البلاد العربية والإسلامية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص ١٩٢، مرجع سابق.

٥٣٤- الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر، محمد محمد حسين، جـ ٢، ص٢٥، مرجع سابق.

١٩٢٣م أرسل الاتحاد الدولي النسائي برقية إلى «هدى شعراوي» و«سيزا نبراوي» يدعوهما إلى حضور مؤتمر النساء الدولي المنعقد في روما، وذهبتا إلى هناك حيث اتفق أعداء الإسلام معهما على خطوط جديدة للمؤامرة على الأسرة المسلمة"[٥٣٥].

ليتولى بعد ذلك "الاتحاد الدولي للمنظمات النسوية الكاثوليكيـــة (أوموفك umofc) هذه المهمة، و يقدر عدد أعضائه بحوالي (٣٠ مليون) امرأة، ينتمين إلى (١٤٠) من المنظمات النسوية في (٨٠) بلدًا. واشتد نشاط هذا الاتحاد في النصف الثاني من القرن العشرين، فأطلق عام ١٩٦٨م فريق عمل باسم المرأة في الكنيسة بعد قيامه بعدة دراسات حول حقوق الأسرة، ورقي المرأة، وحرية الأديان، وهذا الفريق يهدف إلى تشجيع اشتراك المرأة في حياة الكنيسة ونشاطاها وقد اتخذ هذا الفريق اليوم اسم (المرأة والكنيسة)، وهذا الموضوع بالذات كان محور أعمال الهيئة العامة للاتحاد في مؤتمره الدولي في لندن عام١٩٨٧م، كما أن (أوموفك) قد ساهم مساهمة فعالة عام ١٩٨٥م في أعمال المؤتمر العالمي الذي نظمته هيئة الأمم المتحدة بمناسبة ختام عشرية المرأة حول موضوع (المساواة، المرأة والنمو، السلام)"[٥٣٦].

ولقد "أشاد البابا/ «يوحنا بولس الثاني» بدور المرأة في مساعدة الكنيسة للقيام بدورها التنصيرى فقال: شكراً لك أيتها المرأة العاملة، المنخرطة في جميع قطاعات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية والسياسية، من أجل مساهمتك التي لا بديل عنها في تطور ثقافة من شأنها أن تقرن العقل بالعاطفة، وفى نظرة للحياة منفتحة أبداً على معنى السر الخلاصي في المسيحية، فأنت هكذا تساعدين الكنيسة والبشرية كلها

---

[٥٣٥]– الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، محمد عطية خميس، ص١٥.

[٥٣٦]– المنظمات الكاثوليكية في العالم، الأب/ جرجس القس موسى، الفكر المسيحي، عدد٢٤١، سنة٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩م، ص١٢– ١٣بتصرف.

على أن تجيب الله بنعم العروس –أي الكنيسة–"[٥٣٧]، فهو يشيد هنا بالدور الذي قامت وتقوم به المرأة، وهذا الأمر لفت نظر السيدة/ «زيجريد هونكة» فقالت:

"أولئك الذين احتفوا واحتفلوا بانتصار القيم النصرانية وكرامة الإنسان، في الصراع المفترض أنه تم بين العالمين الإسلامي والمسيحي، تراه يدرى كم دمعة ذرفتها المرأة كل يوم مستذلة مستضعفة وقد حملتها النصرانية وزر الخطيئة الأصلية وجعلتها أم المعصية، وألزمتها الخضوع للرجل سيدها، فصارت هدفاً لصفعاته؟ من منهم يدرى كم ألفاً من النساء حرقتهم الكنيسة أحياء على أعين الملأ فوق كومة الخشب المنصوبة للحرق بزعم أهن ساحرات؟ بل من يستطيع حتى يومنا هذا أن يحدس عدد المؤمنين والمؤمنات ممن تعمقوا في البحث عن الدين، وانتهوا إلى ما اطمأنوا إليه من يقين، فطوردوا وأوذوا أو قتلوا ؟"[٥٣٨].

وإذا أرادت المرأة العربية أن تتخذ المرأة الغربية قدوة لها في التحرر، فلنقرأ كلام المربية/ «غادة الهيب» حيث علقت على ذلك بقولها:

"المرأة الغربية وإن كانت قد حققت مكاسب كثيرة كحق الاعتبار، وحق التمثيل السياسي والاستقلال الاقتصادي وغير ذلك، ولكن بالمقابل فإنها جنت الكثير من السلبيات فهي سلعة تعرض وتباع وتشترى، أو تستغل لعرض سلع أخرى، فإذا أرادت المرأة حقها فعليها بالمطالبة بالحل الإسلامي العادل، وليس بالحل الغربي الذي سيسلبها كل حقوقها من حيث تدرى أو لا تدرى"[٥٣٩].

"ولقد جاء ضمن توصيات مؤتمر الجريمة الذي انعقد في جنيف عام ١٩٧٨م، من

---

[٥٣٧]– رسالة البابا/ يوحنا بولس الثاني إلى النساء، ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٩٥م، ص٥.

[٥٣٨]– الله ليس كذلك، زيجريد هونكة، ص٥٢، مرجع سابق.

[٥٣٩]– حوار مع المربية/ غادة الهيب، وهي من الشخصيات النسائية المختصة في مجال اختيار المناهج التربوية لأبناء المسلمين في أمريكا، الوعي الإسلامي، عدد٣٣٦، سنة٣٠، يناير١٩٩٤م، ص٢٩، أجرى الحوار: ابتهال قدور.

أن حركة تحرير المرأة تعنى مزيداً من النساء المجرمات، وما أصاب المجتمع الإسلامي سببه واحد: هو التعدي على حدود الله، لقد ظلمت المرأة المسلمة نفسها، ومجتمعها يوم أن قامت تدعوا إلى التحرر بعد أن كرمها الإسلام وحافظ عليها، فالتحرر الذي يريدونه اليوم ليس إلا تحرراً من الفضيلة والعفاف"[٥٤٠].

وتأكيداً على ذلك فقد نشرت صحيفة (Cyprus mail) الإنجليزية خبر تسلم «سيغولين رويال» منصب وزيرة البيئة في مجلس الوزراء الفرنسي الجديد، وفى معرض تعليق الجريدة على طرافة الموضوع ذكرت أن الوزيرة وعمرها (٣٨) عاماً، حاملاً في الشهر السادس وأنها ستكون أول وزيرة في تاريخ فرنسا ستضع حملها وهي في كرسي الحكم! ولكن الأهم من هذا بالنسبة لمن يتمسكون بالأخلاق الفاضلة، هو أن الوزيرة ليست متزوجة وتعاشر زميلاً لها برلمانياً اشتراكياً مثلها هو «فرنسوا هولاند» ولها منه عدة أولاد، وكثيراً ما كان أولادها يمرحون ويلعبون في حديقة قصر الإليزيه عند الرئيس/ «ميتران»، عندما كانت الوزيرة الجديدة مساعدته للشئون الاجتماعية والشباب والبيئة من عام ١٩٨٢ إلى عام١٩٨٨م"[٥٤١].

فهل هذه هي الحرية المنشودة للمرأة العربية والمسلمة؟ أم هي دعوى السفور والتبرج تحت مظلة الحرية المزعومة!

ونحن استشهدنا بهذا الخبر حتى نوجه للمنصرين وخاصة الغربيين منهم هذه الرسالة فنقول: أنه إذا وجد مجتمع هو بحاجة إلى الرعاية والعناية، وإلى مد يد العون له، فلن تجدوا مجتمعا أحوج إلى ذلك من مجتمعكم الذي جئتم منه ونشأتم فيه، فهلا ذهبتم إليه ووجهتم فيه طاقاتكم المبذولة في مجتمعنا العربي الذي أشادت به صحيفة (هلين)

---

[٥٤٠]– التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير، محمد رشدي أبو شبانة، ص١٠٦، مرجع سابق.

[٥٤١]– الوعي الإسلامي، عدد٣١٦، سنة٢٩، يونية ١٩٩٢، ص٤٦، نقلاً عن: صحيفة cyprusmail اليومية عدد٤ إبريل ١٩٩، ص٢٠.

اليهودية فقالت: المجتمع العربي متكامل وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي يقيد بها الفتاه والشاب في حدود المعقول وإن هذا المجتمع، يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، ففي مبادئ الإسلام عدم الإباحية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا لانتشار الإيدز وأمراض ربما تظهر في المستقبل القريب لأول مرة، ويجب أن يتمسك المسلمون بأخلاقهم ومنع الاختلاط وتعود المرأة المسلمة لحجابها فهذا خير من حياة المجون والإباحية"[٥٤٢].

"ومحاولات التنصير ما زالت دؤوبة، لإخراج المرأة المسلمة من سمتها وحشمتها بحجة التحضر والانطلاق، ثم إقحامها في أنشطة اجتماعية وسياسية ليست بالضرورة في حاجة إليها، ودائماً ما يكثرون الحديث عن موقف الإسلام من المرأة فيما يتعلق بحقوقها وواجباتها من موازين ومنطلقات غربية وغريبة عن طبيعة الإنسان بعامة، والمرأة فيه بخاصة"[٥٤٣].

والتي كانت نتائجها في الغرب كما "ذكرت ذلك إحصائية قامت بها وزارة العدل الأمريكية، أن حالات جرائم الاغتصاب بلغت خلال عام ١٩٨١م حوالي (١٧٨،٠٠٠) حالة، لكن الحقيقة غير ذلك لأن الآتي يبلغن عن جرائم اغتصابهن واحدة من (٢٥) امرأة تم اغتصابهن بالفعل"[٥٤٤]، وبذلك يكون الناتج (٨،٩٥٠،٠٠٠) أي ما يقرب من التسعة ملايين امرأة خلال عام واحد، وفى دولة واحدة. "وفي الدول الغربية بصفة عامة يسمحون بإجهاض خمسين مليون امرأة سنوياً بينهن (٤٥ مليوناً) حملن سفاحاً، هذا بخلاف التجارة في الحيوانات المنويـــة للعباقرة، حيث تشتريه شركات خاصة وتبيعه للراغبات في إنجاب العباقرة"[٥٤٥].

"وفى (إسبانيا) الكاثوليكية أعلن راديو مدريد أن الخيانة الزوجية لم تعد جريمة يعاقب

---

[٥٤٢]- منار الإسلام، عدد١١، سنة١٠، إبريل١٩٩٤، نقلاً عن: صحيفة هيلين اليهودية التي تُراسل٢٥٠ صحيفة عالمية.

[٥٤٣]- التنصير مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، د. على إبراهيم النملة، ص٤٩ – ٥٠، مرجع سابق.

[٥٤٤]- الوجه الأخر لأمريكا: العنف الخاص، حسين الحسي، منار الإسلام، عدد٣، سنة٩، ديسمبر١٩٨٣.

[٥٤٥]- أخلاق الغرب تحتضر، د. محمد على البار، منار الإسلام، عدد٤، سنة٢١، أغسطس – ١٩٩٥، ص١٢٧.

عليها القانون"[٥٤٦].

"هذا وفى الوقت الذي يهاجم فيه القساوسة الإسلام من باب الطلاق تارة ومن باب تعدد الزوجات أخرى. نشرت صحيفة (الخليج) التي تصدر في دولة الإمارات العربية خبراً تحت عنوان (ريتا تطلب ٢١ مليون دولاراً تعويضاً من ٧ قساوسة) جاء فيه:

«ريتا ميلا» البالغة من العمر اثنين وعشرين عاماً، التي تقطن في الولايات المتحدة في ولاية كاليفورنيا، تحتضن طفلتها التي أنجبتها سفاحاً، وتزعم ريتا أن حملها جاء بعد أن قام عدد من رجال الدين الكاثوليك بالاعتداء عليها اغتصاباً، وتعتقد «ريتا» أنها حملت من أحدهم. وقد رفعت قضية تطالب فيها بتعويض، بعد أن أفقدها رجال الدين الكاثوليك عذريتها، ولم تتجاوز السادسة عشرةمن عمرها، وتشير حيثيات القضية، إلى أن القساوسة تناوبوا على اغتصابها في المترل المخصص لهم"[٥٤٧].

وهذه الأخلاق ليست غريبة على أعضاء السلك الكهنوتي "ففي عصر النهضة، يقول «فولينجو» في كتاب (أرلنديىنو): يبدو أن الراهبات، وملائكة الرحمة في هذه الأيام، كان لهن نصيب من هذا المرح، وإنهن كن مرحات رشيقات في روما بنوع خاص حيث كانت أديرة الرجال والنساء متقاربة قرباً يسمح لمن فيهما بالاشتراك من حين إلى حين في فراش واحد، وتحتوى سجلات الأديرة على عشرين مجلداً من المحاكمات بسبب الاتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات"[٥٤٨]، "وتقول القديسة/ «كاترين السينائية»:

فإنك أينما وليت وجهك سواء نحو القساوسة أو الأساقفة أو غيرهم من رجال الدين، أو الطوائف الدينية المختلفة، أو الأحبار من الطبقات الدنيا أو العليا، سواء كانوا صغاراً في

---

[٥٤٦]- رسالة إلى البابا والفاتيكان ذو الألف وجه، د. عبد الودود شلبي، المختار الإسلامي- القاهرة، ص١٤٣.

[٥٤٧]- منار الإسلام، عدد٤، سنة١٠، يناير ١٩٨٥، ص١١٢.

[٥٤٨]- قصة الحضارة، ول ديورانت، مج٢١، جـ٢١، ص٨٤، مرجع سابق.

السن أو كباراً لم تر إلا شراً ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة"[٥٤٩].

وفي منتصف تسعينيات القرن العشرين "أقر الفاتيكان بأن الراهبات الكاثوليك يتعرضن لتحرش جنسي من جانب القساوسة، لكنه هون من حجم المشكلة مشيراً إلى أنها محدودة. وقد جاءت تعليقات الحاضرة الكاثوليكية رداً على مزاعم وردت في هذا الصدد في أسبوعية (ناشيونال كاثوليك ريبورتر) الصادرة في الولايات المتحدة. حيث ذكرت الصحيفة: أنها رصدت بعض الحالات التي حملت فيها الراهبات من قبل القساوسة ثم أجبرت على الإجهاض عقب ذلك. وقد استند المقال التفصيلي الذي نشر في الصحيفة إلى خمسة تقارير أعدت من قبل رجال دين كاثوليك في الفترة من عام أربعة وتسعين وحتى الوقت الحاضر، واعترف المتحدث باسم الفاتيكان «جواكين نافارو فولز»: بأن قيادة الكنيسة الكاثوليكية تعرف بهذه المشكلة التي كانت موجودة في منطقة جغرافية محدودة. لكن التقرير الذي نشرته المجلة تناقض مع ما قاله المتحدث باسم الفاتيكان. حيث رصد ثلاثة وعشرين دولة وقعت فيها هذه الانتهاكات من بينها الولايات المتحدة وإيطاليا والهند وايرلندا بعض الدول العربية وكان الأب/ «روبرت جي فيتيلو» قد ألقى محاضرة في عام أربعة وتسعين (١٩٩٤م)، ونقل عنه القول: أنه سمع شخصياً قصصاً مأساوية عن نساء متدينات أجبرت على ممارسة الجنس مع قساوسة أو رجال دين أقنعوهم بأن ممارسة الجنس أمر مفيد للطرفين، والراهبات المتضررات حاولن تقديم شروح إلى السلطات الكنسية حول هذه القضية ولم تجدن آذاناً صاغية"[٥٥٠].

ولذلك حينما سئلت «زيجريد هونكة» "في إحدى المؤتمرات الإسلامية، ما نصيحتك للمرأة العربية؟ أجابت: إذا أرادت المرأة العربية طي الماضي بخلعها الحجاب، فلا ينبغي

٥٤٩- المرجع السابق نفسه، ص٨٥.

٥٥٠- موقع/ Albalgh (البلاغ)، الفاتيكان يهون من تقرير عن اغتصاب الراهبات.

أن تتخذ المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بالفكر الغربي العقائدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تتمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح"[٥٥١].

وتقول السيدة/ «اليزابيث» التي أصبح اسمها بعد إسلامها «فاطمة»:

وجدت أن المرأة في الإسلام لها من الحقوق ما ليس للمرأة الإنجليزية والأمريكية فهي دائماً تحتفظ بأملاكها وأموالها، وحرية التصرف فيها، كما تحتفظ بنسبها إلى أبويها، أما المرأة المسيحية أيا كانت فإنها تنتسب إلى زوجها دون أبيها، ولا يمكنها التصرف في مالها إلا بإذن زوجها"[٥٥٢].

ولذلك، فإنه يحق لنا كمسلمين أن نُدين "اليوم الذي احتفلت فيه معظم الدول العربية والإسلامية بيوم المرأة العالمي في ٨ مارس ١٩٨٦م، لأن معظم اللآتي والذين احتفلن بهذا اليوم لا يعلمن أن هذا التاريخ خلدت به بضع نساء أمريكيات قتلن يوم ٨ مارس عام١٩٠٨م، أثناء مطالبتهن بحقوقهن، والمرأة الأمريكية حينما فعلت ذلك! إنما كانت تطالب بحقوق إنسانية حرمت منها وما زانت، أما المرأة المسلمة في بلادنا فإنها أول امرأة في العالم تحصل على حقوقها بقانون سماوي كرمها ووضعها في أسمى مكانة"[٥٥٣].

"إذاً فالمرأة المسلمة لم تكن لها قضية إنما كانت القضية الحقيقية هي انحراف عن الدين تبعه انحراف وتخلف في جميع مجالات الحياة. وما حدث للمرأة المسلمة من عدم إعطائها حقها وعدم وضعها في الموضع اللائق بها ما هو إلا صورة من صور التخلف الذي أصاب الحياة

---

[٥٥١]– الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، ص٧٢، مرجع سابق.

[٥٥٢]– قوى الشر المتحالفة، محمد الدهان، ص٢٣، مرجع سابق.

[٥٥٣]– منار الإسلام، عدد٨، سنة١١، ١٩٨٦، ص١٢٨.

الإنسانية، فالقضية قضية أمة إسلامية يتآمر عليها الاستعمار لسحقها من الوجود"[٥٥٤].

المطلب الثاني

الخدمات الطبية

نجد الكثيرين من المنصرين يتجاهلون القوانين الدولية والمباديء الإنسانية[٥٥٥] فيستخدمون الطب كوسيلة للضغط على المريض صاحب الألم حيث يقوم المنصر بمساومة المريض على دينه وعقيدته مقابل تطبيبه.

وحسبك دليلاً على ذلك قولهم: "حيثما تجد بشراً تجد آلاماً، وحيثما تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير"[٥٥٦].

"وقد ظهرت أهمية التطيب كوسيلة في التنصير في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري -التاسع عشر الإفرنجي- فهو الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية لإقناع الناس، والسلطات المحلية بوجود المنصرين لا سيما في البلاد المغلقة أمام التنصير العلني"[٥٥٧]، ولذلك فالإرساليات الطبية بمثابة الشوك في الأجسام بالنسبة لزعماء المسلمين الذين يسألون أنفسهم قائلين إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا[٥٥٨]، فمن القسوة أن نستخدم مهنة نبيلة يحتاج إليها الناس لإجبارهم على الخضوع.

"وكان أول من غير سُنَة «ابقراط» الأمريكيون حينما بدأوا ينشئون عيادة طبية في

٥٥٤- التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير، محمد رشدي أبو شبانة، ص١٠١، مرجع سابق.

٥٥٥- من ضمن الحقوق الأساسية للمرضى. المتعارف عليها عالمياً اليوم: (حق التفكير) وهذا الحق يشمل منع أي إشارة دينية أو سياسية أو نقابية في غرفة المريض والمستشفى، كذلك أي محاولة اعتناق لرأى أو معتقد تحت تأثير الظروف الصعبة التي يمر بها المريض. الإمعان في حقوق الإنسان، هيثم مناع، ص٢١٣.

٥٥٦- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص٥٣، مرجع سابق. نقلاً عن: ١٣٣، Milligan

٥٥٧- التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص٦٨، مرجع سابق.

٥٥٨- التبشير والاستشراق خططاً ومنهجاً وتطبيقاً، عبد الله عبد الحي محمد، ص١٩٨، مرجع سابق.

(سيواس) بتركيا عام ١٨٥٩ م"[٥٥٩]، وهكذا نظر الأمريكيون منذ ذلك الحين إلى الطب على أنه معين على التنصير ".

فيقول الطبيب/ «بول هاريسون» في كتابه (الطبيب في بلاد العرب): إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى"[٥٦٠].

ومعنى هذا أن المنصرين حينما يقيمون مستشفى فى بلد ما فالغرض الأول والأخير هو التنصير بكل معانيه السياسية والدينية والاقتصادية فقبل أن تأخذ الدواء يكون الإنجيل فى يدك.

من أجل ذلك "فالمبشرون لا يرحبون بإنشاء مستشفيات وطنية في مناطق عملهم لأن ذلك يمنعهم من اقتناص الصيد الذي جاءوا من أجله"[٥٦١]. فأحيانا يقفون حائلا بوسائطهم السياسية ليمنعوا الحكومات من إنشاء مستشفى أو أي جهة إسلامية، فلما نشطت بعض الهيئات والمنظمات والوكالات الإسلامية في مجالات إقامة المشروعات التنموية والعلاجية والتعليمية قامت المنظمات التنصيرية بوضع الخطط لمحاربتها"[٥٦٢]. وبجانب المحاربة المادية تكون المحاربة المعنوية بالتشكيك في قُدرة الأطباء المسلمين على العلاج والإشادة بالطبيب المسيحي وقدرته الفائقة في العلاج.

والحق نقول "إن أسوأ ما في هذا العمل أن ينسب إلى دين كانت أهم شعاراته وشعائره الرحمة والمحبة"[٥٦٣] ،ولقد بلغ الأمر ببعض المنصرين مبلغاً تقشعر منه النفس، ذلك حينما "حملت أم طفلها المريض إلى مستوصف الناصرة بالسودان، ولكن الطفل مات في أثناء

---

[٥٥٩]– التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص٥٣، مرجع سابق. نقلاً عن: Addison ،٩٢

[٥٦٠]– المرجع السابق، ص٥٣.

[٥٦١]– حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، ص١٨٠، مرجع سابق.

[٥٦٢]– الأمة، عدد١٧، سنة٦، يوليو١٩٨٦، ص٨٦.

[٥٦٣]– أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، د. عبد الودود شلبي، ص٥٤.

الطريق الطويلة، فلم يُعز الطبيب هذه الأم الثكلى، بل جلس يُكَرز عليها بالإنجيل"[٥٦٤].

وفى بلدة (الناصرة) في السودان كانوا لا يعالجون المريض أبداً إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن المسيح هو الذي يشفيه. ومما يذكر أيضا: ما حدث فى الحبشة من كون المنصر لا يقدم العلاج للمرضى قبل أن يركعوا أمامه سائلين المسيح عليه السلام أن يشفيهم[٥٦٥].

وهناك جانب آخر يمكن أن نعده أسوأ من سابقه وهو: "أن البعثات الطبية التنصيرية تستغل -معظمها- في إجراء التجارب حول مدى صلاحية الأدوية التي ترفض إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية (F. D. A) إجراءها على المجتمع الأمريكي، وكذا الأوربي قبل أن تثبت فعاليتها في الأرانب أو الفئران، فَيُؤْتى بها إلى المناطق التي تتركز فيها مستشفيات ومستوصفات ومختبرات تنصيرية، فتجرى فيها التجارب على البشر ثم يكتب بها تقارير إلى إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية فيتم تركيبها وتصنيعها ثمَّ تصرف للناس، ومع أن هذا ليس هدفاً لهذه المؤسسات الطبية، فإن المنصرين لا يمانعون من القيام به"[٥٦٦].

فَجُلّ المنصرين إن لم نقل كلهم قد أوقع في البلاد أضراراً تفوق الخدمات الطبية التي أسداها أضعافاً مضاعفة[٥٦٧]، فمعظم الأطباء المنصرين تنقصهم الدراية الطبية الصحيحة، ودليل ذلك أنه في عهد التنصير والاستعمار في أفريقيا انتشرت في هذه القارة أمراض كثيرة كان أخطرها الدرن والأنيميا، والملاريا، والبلهارسيا، والجذام، والبري بري بينما أثبتت التقارير أن صحة الأفارقة الذين لم يحتكوا بالمستعمرين والمنصرين هي أفضل بكثير من صحة غيرهم[٥٦٨].

ولم يكتف أولئك المنصرون بهذا بل عَمِدوا إلى استغلال أشد مواقف الضعف

---

[٥٦٤]- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص٥٦،مرجع سابق. نقلا عن: Milligan,١٥٨ .

[٥٦٥]- حقائق عن التبشير، عماد شرف، ص٥٤، مرجع سابق.

[٥٦٦]- التنصير مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، ص٤٧، مرجع سابق.

[٥٦٧]- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، ص٥٥ بتصرف، مرجع سابق.

[٥٦٨]- التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، عبد العزيز كحلوت، ص٨٩ بتصرف، مرجع سابق.

الإنساني وهى لحظة الاحتضار ليبشروا بالإنجيل، فيقول المنصر/ «سمبسون»:

"إن المرضى الذين ينازعهم الموت بوجه خاص لا بد لهم من مراجعة الطبيب وحسن أن يكون هذا الطبيب المبشر في جانب المريض عندما يكون في حالة الاحتضار التي لا بد أن يبلغها كل واحد من أفراد البشر، ويقول الدكتور المنصر/ «أراهارس»: يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك"[٥٦٩].

"والمبشرة/ «ايرا هاريس» تنصح الطبيب الذاهب بمهمة تنصيرية قائلة:

يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه"[٥٧٠]. ويشير الأب/ «أنطون فرانسيس» في العام ١٩٩٩م إلى أن البابا/ «يوحنا بولس الثاني» يؤكد على ذلك بقوله: تُلح الرسالة العامة (إنجيل الحياة) لـ«بولس الثاني» على ضرورة الاهتمام بالمسنين وخاصة العجزة، والمرضى في أيامهم الأخيرة، كما توضح الهُوية الحقيقية للمستشفيات والعيادات ودور العناية في كونها أماكن حيث الألم والعذاب والموت حيث تفهم وتفسر رسالة الإنجيل خاصة إذا كانت هذه الأماكن تابعة للكنيسة"[٥٧١].

ولتأمين الحضور المسيحي في الأوساط والمنظمات الطبية العالمية تم إنشاء الاتحاد

---

[٥٦٩]– الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتلية، ص٢٣–٢٤، مرجع سابق.

[٥٧٠]– التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، ص٥٧، مرجع سابق. نقلا عن: Me thods of missions, ١٠٥.

[٥٧١]– السلوك المسيحي وفقاً للتعليم المعاصر للكنيسة وتطبيقــه في الشرق، أنطون فرنسيس، مجلة صديق الكاهن، عدد٤، سنة٣٩، أكتوبر١٩٩٩.

الدولي للجمعيات الطبية الكاثوليكية (فيامك FIAMC)[٥٧٢] والذي يعمل إلى جانبه جمعيات صيدلانية وأخرى للموظفين الصحيين المسيحيين[٥٧٣]

والشئ الذي يكشف لنا الأهداف السياسية لبعض المؤسسات التنصيرية خاصة المتسترة بالخدمات الإنسانية، أنه في الوقت الذي تطالعنا فيه "إحصائية نشرت عام ١٩٨٩م، بأن الكنيسة تمتلك في أفريقيا (٦٠٠) مستشفى"[٥٧٤]، نجد أنه "قد بلغ عدد المرضى المسجلين في قوائم الانتظار بالمستشفيات الحكومية في إحدى البلدان الغربية – انجلترا – نهاية مارس ١٩٩٤م رقماً قياسياً تجاوز المليون لأول مرة في تاريخ العلاج الطبي هناك، وجاء في إحصاء رسمي أنه من بين مليون وخمسة وستين ألفا وثلاثمائة وتسعة وتسعين مريضاً مسجلين في هذه القوائم هناك أربعة وستون ألفا ينتظرون منذ فترة تتراوح بين سنة وسنتين وهذه القوائم تضم مصابين بأمراض خطيرة وقاتلة تحتاج إلى إجراء سريع"[٥٧٥]!!!

ليتبين لنا "أن كثيرا من المنصرين وجهوا اهتمامات كبرى لتنصير المسلمين من خلال خدماتهم الطبية –المزيفة – في معظم بلدان العالم الإسلامي الكبرى والصغرى واستثمروا مؤسساتهم الطبية استثماراً واسعاً مع قيامهم بمهمات التنصير"[٥٧٦].

فالحق نقول إن العمل التنصيري الذي ينتهج هذه السياسة المقيتة في عمله، ما هو إلا صورة من صور الوباء دخلت لبلاد الإسلام مع الاستعمار أو بسببه[٥٧٧].

---

[٥٧٢] – فيامك: يعود إنشاؤه إلى عام ١٩٦٦ بعد اجتياز مراحل توحيدية وتأسيس سكرتاريات عامة منذ عام ١٩٢٤:١٩٥٤، وهناك جمعيات طبية مسيحية عدة في العالم يعود إنشاء أولاها إلى عام ١٨٨٤ف، الفكر المسيحي، عدد٢٤١، سنة٢٥، يناير ١٩٨٩.

[٥٧٣] – المنظمات الكاثوليكية الدولية، الفكر المسيحي، ص١٦، مرجع سابق.

[٥٧٤] – التنصير، زينب أبو الفضل، منار الإسلام، عدد٢، سنة٢٠، يوليو١٩٩٤.

[٥٧٥] – الوعي الإسلامي، التحرير، عدد ٣٤٢، سنة٣١، يوليو ١٩٩٤، ص٨١ بتصرف.

[٥٧٦] – التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، ص٦٨، مرجع سابق.

[٥٧٧] – الغزو الثقافي، د. أحمد شلبي، منبر الإسلام، عدد٦، سنة٥٨، سبتمبر – أكتوبر١٩٩٩، ص٨٦.

الفصل الثاني

خطورة العمل التنصيري المعاصر في العالم العربي

المبحث الأول: اتحاد الكنائس.

المبحث الثاني: التنصير في ثوبه الجديد.

المبحث الثالث: وضع التنصير في الوقت الحاضر.

المبحث الأول

اتحاد الكنائس

"يخدع نفسه من يتصور أن عمليات التنصير في العالم الإسلامي تقوم بها قوى متعددة كل منها يعمل وفق ما تيسر له العمل، وإنما الأمر الذي أكدته تجربة المسلمين المرة مع الصليبية الحاقدة، ومن بعدها الشيوعية الملحدة، أن هذه القوى المتعددة التي تجمعها وحدة الهدف تنطلق وفق خطط موحدة وغايات مرسومة من منطلق أطماع دولية تستهدف في خاتمة المطاف أمة الإسلام"[٥٧٨].

فبموجب اتفاق (لتران ١٩٢٩م)، واضطلاع الفاتيكان بدور رعائي دستوري منظم للحركات النصرانية في الغرب غَدا العمل التنصيري أكثر تنظيماً وفاعلية[٥٧٩].

ومنذ ذلك الوقت والفاتيكان يحاول أن يوحد العمل التنصيري بعد أن فشل في أن يوحد العقيدة النصرانية والتفريق بينهما مهم، بسبب أنه نجح في الأولى بينما فشل في الثانية، والأمر الأول هو الذي تدور حوله جُلّ الاجتماعات المنعقدة بين الطوائف الكنسية المختلفة. على الرغم من الاختلافات التي بينهم في العقيدة التي تصل إلى حد التكفير.

وفى المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥م) صدر قراراً ينص على أنه "يجب أن يكون لجميع الإرساليات ولكل النشاط الإرسالي مجمع واحد مسئول هو (مجمع انتشار الإيمان) يرجع إليه تنظيم العمل الإرسالي والتعاون الإرسالي وتنسيقهما في كل مكان من الأرض، على أن تصان حقوق الكنائس الشرقية. ويكون دور هذا المجمع:

- إيجاد المرسلين وتوزيعهم على المناطق توزيعاً يتمشى والحاجات الملحة في كل منطقة.
- وضع خطة منظمة للعمل.
- يجب أن تصدر عنه الأنظمة الإدارية والمبادئ التي يسير عليها التبشير الموافق للإنجيل.

---

[٥٧٨]- أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، صابر طعيمة، ص١٧٩.

[٥٧٩]- العالم الإسلامي والمكائد الدولية، فتحي يكن، ص٦٤، مرجع سابق.

– المجمع هو الذي يدعو إلى جمع التبرعات جمعاً فعّالاً، وينظمها لتتوزع توزيعاً تراعى فيه الحاجة أو الفائدة، كما يراعى فيه اتساع رقعة المناطق وعدد المؤمنين وغير المؤمنين، والأعمال والمؤسسات، والخدمة والمرسلين.

– لا بد لهذا المجمع من أن يكون لديه أبداً عدد من المستشارين والخبراء، الذين امتازوا بالعلم أو الخبرة، يرجع إليهم في التقاط الآراء الملائمة في ما يتعلق بوضع البيئة في شتى المناطق، وبطريقة التفكير لدى الجماعات البشرية المختلفة وفي ما يتعلق بأساليب التبشير التي يجب اعتمادها، كما يرجع إليهم أن يقدموا نتائج علمية ثابتة لأجل العمل والتعاون الإرسالي ويجب أن تتمثل في هذا المجمع تمثلاً لائقاً مؤسسات الراهبات والرهبان، والمشاريع الإقليمية لأجل الإرساليات ومنظمات العلمانيين، ولا سيما الدولية منها"[580].

أولا: الاتحاد بين الكاثوليك والأقباط الأرثوذكس.

وأقيم بعد هذه الدعوة "مجمع مسكوني بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة القبطية الأرثوذكسية ابتداءً من عام ١٩٧٣م، لتكون المرة الأولى في تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، التي يحضر بطريرك قبطي لمقابلة الحبر الروماني وللتشاور معاً في شؤون الاتحاد بين الكنيستين، وفى اليوم العاشر من مايو عام ١٩٧٣م، صدر بيان مشترك من الحبر الروماني وبابا الإسكندرية بشأن هذا اللقاء التاريخي وأقر به ووقع عليه كلاً من الحبرين وجاء فيه:

– الإقرار بالنقاط العقائدية المشتركة.

– ذكر بعض الخلافات.

– الرغبة الصادقة في السعي المتواصل لتحقيق الاتحاد المنشود وتعميق صلات المحبة بين أبناء الكنيستين.

– نبذ كل أنواع الضم البغيض من كلا الطرفين.

---

[580]– المجمع الفاتيكاني الثاني، تنظيم النشاط الإرسالي، قرار رقم ٢٩، ص٥٢٧– ٥٢٨، مرجع سابق.

- تبادل الآراء ووجهات النظر والخبرات فيما يؤول إليه صالح الجميع في سائر الأمور الاجتماعية والثقافية.

كما اتفق الطرفان على تكوين لجان متخصصة مشتركة تضم من جانب الكاثوليك أعضاء من مجلس الوحدة المسيحية البابوي بروما، ومن الكنيسة القبطية الكاثوليكية، ومن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، أعضاء من الأساقفة والكهنة والعلمانيين على غرار الجانب الكاثوليكي.

وتوقفت اجتماعات الحوار المسكوني بسبب صدور قرار الرئيس/ «السادات» بالتحفظ على البابا/ «شنودة» داخل أسوار دير (أنبا بيشوي) بوادي النطرون وعدم التصريح له بمزاولة مهامه البطريركية. ولكن هذه الاجتماعات استؤنفت بعد عودة البابا/ «شنودة» إلى كرسيه البطريركي في يناير من عام ١٩٨٥م"[٥٨١].

وهكذا "اتفق الفاتيكان مع الكنيسة الشرقية التي ظل يحاربها طوال ستة عشر قرنا، ويَعُدُّها مارقة عن التعاليم الصحيحة، ومد إليها يده ليواجه هؤلاء وأولئك الإسلام معا"[٥٨٢].

ثانيا: الاتحاد بين البروتستانت والكاثوليك:

"نشرت مجموعة (دومب) عدة وثائق تعرض اتفاقاً لاهوتياً بين البروتستانت والكاثوليك حول أكثر من موضوع منها اتفاق الخدمات عام ١٩٧٣م، والخدمة الأسقفية عام ١٩٧٦م"[٥٨٣].

"كما استقبل البابا/ «يوحنا بولس الثاني» في روما من ٨:١١مارس من عام ١٩٨٩م، وفداً مكوناً من (٣٦) مطراناً من مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، حيث عبرت عن روح الانفتاح والتضامن الكنسي من أجل تبادل الخبرات ووجهات

٥٨١- تاريخ الكنيسة، مج٢، عدة مؤلفين، بحث بعنوان: مساعي الاتحاد بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة القبطية الأرثوذكسية، الأب/ بيشوي فوزي، ص١٧٥- ١٧٦.

٥٨٢- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، محمد الغزالي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ثانية ١٩٨٥، ص٨٦.

٥٨٣- تاريخ الكنيسة، مج١، الأب/ جان كمبي، ص ٤٥٠، مرجع سابق.

النظر حول التطورات الحالية في المجتمع الأمريكي"[584].

"ولقد صرح اللورد/ «فيشر أوف لامبث» رئيس أساقفة كنتربري السابق، أمام المجلس البريطاني للكنائس أن كنيسة روما لم تعد بعد عدواً. بل أصبحت حليفة للكنائس الأخرى، وإن ذلك لتطور مدهش بل فصل جديد من فصول التاريخ العام وفصول التاريخ المسيحي بصفة خاصة، إن الخلاص أو السلامة لا يبدأ إلا حين يعترف الإنسان بأخطائه ويعلن أسفه، لقد بدأت كنيسة روما تعقل هذا، وكذلك بدأنا نحن"[585].

وبذلك "اتفق الكاثوليك مع البروتستانت وتنوسيت الخلافات والمعارك الداخلية بين الفريقين، وأمست المؤتمرات المسيحية تجمع بين الفريقين ليواجهوا الإسلام"[586].

ثالثا: الاتحاد بين الولايات المتحدة وبريطانيا

"يوجد اتحاد فيدرالي بين محفلي الولايات المتحدة وبريطانيا يسمى (اتحاد الكنائس)، لتنسيق الجهود التبشيرية، ولتنفيذ سياسة اتحادية استعمارية في ربوع العالم الإسلامي، وينعقد مرة كل بضع سنوات، تارة في الولايات المتحدة، وأخرى في بريطانيا"[587].

تفعيل الاتحاد بين الكنائس:

يقول القس/ «رياض جرجور»: "النصف الثاني من القرن العشرين كان مميزاً في دفع مسيرة الوحدة إلى الأمام، من خلال المؤسسات التي أنشأت بغاية السعي نحو الوحدة كمجلس الكنائس العالمي، وأمانة سر وحدة المسيحيين الفاتيكانية، ومجلس كنائس الشرق الأوسط الذي تأسس عام ١٩٧٤م"[588]، "وشارك فيه الكاثوليك بجانب إخوتهم الأرثوذكس والإنجيليين كأعضاء كاملي العضوية وليس كمراقبين في عام ١٩٩٠م"[589]

---

[584]- الفكر المسيحي، التحرير، عدد٣٥٦ - ٣٥٥، سنة٣٦، مايو- يوليو ٢٠٠٠، ص١٤٧.

[585]- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص٢٥٤.

[586]- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، محمد الغزالي، ص٨٦، مرجع سابق.

[587]- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد، ص٣٢، مرجع سابق.

[588] - المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مرجع سابق، بحث للقس/ رياض جرجور، ص٩٠١،٩٠٠ بتصرف.

[589]- الفكر المسيحي، التحرير، عدد٢٥١-٢٥٢، سنة٣٠، ١٩٩٠، ص٤١.

"وعن أهم المؤتمرات التي عَقَدَها الهيئة العامة لمجلس الكنائس العالمي وقد أضحى أشهر منبر عالمي للحركة والعمل المسكوني هي:

* مؤتمر افينستون، (قرب شيكاغو في الولايات المتحدة)، بحضور (١٦٣) كنيسة من (٤٨) بلداً في أغسطس من عام ١٩٥٤م، حول موضوع (الرجاء المسيحي في عالم اليوم).

* مؤتمر نيودلهي (الهند)، بحضور(١٩٣) كنيسة من (٦٨) بلداً في نوفمبر من عام ١٩٦١، حول موضوع (يسوع المسيح نور العالم).

* مؤتمر أوبسالا (السويد)، بحضور (٧٠٤) مندوباً يمثلون (٢٢٤) كنيسة في يوليو من عام ١٩٦٨م، حول موضوع (هاأنذا اجعل كل شئ جديداً).

* مؤتمر نيروبي (كينيا)، بحضور(٦٧٧) مندوباً عن (٢٨٢) كنيسة في يناير من عام ١٩٧٥م، حول موضوع (أزيلوا الحواجز).

* مؤتمر فكوفر (كندا)، بحضور (٨٣٥) مندوباً عن(٣٠١) كنيسة في يوليو من عام ١٩٨٣م، حول موضوع (مجتمعون من أجل الحياة)"[٥٩٠].

* "وتحت عنوان (الإيمان المسيحي والخلافات البشرية) عقد في بطريركية موسكو الأرثوذكسية مؤتمر حوار لاهوتي في يونيو عام ١٩٩٤م شارك فيه زهاء (١٥٠) ممثلاً عن الكنيسة الأرثوذكسية، واتحاد المسيحيين المعمدانيين البروتستانت، والكنيسة الكاثوليكية، ودعوا إلى إقامة لجنة مشتركة قوامهـــا (٢٢) عضواً من الكنائس المختلفة"[٥٩١].

* "وفي نهاية يوليو من عام ٢٠٠٠م اجتمع، لمدة أسبوع في (ستراسبورغ) (٣٠٠) شخص من كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت وإنكليكان من مختلف أنحاء أوربا وأمريكا، وتخلل هذا الأسبوع محاضرات وصلوات واحتفالات دينية، وهذا اللقاء انعقد بمبادرة من جمعية الصداقة المسكونية العالمية، التي ظهرت في أعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني"[٥٩٢].

"وحينما قام البابا/ «يوحنا بولس الثاني» بإحياء ذكرى شهداء القرن العشرين حضر

---

[٥٩٠] – نشأة الحركة المسكونية المعاصرة، الأب/جودت القزي، الفكر المسيحي، عدد٢٥٨ –٢٥٧ س٢٦– ١٩٩٠، ص٣٢٦.

[٥٩١] – الفكر المسيحي، التحرير، عدد٢٩٩– ٣٠٠، سنة٣٠– ١٩٩٤، ص٢٣٥.

[٥٩٢]– الفكرالمسيحي، التحرير، عدد٣٥٧– ٣٥٨، سنة٣٦– ٢٠٠٠، ص٢٠٠.

الاحتفال موفدون من (١٩) كنيسة كاثوليكية، وأرثوذكسية، وبروتستانتية"[٥٩٣].

ويمكن أن نعزي نمو حركة العمل الاجتماعي المسيحي في مصر بهذه الصورة التي هي عليها الآن، إلى التنسيق والتكامل الذي تم بين الكنيسة المصرية والهيئات والمنظمات التنصيرية العالمية التي بدأت منذ عام ١٩٢٨م"[٥٩٤].

وهذا الاتحاد الذي تسعى إليه الكنائس هو ما كان يحلم به «لويس التاسع» في حملته الصليبية السابعة، حينما قال: "إنه لم يعد في وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام، وإن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوربا كلها لتضيق الخناق على الإسلام ثم تقضى عليه، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا"[٥٩٥].

ومن هنا يتبين لنا أن السياسة التنصيرية ثابتة لا تتغير بتغير الأشخاص، ولا بتقادم الزمن، لأن منهاج العمل ثابت، وما على الإداريين إلا التنفيذ وفق هذا المنهاج دون تغيير أو تبديل، والذين يضعون هذا البرنامج هم أعضاء المحفل العام أثناء انعقاد المحفل[٥٩٦].

وهكذا... فالعالم المسيحي اليوم يعمل الآن على التكتل، ويحاول رجال الدين فيه أن يأتلفوا ويتحدوا، على ما بينهم من فروق جوهرية في العقيدة وفي الكتب التي يدينون بها وهناك نشاط كنسي واسع النطاق لتحقيق هذا الأمل. فالصلوات تقام والنشرات توزع والبرقيات ووكالات الأنباء والمؤتمرات كلها قائمة على قدم وساق تؤيد الاجتماع والوحدة وتدعو إليها في إلحاح ومثابرة، وهذا التكتل يراد به الوقوف صفاً واحداً أمام دعوة الإسلام بعد أن فشلت جمعيات التنصير ودعايات أهل الأغراض الاستعمارية من المستشرقين"[٥٩٧].

٥٩٣- الفكر المسيحي، التحرير، عدد٣٥٦ – ٣٥٥، سنة٣٦- ٢٠٠٠، ص١٤٧.

٥٩٤ – محاضرات تمهيدية في مفهوم الخدمة الاجتماعية، د.محمد أحمد عبد الهادي، ط ١٩٩٨، ص٢٦٨- ٢٦٩.

٥٩٥- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، ص١٥٣، مرجع سابق.

٥٩٦- التبشير والاستشراق وصلتهما بالامبريالية العالمية، إبراهيم خليل، ص١٥٦-١٥٧، مرجع سابق.

٥٩٧- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص٢٥١، مرجع سابق.

المبحث الثاني

التنصير في ثوبه الجديد

الديانة النصرانية التي تعرضت للتحريف منذ القدم، أي منذ تدخل اليهود ممثلين في «شاؤول» أو «بولس» الرسول في تحريف أمور النصرانية. فهذه التحريفات أكسبت النصرانية تسيباً في التعاليم قد يسميه البعض مرونة، فكان الاستعداد للتنازل عن بعض التعاليم الدينية المحرفة قائماً، حتى التعاليم التي كانت صارمة التي تتعلق بالطلاق والتعدد والسماحة وغيرها وكان التنازل عن المبادئ والمثل مسانداً للمنصرين في شق طريقهم في المجتمعات العربية والإسلامية وغيرها حيث ظهر التنصير في ثوب جديد لا يذكر فيه المنصر ابن الله ولا كلمة التثليث ولا الأسرار الكنسية المخالفة للعقل والمنطق السديد[٥٩٨]، فأمسى المسيحيون الذين يعتقدون أن الإله واحد في ثلاثة تجدهم يتسامحون مع الوثنيين الذين يعتقدون في تعدد الآلهة فيقولون لهم: إن الإله يتشكل في مظاهر مختلفة.

وإذا كانوا يدّعون بين المسلمين الذين يعتقدون في تنزيه الإله عن الولد والبنوة ليس عندهم مانع أن يؤولوا البنوة تأويلاً روحياً، حتى ولو خالفوا بذلك صميم عقائدهم، بل إنهم لا يجدون أي حرج في اعتناق المذاهب الشيوعية إذا كانوا يبشرون بين الشيوعية وعليهم أن يطعنوا الرأسمالية ويلعنوها مع أنها مذهبهم إذا كان ذلك يفتح لهم قلوب الاشتراكيين والشيوعيين، وهكذا على المبشر أن يتلون بلون المدعوين من أجل الوصول إلى قلوبهم"[٥٩٩].

أولا: الكاثوليك.

"أقرت الكنيسة الكاثوليكية أن غير المؤمنين الذين لم يؤمنوا ولم يُعَمَّدوا، بما في ذلك

---

[٥٩٨]– التنصير مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، ص٧٩، مرجع سابق.

[٥٩٩]– احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص٥٩ – ٦٠، مرجع سابق.

الوثنيين والهندوس وغيرهم من الممكن أن ينالوا الاشتراك في سر الفصح والقيامة ويتحقق خلاصهم بطريقة لا يعلم بها أحد إلا الله وحده"[٦٠٠].

"فجاء في أطروحة اللاهوتي «كارل بالمر» Karl Rahner (١٩٠٤-١٩٨٤)م، أن المسيحية هي الدين المطلق لكل البشر، ولكن السؤال المهم الذي يجب طرحه هو: متى بدأ هذا الدين المطلق؟ هل يكون هذا عند تعميد المولود الجديد؟ أم بمجرد إدراك الشخص أن المسيحية هي الدين المطلق؟ وبما أنه لا يمكن تحديد هذه الفترة بالضبط، فكل من لا يدين بالمسيحية (مسيحي مجهول)، وليس (مسيحياً فعلياً)، وهكذا تغيرت الإرسالية المسيحية، وعلاقة الكنيسة مع الأديان الأخرى، فلم تعد رؤية المنصر لغير المسيحي مثلما كانت عليه في السابق، أي أن غير المسيحي مجرد شخص يجب ضمه للمسيحية، لقد أصبح غير المسيحي وفق هذه الرؤية الجديدة شخصاً قريباً من المسيحية، وكل ما يحتاجه هو أن يُدَّل على الطريق"[٦٠١].

"وفي كتاب (اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر) الجزء الثالث للأب/ «سليم بسترس البولسي» يقول المعمودية ضرورية على مستوانا الإنساني في كرازة الكنيسة وممارستها وقوانينها وأنظمتها ولكن لا يجوز لنا أن نقيد حرية الله في إطار هذا النظام الإنساني.

ثانيا: البرتستانت.

يقول اللاهوتي البروتستانتي «شلنيك»: إن فكرة ضرورة المعمودية للخلاص تصير خاطئة إذا انطلقنا منها لنستبق الحكم الأخير الذي سيصدره الله على غير المعمدين.

ويضيف «فون المن» اللاهوتي البروتستانتي: وهذا هو رأي التقليد المسيحي كله لا ريب

---

[٦٠٠]- الطوائف المسيحية فى مصر والعالم، ماهر يونان عبد الله روفائيل، مراجعة : القس/ جرجس صبحي، ص٨٦.

[٦٠١]- الحوار مع الأديان الأخرى، د. عطاء الله صديقي، الوعي الإسلامي، عدد٣٥٣، سنة٣، يونيو١٩٩٥، ص٥٦.

في أن الخلاص يقتضي أن يكون الإنسان عضواً في شعب الله الإسخاتولوجي، ويمر بالختان الجديد، ويصير عضواً في جماعة مسيحية معينة ويشترك في الكهنوت الملوكي، ويُعَّبر هذا الحدث الوحيد والنهائي الذي لا يتكرر أعني الاشتراك في موت المسيح وقيامته، ولكن يجب الحفاظ على حرية نعمة الله التي تقدر أن تخلص أيضا من لم يمر بالمعمودية.

ويقول الأب/ «فاضل سيدراوس»:

إن خلاص الإنسان بحسب شريعته أو ضميره وبحسب محبته. وقد تنبه «بولس» الرسول إلى ذلك عندما كتب العاملون بالشريعة الموسوية هم ينالون البر: الوثنيون الذين بلا شريعة إذا عملوا بالفطرة وما تأمر به الشريعة كانوا شريعة لأنفسهم، مع أنهم بلا شريعة، فيدلون على أن ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب في قلوبهم، وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم، فهي تارة تشكوهم وتارة تدافع عنهم[٦٠٢]. فالذين يعتقدون أن الخلاص محصور على المؤمنين المسيحيين أو المعمدين أو المنتمين إلى الكنيسة سوف يفاجئون يوم الدينونة بأن حكم الرب سيدور حول المحبة أكثر منه حول الانتماء إلى دين وأن أفعال المحبة هذه تعوض عدم الإيمان بيسوع المسيح وعدم المعمودية وعدم الانتماء إلى الكنيسة، أمرها أمر العمل بموجب الشريعة غير المسيحية أو الضمير غير المسيحي[٦٠٣].

ثالثا: الأرثوذكس.

ظلت الكنيسة الأرثوذكسية على موقفها فترى كما يقول الأنبا/ «بيشوي»: "وصول البشارة بالإنجيل للمختارين بواسطة الرسل خدام الكلمة هو شرط ضروري لكي يحصلوا على الخلاص الأبدي، والمعمودية هي شرط لدخول ومعاينة ملكوت الله"[٦٠٤].

٦٠٢- انظر: رو،٢ (٣:١٦).

٦٠٣- الطوائف المسيحية، ماهر يونان عبد الله روفائيل، ص٨٦، مرجع سابق.

٦٠٤- المرجع السابق، ص٨٨.

وهكذا –وكما يقول «حسن حنفي»: "إن الفكر الديني الغربي تطور ولكنه في تطوره يمثل اجتهادات بشرية خالصة مهما اعتمدت على نصوص الكتاب المقدس التي هي أيضا اجتهاد بشرى خالص في روايتها وتدوينها وتفسيرها"[٦٠٥].

وهذا يعيد إلى ذاكرتنا "الأحداث الأولى في عصر «قسطنطين» عندما قَبِل آباء الكنيسة المجتمعين في (مجمع نيقية) عقيدة التثليث، كي يربحوا انضمام الإمبراطور الوثني إليهم"[٦٠٦].

فلا عجب أن الكنيسة المعاصرة اعترفت بتعدد الزوجات للأفريقيين المسيحيين إلى غير حد تشجيعاً لهم على البقاء على نصرانيتهم وجذباً لغيرهم لاعتناق المسيحية[٦٠٧]، كما شجعت الكنيسة الزواج الروحي وهو زواج يتم داخل الكنيسة بين أعضائها وبدون وثائق رسمية[٦٠٨].

ويؤكد ذلك أن "البابا/ «يوحنا بولس الثاني» في بداية جولته الأفريقية ٩ أغسطس عام ١٩٨٥م في مدينة (توجو) صرح قائلاً: إن الفاتيكان على استعداد لدراسة مطالب الأفريقيين بتبني الكنيسة الكاثوليكية للتقاليد المحلية والطقوس التي تؤمن بأن للمادة روحاً، وللممارسات التي تسمح بالزواج التجريبي وتعدد الزوجات"[٦٠٩].

ويجب علينا أن ننبه هنا بأن ما أقرته الكنيسة في النصف الثاني من القرن العشرين، قد نبه عليه المنصرون في مؤتمراتهم في النصف الأول من هذا القرن. "ففي مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م، اقترح المنصر/ «هاريك» اقتراحاً جاء فيه:

إن الجدل والمناظرة يبعدان المحبة التي لها وقع كبير على قلوب الأغيار وتأثير عظيم

---

[٦٠٥]– تطور الفكر الديني الغربي، د. حسن حنفي، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، عدد٧، س٧، ١٩٩٨، ص٢٢٨.

[٦٠٦]– التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، ص٦٧، مرجع سابق.

[٦٠٧]– قوى الشر المتحالفة، محمد الدهان، ص٨٨، مرجع سابق.

[٦٠٨]– الزواج الروحي على جناح التبشير، عبد الصمد الكباص، مجلة الأهرام العربي، عدد٣٢٠، سنة٧، السبت١٠مايو٢٠٠٣، ص٤٣.

[٦٠٩]– الأمة، التحرير، عدد٦١، سنة٦، سبتمبر ١٩٨٥، ص٧٦.

في نشر النصرانية فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر، نفتح للمسلم مدارسنا ونتلقاه في مستشفياتنا ونعرض عليه محاسن لغتنا، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل إذ أن المسلم هو الذي امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل. بهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل إلى قلوب المسلمين"[٦١٠].

"أما الأسقف/ «لفروا» فيستنكر قسوة التعاليم القديمة ويرى أنها كانت ترمى إلى التغلب على العدو لا إلى اكتساب مودته"[٦١١].

وقد جاء في كتاب طرق العمل التبشيري بين المسلمين ما نصه:

"لنجعل هؤلاء المسلمين يقتنعون في الدرجة الأولى بأننا نحبهم فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم، يجب على المبشر أن يحترم في الظاهر جميع العادات الشرقية والإسلامية حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث النصرانية بين من يصغي إليها، حتى لا ينفر منه أولئك الذين يؤمنون هذا الإيمان فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يريد أن يدعوهم إليه"[٦١٢]، ومن ثم فالدوافع الدينية مع وجودها ليست هي المؤشر الأول للاستعداد الذاتي لجميع المنصرين لأنها ليست نابعة من وحي إلهي وإنما مصدرها اجتهاد بشرى يصيب أحيانا وخطؤه لا ينقطع.

---

[٦١٠]– الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتلية، ص٢٦، مرجع سابق.

[٦١١]– المرجع السابق، ص٢٧.

[٦١٢]– احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص٦٠، مرجع سابق.

المبحث الثالث

وضع التنصير في الوقت الحاضر

بادئ ذي بدء سأستعرض وفي عجالة سريعة وجهة النظر النصرانية عن وضع التنصير الحالي.

إن المنصرين يشكون مر الشكوى من أن جهودهم لا تحقق أهدافهم على النحو الذي يرجونه، والنشاط الذي يبذلونه "فيقول المنصر/ «تشارلس وطسون»: جاء في تقرير اللجنة عن حالة الإسلام في أفريقيا:

إن الموقف فيها صار حرجاً لسرعة تقدم الإسلام في مركزه الواسع في الشمال ومعاقله التي في السواحل إلى الجنوب والغرب الأفريقي، والمبشرون كانوا قد أخطأوا في تقديراتهم السابقة لأنه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التي كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة هي إما إسلامية محضة وإما إنها على أهبة الدخول في الإسلام"[٦١٣].

"ونشرت مجلة (الحقيقة الواضحة) ــوهي مجلة مسيحية تصدر عن أشهر الجماعات المسيحية في أمريكاــ مقالاً عن الإسلام جاء فيه:

إن الإسلام أصبح قوة فعَّالة في العالم، وإنه ينتشر انتشاراً سريعاً وذاتياً، حيث يزداد عدد من يعتنقونه يومياً في أنحاء المعمورة، فعلى سبيل المثال يوجد مسلم واحد أو اثنان من بين كل خمسة أشخاص أو ستة، ومضت المجلة قائلة: إنه حان الوقت لغير المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يطرحوا جانباً الخرافات وينبذوا الأفكار الخاطئة التي حملوها سابقاً عن الدين الإسلامي الذي لم يعد مجرد مبادئ وأفكار عقائدية فحسب، بل غدا

---

[٦١٣]- الغارة على العالم الإسلامي، أ .ل. شاتلية، ص٤٤، مرجع سابق.

بالإضافة إلى ذلك قوة سياسية وثقافية واجتماعية لها وزنها الذي لا يمكن غض النظر عنها في تسيير مقادير وأمور العالم حاضراً ومستقبلاً"[٦١٤].

"ويقول «البرشادور»: من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء، لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب. ويتابع: لست متنبئاً، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها، إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ، ها أنذا إنني لم أمت، ولن أقبل اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها"[٦١٥].

"ويقول «جود» –رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن–: سألت عشرين طالباً وطالبة كلهم في أوائل العقد الثاني من أعمارهم، كم منهم مسيحي بأي معنى من معاني الكلمة، فلم يجب بنعم إلا ثلاثة فقط، وقال سبعة منهم إنهم لم يفكروا في هذه المسألة أبداً، أما العشرة الباقية فقد صرحوا أنهم معادون للمسيحية."[٦١٦].

ويصرح «بيتر دي روزا» قائلا: "هناك مشكلة تنحي القساوسة عن أعمالهم بالتبشير، ففي عام١٩٧١م، أظهرت دراسة أنه من عام ١٩٦٣م حتى عام ١٩٦٩م، قدم (٨٠٠٠ قسا) طلبا للتنحي عن دورهم، وأن هناك (٣٠٠٠) آخرين انفصلوا عن الكنيسة دون انتظار إذْن منها، وتنبأت الدراسة أنه في خلال خمس سنوات سيتحلل (٢٠،٠٠٠) من القساوسة من التزاماتهم، وقد تبين للبابا أن هذه الأرقام متواضعة جداً أمام الحقائق، فأكثر البلاد تخريجاً للمبشرين أثبتت أنها أسرعها تراجعاً، فهولندا مثلاً

[٦١٤]– على عتبات الفاتيكان، محمد عيسى داود، ص٦٨، مرجع سابق.

[٦١٥]– قادة الغرب يقولون، جلال العالم، ص٤٨، مرجع سابق.

[٦١٦]– احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين صالح، ص٦٤، مرجع سابق.

كان يتخرج منها)٣٠٠(قس كل عام، واليوم أصبحت حفلات تخريج القسيسين نادرة جداً، أما المرشحون لمنصب القساوسة فتدهور خلال العشرين عاماً الماضية في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً من (٥٠،٠٠٠) إلى (١٢،٠٠٠) من المرشحين لهذا المنصب!! كما تشير الدلائل إلى تقهقر في وحدة الرأي بين جماهير الكنيسة والبابا والكنيسة"[٦١٧].

"ولقد دار حوار بين أحد المبشرين وشاب نيجيري مسيحي مثقف، اشتغل بالتدريس لبضع سنين في مدارس الإرساليات، وكان في بلده واعظاً مرخصاً له، وشغل عدة منابر للوعظ، وسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية ثم عاد إلى نيجيريا. وكان السؤال الذي طرحه المبشر هو: ماذا ترى مستقبل المسيحية كالتزام ديني لنخبة أفريقيا الناهضة؟ فكان جواب الشاب النيجيري: في المستقبل القريب جداً سوف تخسر المسيحية نهائيا في أفريقيا. إنها تخسر فعلاً. هل تظن أنني عائد إلى أفريقيا لأظل مسيحياً كلا"[٦١٨].

وفي حوار لمندوب (الأهرام العربي) مع شاب مسيحي مغربي عن مدى نجاح العمل التنصيري في المغرب قال الشاب: على الرغم من تزايد العمل التنصيري في المغرب لتكوين أقلية مسيحية يمكنني أن أجزم بأنه في ظل الظروف الحالية لا يمكننا أن نتحول كمسيحيين حتى إلى أقلية دينية[٦١٩].

٦١٧- على عتبات الفاتيكان، محمد عيسى داود، ص٤٠، مرجع سابق.

٦١٨- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، ص١٣٩، مرجع سابق.

٦١٩- الزواج الروحي على جناح التبشير، عبد الصمد الكباص، الأهرام العربي، عدد٣٢٠، سنة٧، السبت ١٠مايو٢٠٠٣. ص٩٣. ينبغي أن ننوه هنا أن النشاط التنصيري في المغرب في تزايد مستمر ولقد حققوا نجاحا ملموسا ذكره عبد الباري الزمزمي لمجلة التجديد في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/١٠ حيث قال: لم يعد خافيا ما يقوم به دعاة التنصير في بلادنا – المغرب– من سعي حثيث وجهد مستميت من أجل جر الشباب –ذكورا وإناثا– للدخول في دين النصارى، فقد لا يمضي وقت طويل ليجد المغرب نفسه مطالبا هو الآخر من الدول الغربية باحترام حقوق الأقليات المسيحية من أبناء بلاده، فقد زارني خلال السنين الأخيرة عدد من الشباب الذين غررهم حملة التنصير فانجرفوا معها ثم أدركتهم هداية الله فرجعوا إلى الحق

كانت هذه وجهة النظر النصرانية عن وضع التنصير في العالم العربي والإسلامي، التي يمكن أن أجمل الرد عليها بما ذكره عبد الحليم محمود في كتابه (أوربا والإسلام) حيث قال: لقد تصادف أن جلس أحد الأشخاص مع زعيم من زعماء التنصير وجرهما الحديث عن التنصير، فقال الشخص -وكان مسلما دون ان يظهر ذلك- ولم تتمسكون بالتنصير في أفريقيا على رغم أننا نسمع من آن لآخر بأن التنصير في أفريقيا قد أخفق. ألا تتطلعون إلى أقاليم أخرى للتنصير؟

فرد المنصر قائلا: إننا نحن الذين ننشر هذه الأخبار، وننشرها في مقابل دفع أجرة لها، وذلك أن التنصير في أفريقيا ناجح كل النجاح، وبلغ من نجاحه أن أصبح شوكة في ظهر السودان، شوكة قوية تقلقه، وتقض مضجعه، أما إذا أردت معرفة سبب نشر هذه الأخبار، فأقول لك أن ذلك يعود علينا بفائدتين محققتين:

إحداهما: أن المسلمين حينما يقرأونها، يستمرون في نومهم قائلين: وكفى الله المؤمنين شر القتال. فلا ينالنا من جانبهم معارضة ولا أذى.

أما الفائدة الثانية: فهي أن تنهال علينا التبرعات من أغنياء المسيحيين، لأن المسيحيين أينما كانوا إنما يسرهم أن ينجح التبشير[٦٢٠].

واستقاموا على دينهم، فكان كل من زارني يشرح لي خطة التنصير في المغرب، وأطلعوني على عدة ملفات ووثائق وصور لحفلات وولائم نظمتها أسر من المغاربة النصارى يظهر فيها رجال ونساء وأطفال، وذكروا لي أن في الرباط كنيسة مغربية تسمى الصخرة ونفس الحال في كبريات مدن المغرب كنائس يتولاها رهبان مغاربة ويرتادها نصارى مغاربة ليس فيهم أجنبي، كما ذكروا لي – والكلام للشيخ/ الزمزمي- أن عدد المغاربة المتنصرين يجاوز العشرين ألفا، وأن دعاة التنصير في المغرب يعملون بحرية وانطلاق دون خوف أو أخذ حذر. موقع/ التجديد (**Attajdid**)، البعد السياسي للتنصير في البلاد الإسلامية، عبد الباري الزمزمي.

[٦٢٠]– أوربا والإسلام، د. عبد الحليم محمود، ص١٩٥– ١٩٦، مرجع سابق.

ونحن إذا وضعنا هذه المقولة أمام أعيننا ثم نظرنا إلى الواقع الحالي للتنصير في البلدان العربية والإسلامية من خلال الإحصائيات ومن خلال النظر إلى مجريات الأمور والأحداث في العالم العربي والإسلامي التي جعلت الدكتور/ عبد الودود شلبي يقول: "إن التدخل في الشئون الداخلية للدول يعتبر جزءا من الدور الاستعماري الذي تقوم به المؤسسات التنصيرية حيث تعتبر ذلك جزءا من عملها لقيام امبراطورية نصرانية تسيطر على العالم، ففي جميع الدول التي أقام بها دعاة التنصير مراكز لهم أصبح هذا الدور واضحا جليا"[٦٢١]، لعلمنا علم اليقين أن الحركة التنصيرية العالمية حققت مكاسب على مستويات مختلفة، كما أنها لا تزال تعمل بكل قوتها، ضد الإسلام والمسلمين، بأشكال جديدة ووسائل حديثة أكثر خفاءاً وأعمق تأثيراً وأشد مكراً وخداعاً من الوسائل التقليدية المعهودة ، مما لا يجعل من المبالغة أن أقول : إن المنصّرين استفتحوا على المسلمين كل باب ، وأتوهم من طرق شتى تكاد لا تخطر على المسلمين ببال سواء كانت طرقاً ذات طابع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي، أو غير ذلك، و إن أشد هذه الطرق تأثيرا:

١- الطريقة المسماه (أصحاب الخيام)[٦٢٢]، حيث تعلق الكنيسة آمالاً كبيرة على الغربيين في العالم ومنه العالم الإسلامي والعربي الذين جاؤوا إليه في هيئة أطباء أو ممرضين

---

[٦٢١] - الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي، الزهراء للإعلام العربي، ط الأولى- ١٩٨٩، ص١٤٦.

[٦٢٢]- هي طريقة هادئة لإدخال المسيحية إلى الدول العربية وهذا المصطلح يعود إلى أيام بولس أحد الحواريين فيما يذكرون الذي كان يباشر صنع الخيام ليكفي نفسه خلال أسفاره في الدعوة إلى المسيحية ويستغني عن الناس، وفي ظل نظام صانعي الخيام فإن المنصر يقوم بعمله التنصيري تحت غطاء رسمي ويتقاضى على عمله مرتباً ضخماً من الجهة التي يعمل فيها وما يقال عن العلاج يقال عن التعليم أيضاً فالخطة القديمة تقضي بأن يكون المسيح في صميم المنهج كما يقول "دوريي" (وأنا شخصياً لا أرضى أن أقضي خمس دقائق من حياتي في منطقة الشرق الأوسط وأعلم في مدرسة ما لم يكن التنصير والتبشير بالديانة المسيحية من صميم المنهج). موقع/ الخيمة (**khayma**)، سرد تاريخي للحملات التنصيرية في الخليج العربي، سلمان بن فهد العودة.

أو مهندسين أو معلمي لغات أو خبراء أو موظفي هيئات ومساعدات دولية ونحوهم، وذلك لمعرفتها للدور والتقدير والمكانة التي يحظى بها هؤلاء في تلك المجتمعات وسهولة التغلغل وقوة التأثير والتأثر بهم ومن ثم نجاحهم المؤكد في تمرير دورهم التنصيري بهدوء من خلال أعمالهم الأساسية.

وأخيراً فإن جيوش هؤلاء بمختلف وظائفهم ومهنهم أكثر نضجاً وتعليماً وثقافة من كثير من المنصرين الذين باتت طرقهم في التنصير مكشوفة، وتقول إحدى المنظمات النصرانية التي ترعى هذا النوع من التنصير من خلال هذه الوسائل وتعد التخطيط والتوجيه والدعم له: نحن لانعتبر هؤلاء يقضون نصف الوقت في العمل من أجل الرب ولا نعتبرهم ماديين يعملون من أجل مهنتهم فقط، نحن نؤمن أن هؤلاء مدعوون من الرب لخدمته سبعة أيام في الأسبوع وحيثما كانوا: في منازلهم أو أماكن عملهم أو مدارسهم، وتقول منظمة أخرى: نحن نؤمن أنه يجب على كل نصراني أن يستغل عمله اليومي كبرنامج وخطة للدعوة إلى النصرانية ونشرها، فمن الواجب عليه أن يبلغ رسالة المسيح من خلال العمل في متجر أو وظيفة في شركة أو حكومة أو في أي حقل آخر[٦٢٣].

ومما يضاعف من أهمية نشاط صانعي الخيام فضلاً عن مجال المستشفيات والتعليم اكتشاف النفط في مناطق كثيرة في أنحاء العالم العربي والإسلامي، فقد أسهم هذا الإكتشاف الكبير في ضخامة الوجود الأجنبي المتمثل ظاهرياً بأعداد كبيرة من الخبراء والمختصين والأطباء والفنيين والصيادلة. الأمر الذي جعل المنصر/ ديم شاباز يقول في المؤتمر السنوي السادس لمنظمات التنصير المنعقد في كاليفورنيا عام ١٩٨٠م: إن أبواب العالم الإسلامي مفتوحة على مصراعيها أمام النصرانية وأن هذه الأبواب تحتاج إلى

---

[٦٢٣]- موقع/ الجزيرة (Al-Jazirah)، الإرهاب مقلوبا، د. سليمان الرحيلي.

أمريكيين حساسين ثقافياً عندما يعملون في الخارج[624].

وعلى سبيل المثال فلقد قامت منظمة (فرونتييرز) التنصيرية التي مقرها انجلترا بإرسال عشرات المنصرين البريطانيين إلى البلاد الإسلامية لممارسة التنصير سراً هناك· حيث يقوم أعضاؤها على التطوع للقيام بأعمال خارج البلاد بدءاً من التعليم وانتهاء بالطبابة، وذلك كغطاء يتخفون وراءه من أجل ممارسة عمليات التنصير وهذا الغطاء يستخدم كذريعة للعمل في أقطار يمنع فيها التنصير.

وتنحصر مهمة المتطوعين في الاندماج في السكان المحليين، والقيام سراً بنشر تعاليم الإنجيل في أوقات الفراغ وتأسيس كنيسة جديدة· ويصف أحد هؤلاء تلك المهمة بقوله: طريقة العمل المتبعة هي الانخراط في أعمال محددة· وهذا يعني أن المتطوعين لا يتحركون كبعثات تبشيرية، لكنهم يعلمون جيداً أسباب وجودهم هناك.

وهذه المنظمة لديها أكثر من (٦٠٠) بعثة في أربعين بلداً إسلامياً· وهي تعلن أن المهمات التي تقوم بها تلخصها العبارة التالية: نتوق إلى تمجيد اسم الرب بزرع الكنائس القابلة للزيادة في أوساط الشعوب الإسلامية. وقد أصبح لهذه المنظمة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط ووسط آسيا وشبه القارة الهندية نحو (٧٠) مبشراً من بريطانيا وحدها، ويتوقع زعماء المنظمة أن يزداد عدد متطوعيها في أعقاب تشكيل التحالف الدولي المناهض للإرهاب بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

وصرح مسؤولو (فرونتييرز) الذين رفضوا إجراء مقابلات صحافية بقوله: التغطية الإعلامية ربما أضعفت قدرتنا على العمل في المناطق الحساسة، أما طريقة عمل بعثاتها فتتم بوساطة طواقم كل منها يضم (١٢) شخصاً· وقبل التوجه إلى بلد إسلامي يخضع

---

[624]- انظر: موقع/ الخيمة (khayma)، سرد تاريخي للحملات التنصيرية في الخليج العربي، سلمان بن فهد العودة.

هؤلاء لفترة أسبوعين من التدريب اللغوي والثقافي بما في ذلك دراسة القرآن[٦٢٥].

٢- أساليب الاتصال السريعة التي تتجاوز في لمح البصر حدود الزمان والمكان،فعلى سبيل المثال قام القس الأمريكي المشهور "بيلي جراهام" ـــ صاحب معهد خاص بتنصير المسلمين ـــ بحملة صليبية تهدف للوصول إلى (٤٠٠) مليون شخص في (٥٠٠) مدينة من طريق الأقمار الصناعية عبر (١٦) قرصاً للأقمار الصناعية إلى (١٧٠) دولة، وهذه هي أكبر عملية لنشر النصرانية تستخدم فيها التكنولوجيا الحديثة بهذا الزخم.

كما دعت الكنيسة في انجلترا أتباعها إلى أداء الصلاة على الإنترنت، وفتحت الكنيسة موقعاً على الشبكة تبين من خلاله كيفية أداء الصلاة بشكل بسيط.[٦٢٦]

و أن الربع الأخير من القرن العشرين قد شهد نجاحا لأجهزة التنصير العالمية في العالم العربي على وجه الخصوص، بتطوير مفاهيمهم الصليبية في العالم العربي، واعتمد هذا التطور في العمل التنصيري – بعد إخفاقه في تحويل المسلم عن دينه في أغلب الأحيان– على ثلاثة محاور رئيسية على النحو الآتي: المحور الأول: الإفساد الخلقي.

المحور الثاني: الإفساد العقلي.

المحور الثالث: السيطرة الوجدانية، بإلقاء الشك والحيرة في وجدان المسلم المثقف.

ونحن إذا وضعنا أمام أعيننا الهدف الرئيسي للتنصير وهو تحويل الفرد إلى النصرانية، أمكننا أن نفهم أن هذه المحاور ما هي إلا مجرد تمهيد لإخضاع العالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا وثقافيا لسيطرة النفوذ الغربي، وتهيئة الأجواء لقبول ما يسمى بالعولمة وما يتبع هذا النظام من توحيد الأيديولوجية السياسية العالمية، وإقامة هيكل اقتصادي

---

[٦٢٥]- موقع/ alwaei (مجلة الوعي الإسلامي)، هيئة تبشيرية تسعى لتنصير المسلمين، عبد المنعم أحمد، عدد٤٤٠، سنة٢.
نقلا عن: صنداي تايمز.

[٦٢٦]- موقع/ هداية الحيارى،التنصير يغزو العالم الإسلامي، أحمد عبد الله سيف الرفاعي.

جديد، وبث قيم اجتماعية عصرية من وجهة نظر غربية، وإزالة الحواجز الثقافية، انتهاءا بالدعوة إلى ما يشبه دين عالمي جديد.

ويقول الدكتور عبد الودود شلبي: "إننا في عصر يختلط فيه كل شئ. فالدين واللغة والاقتصاد والسياسة شئ واحد، والمعركة التي نخوضها معركة واحدة، ولكنها متعددة الجهات، ورجل التبشير الأمريكي أو الانجليزي أو الفرنسي رجل سياسة في الوقت نفسه، وجانب كبير من الأموال التي تنفقها الولايات المتحدة على التبشير يأتي من ميزانية وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع"[٦٢٧].

فالصواب في تقديري، أننا نواجه نشاطا حركيا تنصيريا جديدا، يعتمد على ما يرسخه في الوجدان بأحدث الوسائل والأدوات في العالم العربي. ولذلك سأحاول أن أوجز كلامي عن وضع التنصير الحالي في محورين:

المحور الأول: حجم النشاط التنصيري (إحصائيات).

في نظرة سريعة لبعض الإحصائيات عن العمل التنصيري في السنوات الأخيرة سيتبين لنا مدى حجم هذا النشاط ومدى الإمكانيات المرصودة لتفعيله في العالم العربي والإسلامي.

الإحصائية الأولى: نشرتها المجلة الدولية للبحوث الآثارية الأمريكية **Internatinal Bulletin of Missionary Research** في عام ١٩٩٠م وجاء فيها الآتي:

عدد المنظمات العاملة: ٢١٠٠ منظمة..

عدد المنظمات التي تبعث بمنصرين: ٣٩٧٠ منظمة..

عدد المعاهد التنصيرية: ٩٩٢٠٠ معهد..

عدد المنصرين العاملين داخل أوطانهم: ٣,٩٢٣,٠٠٠ منصر..

---

[٦٢٧]- الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي، ص١٠٨، مرجع سابق.

عدد المنصرين العاملين خارج أوطانهم: ٢٨٥,٢٥٠ منصر..

عدد المجلات والدوريات التنصيرية: ٢٣,٨٠٠ مجلة ودورية..

عدد نسخ الإنجيل والعهد الجديد التي تم طبعها: ١٢٩,٠٠٠,٠٠٠ نسخة..

قيمة التبرع للكنيسة في هذا: ١٥٧ بليون دولار..

أنواع الكتيبات الجديدة: ٦٥,٦٠٠ كتيب..

عدد محطات الإذاعة والتلفزيون: ٢١٦٠ محطة..

الإحصائية الثانية: نشرتها المجلة نفسها عام ١٩٩٦م وجاء فيها:

عدد المنظمات العاملة: ٤٥٠٠ منظمة..

عدد المنظمات التي تبعث بمنصرين: ٢٣,٢٠٠ منظمة..

عدد المنصرين العاملين داخل أوطانهم: ٤,٦٣٥,٥٠٠ منصر..

عدد المنصرين العاملين خارج أوطانهم: ٣٩٨,٠٠٠ منصر..

عدد المجلات والدوريات التنصيرية: ٣٠,٠٠٠ مجلة ودورية..

عدد نسخ الإنجيل والعهد الجديد التي تم طبعها: ١٧٨,٣١٧,٠٠٠ نسخة..

قيمة التبرع للكنيسة في هذا: ١٩٣ بليون دولار..

أنواع الكتيبات الجديدة: ٦٥,٦٠٠ كتيب..

عدد محطات الإذاعة والتلفزيون: ٣٢٠٠ محطة..

عدد أجهزة الكمبيوتر العاملة في خدمة التنصير: ٢٠٦,٩٦١,٠٠٠ جهاز[٦٢٨].

الإحصائية الثالثة: سأذكر من خلالها بعض المؤسسات االتنصيرية العاملة في العالم العربي، وعدد العاملين بهذه المؤسسات[٦٢٩].

---

[٦٢٨]– موقع/ هداية الحيارى،التنصير يغزو العالم الإسلامي، أحمد عبد الله سيف الرفاعي.

[٦٢٩]– operation world ٢١ st Century Edition Patrick Johnstone and jason Mandryk with Robyn Johnston, International Research office W.E.C International, Paternoster Publishing- ٢٠٠١- Waynesboro, P.٤٠٩.

الدولة	عدد المؤسسات التنصيرية	عدد أعضائها
الأردن	٢٤٤	١٠٢,٠٠٠[٦٣٠]
البحرين	١١١	١٧,٠٣٩[٦٣١]
تونس	٢١	٢١,٠٠٠[٦٣٢]
الجزائر	١١٩	٤٣,٢٨٠[٦٣٣]
السعودية	١٢٨	٤٨٥,١١٦[٦٣٤]
السودان	٤,٣٣٧	٣,١٥٠,٦٦١[٦٣٥]
سوريا	٥٨٩	٤٥٩,٠٠٠[٦٣٦]
العراق	٢١٩	١٩٤,٥٦٥[٦٣٧]
عمان	٩٠	٢٦,٨٥٨[٦٣٨]
قطر	١٠٤	٣٢,٨١٤[٦٣٩]
الكويت	٦٩	٩٢,٣٨١[٦٤٠]

[٦٣٠]- المرجع السابق، ص٣٧٥.

[٦٣١]- المرجع السابق، ص ٩٣.

[٦٣٢]- المرجع السابق، ص٦٣١.

[٦٣٣]- المرجع السابق، ص ٦٧.

[٦٣٤]- المرجع السابق، ص ٥٥٦.

[٦٣٥]- المرجع السابق، ص ٥٩٧.

[٦٣٦]- المرجع السابق، ص ٦١١.

[٦٣٧]- المرجع السابق، ص ٣٦٥.

[٦٣٨]- المرجع السابق، ص ٤٩٨.

[٦٣٩]- المرجع السابق، ص ٥٣٣.

[٦٤٠]- المرجع السابق، ص٣٩١

لبنان	١,٥١٢	٦٣٣,٢٠٠[٦٤١]
ليبيا	١٢٤	٦٧,٠٠٠[٦٤٢]
مصر	٣,٣٠٠	٤,٩٩٤,٤٠٠[٦٤٣]
المغرب	٩٢	١٤,٦٩١[٦٤٤]

المحور الثاني: بعض من آثار هذا النشاط.

ما تزال الكنائس الغربية خاصة الفرنسية والبريطانية والسويسرية تخطط من أجل تكثيف نشاطها في البلاد العربية[٦٤٥]. وسنكتفي بتوضيح ذلك من خلال ثلاثة أمثله:

الأول: في اجتماعات مؤتمر مجلس الكنائس العالمي الذي عقد في فرنسا كان من بين توجيهات تلك الاجتماعات ضرورة أن يعمل المنصرون من أجل فتح المغرب العربي وأن تمارس حكومات الغرب المزيد من الضغوط لتوفير الحرية للبعثات التنصيرية العاملة في تلك البلاد[٦٤٦].

الثاني: في عام ١٩٩٥م تأسست جمعية متخصصة للمهتمين بتنصير العرب، شارك في تأسيسها منصرون من (إسرائيل) والضفة الغربية ومصر والأردن وعدة دول عربية أخرى، كما شاركت فيها إرسالية (تنصير العالم العربي) وجمعية "بيلي جراهام" للتنصير، ولجنة مؤتمر لوزان بسويسرا وغيرها..[٦٤٧].

٦٤١- المرجع السابق، ص ٤٠٠.

٦٤٢- المرجع السابق، ص ٤٠٩.

٦٤٣- المرجع السابق، ص ٢٣٣.

٦٤٤- المرجع السابق، ص٤٥٥.

٦٤٥- موقع/ POWERED BY ARABIA INFORM (شبكة المعلومات العربية محيط)، الأهداف الخفية للحرب الأمريكية على الإرهاب، علي عليوه.

٦٤٦ - المرجع السابق.

٦٤٧- موقع/ هداية الحيارى، التنصير يغزو العالم الإسلامي، أحمد عبد الله سيف الرفاعي.

الثالث: عقد في الفترة من ٤/٥/ إلى ١٠/٥/٢٠٠١م مؤتمر الجمعية العمومية الدولية الـ١١ لمنظمة "الزمالة التنصيرية الدولية". واستضاف المؤتمر الفرع الماليزي وهو "زمالة التبشير النصراني لماليزيا". وقبل ذلك كانت الجلسات التحضيرية في المنظمة قد عقدت اجتماعاتها لمدة ستة أيام من ٤/٢٨ إلى ٤/٥/٢٠٠١؛ لمناقشة أعمال المنظمة من قِبَل اللجان المتخصصة حول الحريات الدينية والشباب وقضايا المرأة والإعلام الدولي المسيحي والعضوية والإرساليات والمكاتب الإقليمية.

وشارك في اجتماعات المنظمة ممثلون عن (١٥٠) مليونا من أتباع الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية في (١١٠) دولة، وكان من ضمن المنظمات المشاركة في المؤتمر:

- الرابطة الإنجيلية لدول البحر الكاريبي التي تأسست في عام ١٩٧٧م.
- التحالف الإنجيلي الأوروبي لـ٢٨ فرعا في القارة الأوروبية.
- الرابطة الإنجيلية في إفريقيا التي يشكل حاليا أتباعها خُمس أتباع الكنيسة الإنجيلية في العالم، ولها نشاط نسائي من خلال التحالف المسيحي لنساء إفريقيا.
- زمالة التنصير في آسيا- التي تأسست في عام ١٩٨٣م- في سيول الكورية، وتوسع عملها لاحقا، لتفعيل مكانة البروتستانت الآسيويين التي تقول إحصائية المنظمة التنصيرية إنهم يشكلون ٤,٥% من مجموع سكان القارة.

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ فلقد كانت هناك ورش عمل تجتمع يوميا بشكل متزامن في قاعات مختلفة تديرها سبعة لجان، وهي:

* اللجنة اللاهوتية؛ التي ناقشت أثر العولمة على عمل الكنائس المحلية، والاستجابة الكنسية من وجهة نظر الإنجيل.

* لجنة اهتمامات المرأة التي ناقشت تحديات تواجه عمل المرأة في الكنيسة.

* لجنة الإعلام الدولي المسيحي التي ناقشت كيفية رسم إستراتيجية إعلامية لكل كنيسة بروتستانتية محلية، وتقوية التواصل الإعلامي بين الأتباع، ثم النظر في تحريك الإعلام في تمويل آمال الزمالة البروتستانتية في العالم.

* لجنة التطوير والتدريب القيادي لرجال الكنيسة.

* لجنة الشباب التي ناقشت أزمة الشباب المسيحي وأثر العولمة على ثقافتهم، وتدريب قادة شباب.

* لجنة الحريات الدينية التي ناقشوا من خلالها قضية الحريات الدينية، ومنها قضية الحواجز السياسية والدينية التي تقف أمام تنصيرهم للسكان في بلاد عديدة، حيث قُدّمت تقارير عن تطور محاولات توصيل بشارة المسيح إلى أماكن تضع حكوماتها موانع أمام المنصرين، حماية لسكانها منهم، وكيفية الالتفاف على ذلك لإدخال النصرانية في قلوب سكانها، ومناقشة الآثار الإيجابية للعولمة على نشر النصرانية في مثل هذه الدول.

* الورشة الأخيرة كانت حول نماذج الإرساليات الكنسية التي تخرج تحت راية الزمالة البروتستانتية الدولية إلى دول العالم، والتشكيل الروحي للمنصّرين، ومرة أخرى آثار العولمة السلبية والإيجابية[٦٤٨].

وقد أسفرت هذه الجهود عن نتائج مؤسفة في عدد كبير من البلدان العربية والإسلامية مثل المملكة المغربية والجزائر وجنوب السودان والبحرين والإمارات العربية وسأذكر بعض من هذه الآثار في بعض البلدان العربية:

كشفت التقارير أن حوالي (١٥٠) ألف مغربي يتلقون عبر البريد من مركز التنصير

٦٤٨- موقع/ إسلام أون لاين.نت، ممثلو ١١٠ دول يخططون للتنصير في العالم، صهيب جاسم.

الخاص بالعالم العربي المسمى (A.W.M) دروسا في المسيحية ولدى المركز منصرون يعملون وسط المليوني مسلم القادمين من دول المغرب العربي والمقيمين في فرنسا، وتملك هذه المنظمات إلى جانب ذلك برامج إذاعية وتلفزيونية دولية لنشر الإنجيل بالاضافة إلى (٦٣٥) موقع تنصيري على الإنترنت[٦٤٩].

ويقول حاتم العناية –المتخصص في ملفات التنصير–: أنه على حسب بعض الحالات التي يتم الكشف عنها أو فضحها بين الفينة والأخرى، أجزم أن الخلايا الموجودة حاليا في المغرب لا تتجاوز ثلاثين خلية، وتتكون كل واحدة منها وعلى أبعد تقدير من عشرين شخصا، لنصل في نهاية المطاف إلى حوالي (٦٠٠) عنصر، وأضيف هنا أنه حول هذه الستمائة عنصر تتعارك أكثر من عشر منظمات وهيئات تبشيرية ممثلة فيما بين (٨٠) و (١٠٠) منصر، حول تكوينها العقدي والتنصيري المضلل[٦٥٠].

في الجزائر، ففي الاحتفال بيوم المرأة العالمي في ٨ مارس ١٩٩٣م رفعت شعارات في قاعة بدار الشعب بساحة أول ماي كانت تنادي بأن قانون الأسرة المبني على الشريعة الإسلامية يساوي الفضيحة والعار، وتطبيق الشريعة الإسلامية يساوي الفضيحة والعار، الناس صعدوا إلى القمر ونحن في الجزائر ما زلنا نحتفل بليلة القدر[٦٥١].

في الصومال، توجد منظمة تدعى (الرؤيا العالمية) وهذه المنظمة لها نشاط في أكثر من (٨٠) دولة وتشرف على (٨٦) ألف لاجئ مسلم صومالي وتوفر لهم الدواء والكساء والتعليم وتدعوهم إلى النصرانية، علماً بأن نسبة المسلمين في الصومال كانت

٦٤٩– موقع/POWERED BY ARABIA INFORM (شبكة المعلومات العربية محيط)، الأهداف الخفية للحرب الأمريكية على الإرهاب، علي عليوه.

٦٥٠– موقع/ مجلة العالم الإسلامي، التشكيك في الأحكام الإسلامية من أهم أهداف الحملات التنصيرية، د. حاتم العناية.

٦٥١– موقع/ POWERED BY ARABIA INFORM ، الغزو الثقافي والفكري في العالم الإسلامي.

١٠٠%، وفي الصومال أيضاً كان الهدف الحقيقي للمشروع الألماني الوطني لمحاربة أمراض العمى هو نشر النصرانية والدعوة لها، وهذا ما اعترف به مسؤول المشروع د. جي ميشيل بعد إسلامه..[٦٥٢] ومن خلال هذه المشكلات والكوارث التي استغلت من قبل المنظمات التنصيرية أمسى هناك أقلية من غير المسلمين في هذه البلد[٦٥٣].

في الخليج العربي تمكن النصارى من إيجاد تجمعات عربية نصرانية تتكلم العربية أو الإنجليزية في سائر دول الخليج. ففي الكويت –على سبيل المثال– كوّن هؤلاء رابطة اسمها مجلس كنائس الكويت يضم (١٣) طائفة.

وفي الإمارات: فالطائفة البرتستانتية لها كنيستان إحداهما في أبو ظبي والثانية في دبي إضافة إلى تجمعات أخرى للطوائف البروتستانتية في العين وأبو ظبي، أما الكنائس الكاثوليكية فهناك ثلاث كنائس حديثة البناء عدد أتباعها (١٦,٠٠٠) شخص في الإمارات العربية أما الكادرائية فهي في أبو ظبي. أما الكنائس الأرثوذكسية فهناك طائفتان في أبو ظبي ودبي. وعندما أُعلن عفوٌ عامٌ في الإمارات لمدة محدودة عن المهاجرين غير الشرعيين تألفت صفوف طويلة من هؤلاء صاروا يبيتون بالشوارع على أبواب الوزارات ولما انتهت المدة كان قد تقدم (١٠٠,٠٠٠) منهم بطلبات الجنسية[٦٥٤].

إننا إذن أمام خطر حقيقي، ومخطط خطير، يستهدف أغلى ما نملك يستهدف إسلامنا ومن ثم وجودنا الذي يتمحور حول الإسلام. الضربات أمست كثيرة وموجعة، ولا أبالغ إن قلت إن الجسد الإسلامى اليوم أشبه بالشخص الذى صدمته عدة سيارات فى آن واحد ومن كل اتجاه!!

٦٥٢– موقع/ هداية الحيارى، التنصير يغزو العالم الإسلامي، أحمد عبد الله سيف الرفاعي.

٦٥٣– موقع/ ALBAYAN NEWSPAPER (البيان)، الغربيون يضمرون العداء للإسلام والمنظمات التبشيرية تصطاد أبنائنا، كامل الشريف –رئيس المجلس الإسلامي للدعوة والاغاثة–.

٦٥٤– موقع/ السلفيون (alsalafyoon)، وسائل المنصرين، سلمان بن فهد العودة.

الخاتمة

النتائج التي توصلت إليها من هذه الدراسة هي:

١- العمل التنصيري بصفة عامة في البلاد العربية والإسلامية يمتد بجذوره التاريخية إلى عصر النبوة وحتى وقتنا الحالي وبزيادة واضحة في الأهداف خاصة السياسية والاقتصادية، واستغلال جيد للوسائل خاصة السمعية والبصرية.

٢- إن الأهداف التي من أجلها دارت الحروب الصليبية في القرن العاشر الميلادي التي كان مبعثها رجال الكنيسة ما زالت عالقة في أذهان بعض المنصرين ويبذلون جهدهم حتى يتبناها بعض السياسين والقادة الغربيين.

٣- إن من أوائل المخططين للعمل التنصيري المؤسسي بين العرب والمسلمين بعضا من الآباء التابعين لمؤسستي الفرنسيسكان والدومنيكان في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي.

٤- محاولة المنصرين المستمرة في انشاء دولة مسيحية في الوطن العربي.

محاولة المنصرين انشاء أقليات مسيحية في الدول العربية التي نسبة المسلمين بها ١٠٠% مثل السعودية وليبيا.

٥- محاولة المنصرين ابقاء الدول العربية في حالة صراع داخلي دائم، حتى لا تقوى على النهوض، بإثارة الدعوة الطائفية والشعوبية الإقليمية.

إن أغلب المؤسسات التنصيرية الموجودة في العالم العربي والإسلامي تمثل خطورة حقيقية على الأمن القومي لهذ الدول كما أنها تمثل خطرا على العروبة وعلى الإسلام.

٦- إن المنصرين لا يقومون بالعمل التنصيري في قطر من الأقطار إلا بعد دراسته دراسة شاملة (تاريخية ومعاصرة) من شتى النواحي سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية...إلخ.

٧- استغلال المنظمات السياسية لبعض الدوائر والمؤسسات التنصيرية وتوظيفها لأهدافها الإستعمارية.

٨- إن الصراعات الفكرية بشتى مستوياتها (الدينية والسياسية...إلخ) بين

المؤسسات التنصيرية تنتقل بصورة ديناميكية إلى المجتمعات محل العمل التنصيري لتمسي فيما بعد صراعات بين أبناء الوطن الواحد، التي تنقلب في أغلب الأحيان إلى حرب مسلحة لاثبات الذات وإحكام النفوذ.

٩- المحاولة الدؤوبة لبعض المؤسسات التنصيرية لعرقلة الدعاة المسلمين سواء كانوا يعملون بصورة فردية أو تابعين لجمعيات ومؤسسات إسلامية، بشتى السبل ومختلف الوسائل غير المشروعة.

١٠- المحاولة الدائمة من قبل بعض المؤسسات التنصيرية استقطاب بعض العناصر الإسلامية على كافة المستويات وبكافة وسائل الترهيب والترغيب لمحاولة التأثير من خلالهم على القاعدة الجماهيرية والوصول بهم إلى أهدافهم.

١١- إن أول مدخل للمنصرين في البلاد العربية والإسلامية هو جهل المسلم بدينه، ثم يتبعه حاجته للمال، وبعد ذلك حاجته للعلاج، ثم حاجته للأمن، وهذه الأمور تستخدم على حسب الحالة محل العمل التنصيري.

١٢- إن أسوأ ما في هذا العمل استغلاله للخدمات الاجتماعية للوصول إلى أهدافه، لأنه وإن كان يحي الجسد فإنه لا يحيه إلا بإماته الروح والضمير والأخلاق، وما الفائدة بأن نحيا بين أناس لا يقدرون الكرامة الإنسانية، ولا يحترمون حقوق الإنسان، ما فائدة أن نحي الدنيا ونميت الأخرة.

١٣- إن النشاط التنصيري يزداد إلى حد كبير في مختلف بلاد العرب والمسلمين في ظل الأزمات السياسية والاقتصادية والكوارث الطبيعية على أمل الاستفادة من هذه الظروف.

١٤- إن المؤسسات التنصيرية على ما بينها من اختلافات فكرية وعقائدية يجمعها وحدة الهدف الذي ينطلق من أطماع دولية تستهدف في خاتمة المطاف أمة العروبة والإسلام.

١٥- منذ أن أخذ العمل التنصيري شكله المؤسسي في البلاد العربية والإسلامية حقق كثيرا من أهدافه المرجوة.

تمت بحمد الله وسلام على المرسلين والحمد لله رب...،

فهرست المراجع

١ . أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني– القاهرةط الثانية – ١٩٧٢م.

٢ . أبو جهل يظهر في بلاد العرب، د. عبد الودود شلبي، مكتبه الشروق– القاهرة. ط الأولي– ١٩٩٥م.

٣ . آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، د. جابر قميحي، سلسلة دعوة الحق، س ١٠– (١٤١٧هـ – ١٩٦٦م)، اصدار رابطة العالم الإسلامي– مكة المكرمة.

٤ . أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم– دمشق، ط الثانية– ١٩٨٠م.

٥ . الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، د.أكرم شلبي، مكتبة التراث الإسلامي– القاهرة، ط ١٩٩١م.

٦ . الإرساليات التبشيرية، د. عبد الجليل شلبي، منشأة المعارف– الإسكندرية– القاهرة.

٧ . إرشاد رسولي في واجب تلقين التعليم، البابا/ يوحنا بولس الثاني، منشورات اللجنة الأسقفية العليا لوسائل الإعلام – بيروت – لبنان، ط١٩٧٩م.

٨ . الإسلام دعوة تحرير، المجلس الأوروبي، الزهراء للإعلام العربي– القاهرة، ط الأولى– ١٩٨٧م.

٩ . الإسلام علي مفترق الطريق، محمد أسد، مؤسسة الرسالة– القاهرة، (ب.ت).

١٠ . الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، د. مراد هوفمان، دار الشروق– القاهرة، ط الأولى– ٢٠٠١.

١١ . الإسلام في مواجهة أخطار التبشير، د. عبد الفتاح محمد سيد أحمد، دار طيبة – القاهرة، ط الأولى– ٢٠٠١م.

١٢ . الإسلام والتحرر الأفريقي، اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– القاهرة.

١٣ . الإسلام والغرب: صراع في زمن العولمة، مجموعة من كتاب العربي، منشورات مجلة العربي – الكويت، ط الأولى– ٢٠٠٢م.

١٤ . الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، أليكسي جورافسكي، ت: د. خلف محمد الجراد، دار الفكر– دمشق، ط الثانية– ٢٠٠٠م.

١٥. أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، د. عبد الودود شلبي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط السابعة.
١٦. الأقباط في العصر العثماني، محمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٢م.
١٧. أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م، د. جاك تاجر، دار النيل– القاهرة، ط ١٩٥١م.
١٨. الأقليات الإسلامية في العالم، محمد علي ضناوي، مؤسسة الريان– بيروت– لبنان، ط الأولى– ١٩٩٢م.
١٩. الإمعان في حقوق الإنسان، هيثم مناع، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع– سوريا، ط الأولى– ٢٠٠٠م.
٢٠. الإنجيليون والعمل القومي، أديب نجيب سلامة، دار الثقافة– القاهرة، ط الأولى– ١٩٩٣م.
٢١. أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندى، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف– القاهرة، (ب.ت).
٢٢. الأوائل، علي جمعة الخويلد، الدار العربية للعلوم –بيروت– لبنان، ط الأولى– ١٩٩٨م.
٢٣. أوربا والإسلام، د. عبد الحليم محمود، دار المعارف– القاهرة، ط الرابعة.
٢٤. الاتجاهات الوطنية فى الأدب العربي المعاصر، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، (ب.ت).
٢٥. احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح، مكتبة التابعين– القاهرة، ط السابعة– ٢٠٠٠م.
٢٦. الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى المسلاتي، دار إقرأ، ط الأولى– ١٩٨٦م.
٢٧. الاستشراق والتبشير وأثرهما على دعاة التنوير في الشرق الإسلامي، د. صلاح أحمد السيد أبو زيد، ط ٢٠٠١م.
٢٨. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية، د. ابراهيم خليل احمد، مكتبة الوعي العربي-- القاهرة، (ب.ت).

بدايات الصحافة الليبية (١٨٦٦ – ١٩٢٢م)، عبد العزيز سعيد الصويعي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان – مصراتة– ليبيا، ط الأولى– ١٩٨٩م.

٢٩. البستان وهو معجم لغوي، عبد الله البستاني، المطبعة الأمريكانية –بيروت–لبنان، ط ١٩٣٠م.

٣٠. تاريخ أفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو)، دار حسيب درغام وأولاده – المكلس – لبنان، ط الثانية– ١٩٩٨م.

٣١. تاريخ العرب الحديث (١٧٩٨– ١٩٢٠م): دراسة في التنافس الأوروبي الاستعماري على البلاد العربية، أ. د. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، دار القلم – دبي– الإمارات العربية المتحدة، ط ثالثة–١٩٩٧.

٣٢. تاريخ الكنيسة، الأب/ جان كمبي، جـ الأول، دار المشرق –بيروت– لبنان، ط الأولى– ١٩٩٤م.

٣٣. تاريخ الكنيسة، عدة مؤلفين، جـ الثاني، دار المشرق – بيروت– لبنان، ط الأولى– ١٩٩٧م.

٣٤. تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، دار الفكر– بيروت، (ب.ت).

٣٥. تاريخ المغرب وحضارته: من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، د. حسين مؤنس، العصر الحديث –بيروت– لبنان، ط الأولى– ١٩٩٢م.

٣٦. تاريخ الموارنة ومسيحي الشرق عبر العصور، عبد الله أبي عبد الله، دار ملفات– لبنان، ط الأولى– ١٩٩٧م.

٣٧. تاريخ تونس المعاصر(١٨٨١– ١٩٥٦م)، أحمد القصاب، ت. حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع – قرطاج– تونس، ط الأولى – ١٩٨٦م.

٣٨. تاريخ ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، د. عبد اللطيف محمود البرغوثي، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر– بيروت، (ب.ت).

٣٩. تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، جون رايت، ت: عبد الحفيظ الميار، وأحمد اليازوري، دار القرجاني – طرابلس– ليبيا، ط الأولى – ١٩٧٢م.

٤٠. التبشير جهوده وآثاره في العالم الإسلامي، د. سعيد محمد إسماعيل الصاوي، مكتبة الأزهر الحديثة –طنطا، (ب.ت).
٤١. التبشير والاستشراق خططا ومنهجا وتطبيقا، د. عبد الله عبد الحي محمد، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، ط الأولى– ١٩٨٥م.
٤٢. التبشير والاستعمار أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الإسلام، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، الزهراء للإعلام العربي– القاهرة، ط الأولى– ١٩٩١م.
٤٣. التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، المكتبة العلمية –بيروت– لبنان، ط الأولى– ١٩٥٣م.
٤٤. التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، مطبعة رشوان – القاهرة، ط الأولى– ١٩٩٩م.
٤٥. التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير، د. رشدي أبو شبانة علي الرشيدي، ط ١٩٩٧
٤٦. التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة– القاهرة، ط الثالثة.
٤٧. التنصير حقيقته وطرق مواجهته، د. حسين محمد عبد المطلب، مطبعة دار الهلال – أسيوط– القاهرة، ط الأولى– ١٩٩٩م.
٤٨. التنصير خطة لغزو العالم، مركز دراسات العالم الإسلامي – بيروت– لبنان.
٤٩. التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، دار الصحوة– القاهرة، ط ١٩٩٣م.
٥٠. التنصير والاستعمار فى أفريقيا السوداء، د. عبد العزيز الكحلوت، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس– ليبيا، ط الثانية– ١٩٩٢م.
٥١. التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربى، د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر، مكتبه العبيكان –الرياض– مكة المكرمة، ط الأولى– ١٩٩٣م.
٥٢. تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، د. محمد أحمد عبد الهادي، د. السعيد مغازي أحمد سعيد، مطابع غباشي – طنطا – القاهرة، ط ٢٠٠٢م.

الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء، عبد المنعم النمر، دار المعارف – القاهرة.
٥٣. ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى الإبراهيم، دارعمار–عمان، ط ٢٠٠١م.
٥٤. جارودي، الهيئة العامة للاستعلامات – القاهرة، (ب.ت).
٥٥. جند الله، سعيد حوى، ط الثانية، (ب.ت).
٥٦. الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، علال الفاسي، مؤسسة علال الفاسي، ط الخامسة– ١٩٩٥م.
٥٧. الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، محمد عطية خميس، دار الاعتصام، (ب.ت).
٥٨. الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، جـ الأول، ط الرابعة– ١٩٩٨م، مكتبة الأنجلو المصرية.
٥٩. حقائق عن التبشير، عماد شرف، المختار الإسلامي–القاهرة، ط الأولى– ١٩٧٥م.
٦٠. حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ر. ك. سبرول، ت: نكلس نسيم سلامة، مكتبة المنار– القاهرة، ط ٢٠٠٠م.
٦١. حقيقة الاستشراق وخطورة التبشير، د. محمد محمد عبد العال الحناوي، ط الأولى– ١٩٩٨م.
٦٢. حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة – القاهرة، ط الأولى– ١٩٨١م.
٦٣. الحوليات الفرنسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، البارون. ألفونص روسو، ت: د. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس–بنغازي، ط الأولى– ١٩٩٢م.
٦٤. الخليج العربي أمام التحدي العقدي، سعيد محارب، مكتبة الأمة–دبي، ط الأولى – ١٩٨٥م.
٦٥. دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي، دار الثقافة – القاهرة، ط الثانية – ٢٠٠٠ م.
٦٦. دراسات إسلامية، سيد قطب، دار الشروق –القاهرة، ط السادسة.
٦٧. دراسات في تاريخ مصر السياسي: سياسة انجلترا الداخلية (١٨٨٢– ١٩٥٢م)، محمود حلمي مصطفى، مكتبة الطليعة –أسيوط– القاهرة، (ب.ت).
٦٨. الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، محمد الغزالي، مكتبة وهبة – القاهرة، ط الثانية– ١٩٨٥م.

٦٩. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية- القاهرة، ط الخامسة- ١٩٨٨م.
٧٠. الرأي العام مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، د. سعيد سراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ط الثانية - ١٩٨٦م.
٧١. رسالة إلى البابا والفاتيكان ذو الألف وجه، د. عبد الودود شلبي، المختار الإسلامي- القاهرة، (ب.ت).
٧٢. رسالة البابا/ يوحنا بولس الثاني إلى النساء، منشورات اللجنة الأسقفية العليا لوسائل الإعلام -جبل الديب- لبنان، ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٩٥م.
٧٣. رسالة الفادي، البابا/ يوحنا بولس الثاني، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام -جبل الديب- لبنان، ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠م.
٧٤. رسالة اليونسكو، يونيو ٢٠٠١م.
٧٥. رسالة من البابا/ يوحنا بولس الثاني إلى أهل الفن، منشورات اللجنة الأسقفية العليا لوسائل الإعلام -جبل الديب- لبنان، (ب.ت).
٧٦. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعي السهيلي، علق عليه: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، ط الأولى- ١٩٩٧م.
٧٧. رياح السموم التي هبت على الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام- القاهرة، (ب.ت).
٧٨. سر إسلام رواد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء، محمد عبد العظيم علي، دار المنارة -المنصورة- القاهرة، ط الأولى- ٢٠٠٢م.
٧٩. السياسة الاجتماعية والتخطيط الاجتماعي، د. عبد العزيز غنيم وآخرون، ط ٢٠٠٢م.
٨٠. سياسة وأقليات في الشرق الأدنى، آني شابري، لورانت شابري، ت: د. ذوقان فرقوط، مكتبة مدبولي- القاهرة، (ب.ت).
٨١. سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية -

صيدا – بيروت، (ب.ت).

٨٢. الشرق الأدنى (مجتمعه وثقافته)، ت. كويلرينج، ت: د. عبد الرحمن محمد أيوب، مراجعة: د. أبو العلا عفيفي، د. محمد محمود الصياد، هيئة الكتاب– القاهرة، ط ٢٠٠٢

٨٣. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني– القاهرة، ط التاسعة.

٨٤. صلاح الدين الأيوبي: قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، قدري قلعجي، دار الكاتب العربي، ط الخامسة– ١٩٧٩م.

٨٥. الصليبيون في الشرق، ميخائيل زابوروف، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم– موسكو، ط ١٩٨٦م.

٨٦. صيحة تحذير من دعاة التنصير، محمد الغزالي، نهضة مصر– القـاهرة، ط ٢٠٠٢م.

٨٧. طريق السماء، القس/ منسي يوحنا، منشورات مكتبة المحبة– القاهرة، (ب.ت).

٨٨. الطوائف المسيحية فى مصر والعالم، ماهر يونان عبد الله روفائيل، مراجعة : القس/ جرجس صبحي، المركز المصري للطباعة– القاهرة، (ب.ت).

٨٩. ظلام من الغرب، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة– القاهرة، ط الثانية– ١٩٦٥م.

٩٠. العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة – بيروت– لبنان، ط الثانية عشرة– ١٩٩٤م.

٩١. العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى، د. جوزيف نسيم، مطابع رويال – الإسكندرية، ط أولى– ١٩٦٣م.

٩٢. علم الوعظ، د. مكرم نجيب، دار الثقافة– القاهرة، ط الأولى–٢٠٠١ م.

٩٣. على عتبات الفاتيكان وعتبات أخرى، محمد عيسى داود، دار البشير– القاهرة.

٩٤. الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل. شاتليه، ت: محب الدين الخطيب، مساعد اليافي.

٩٥. الفاتيكان: عاصمة الكثلكة في العالم، بول يوبار، ت: أنطوان الهاشم، منشورات عويدات – بيروت– لبنان، ط الأولى – ١٩٩٦م.

٩٦. فتوح البلدان، أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق: عبد الله أنيس الباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف– بيروت، ط ١٩٨٧م.

٩٧. الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية، محمد الغزالي، دار نهضة مصر– القاهرة، ط الأولى– ١٩٩٨م.
٩٨. فكر التنصير في مسرحيات شكسبير، د. عدنان محمد عبد العزيز وزان، دار إشبيلية – المملكة العربية السعودية، ط الأولى– ١٩٩٨م.
٩٩. في محكمة التاريخ، د. عبد الودود شلبي، دار الشروق– القاهرة، (ب.ت).
١٠٠. قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، مكتبة التابعين– القاهرة، ط ١٩٩٢م.
١٠١. قصة الحضارة، ول.ديورانت، منشورات هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية.
١٠٢. قضايا إسلامية معاصرة: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، (ب.ت).
١٠٣. قضايا إسلامية معاصرة: محنة الأقليات الإسلامي في العالم، محمد عبد الله السمان، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامي بالأزهر الشريف، (ب.ت).
١٠٤. قوى الشر المتحالفة (الاستشراق – التبشير – الاستعمار)، محمد محمد الدهان، دارالوفاء – المنصورة– القاهرة، ط الأولى– ١٩٨٦م.
١٠٥. الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي، مكتبة مصر– القاهرة، (ب.ت).
١٠٦. كنيسة المشرق العربي، الأب/ جان كوربون، ت: المطران/ أغناطيوس هزيم، دائرة الإعلام، ط الثانية.
١٠٧. كنيسة بلا أسوار، القس/ عزت شاكر، الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة–القاهرة، ط ٢٠٠٠م.
١٠٨. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، المكتبة الحيدرية، ط الأولى–١٤١٧هـ.
١٠٩. الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، ت: د.غريب محمد غريب، دار الشروق – القاهرة ط الثانية– ١٩٩٦م.
١١٠. المؤامرة على التعليم والتعلم، نقابة المعلمين، دار الوفاء –المنصورة – القاهرة، (ب.ت).

١١١. المؤامرة على المرأة المسلمة، السيد أحمد فرج، دار الوفاء –المنصورة–القاهرة، ط ١٩٨٦م.
١١٢. ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، إبراهيم السليمان الجبهان، (ب.ت).
١١٣. المجمع الفاتيكاني الثاني، ت: الأب/ حنا الفاخـــوري، منشورات المكتبة البولسية، ط الأولى– ١٩٩٢م
١١٤. محاضرات تمهيدية في مفهوم الخدمة الاجتماعية، د. محمد أحمد عبد الهادي، ط ١٩٩٨م.
١١٥. محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، د. محمد زين العابدين محمد الطشو، القاهرة، ط ١٩٨٨م
١١٦. المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، أ. محمد محمود الصواف، دار النصر للطباعة الإسلامية– القاهرة، ط الثالثة– ١٩٧٩م.
١١٧. مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، كتاب الأمة (١٤)، ط الأولى – جمادي الآخرة ١٤٠٧هـ.
١١٨. مدخل لتاريخ حركة التنصير، د. مملوح حسين، دار عمار–عمان، ط الأولى–١٩٩٥م.
١١٩. المستشرقـــون، نجيب العقيقي، دار المعارف– القـــاهرة، ط الرابـــعة.
١٢٠. المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن نبي، دار الشروق– القاهرة، ط ١٩٧٤م.
١٢١. المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، طارق البشري، الهيئة العامة للكتاب، ط ١٩٨٠م.
١٢٢. المسيحي ومشكلات الحياة المعاصرة، القس/ فايز فارس، (ب.ت).
١٢٣. المسيحية عبر تاريخها في المشرق، عدة مؤلفين، منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط، ط الأولى– ٢٠٠١م.
١٢٤. المسيحية والألف الثالثة، الأنبا/ يوحنا قلته، دار مصر المحروسة– القاهرة، ط الأولى– ٢٠٠٢م.
١٢٥. مصر وحركة الجامعة الإسلامية (١٨٨٤–١٩١٤م)، نصر الدين عبد الحميد نصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٤م.
١٢٦. معجم الإيمان المسيحي، الأب/ صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق– بيروت–

لبنان، ط الأولى- ١٩٩٤م.

١٢٧. معركة التبشير والإسلام، د. عبد الجليل شلبي، مؤسسة الخليج، ط الأولى- ١٩٨٩م.

١٢٨. معركة التقاليد، محمد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط ١٩٧٩م.

١٢٩. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دارالعلم للملايين- بيروت - لبنان، ط الثالثة - ١٩٨٠م.

١٣٠. مقارنة الأديان: المسيحية، د. أحمد شلبي، نهضة مصر - القاهرة، ط العاشرة- ١٩٩٣م.

١٣١. ملك الألف سنة، البابا شنودة الثالث، منشورات كنيسة مارجرجس- اسبورتنج - الإسكندرية- القاهرة، ط ١٩٧٣م.

١٣٢. مناظرة بين علماء الإسلام والنصرانية، منشورات الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد- الرياض- السعودية، ط الثانية- ١٩٩٢م.

١٣٣. منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط السابعة- ١٩٨٣

١٣٤. منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط السادسة- ١٩٨٣

١٣٥. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع- الرياض، ط الثانية.

١٣٦. الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط الأولى- ١٩٨٤م.

١٣٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، ط الأولى- ١٩٨٨م.

١٣٨. الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية - صنعاء- اليمن، ط الأولى- ١٩٩٢م.

١٣٩. نظرة عربية على غزوات الإفرنج: من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين، تيسير بن موسى، الدار العربية للكتاب- تونس، (ب.ت).

١٤٠. نهضة مصر، د. أنور عبد الملك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ب.ت).

١٤١. هموم الأمة الإسلامية، د. محمود حمدى زقزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفهرست التفصيلي

رقم الإيداع

٢٠٠٧/٢١٥٦

الترقيم الدولي

٩٧٧-١٧-٤٢٧٠-١